اختيار واحد قد يحرره من سطوة جماعته



فور

مجموعة قصص فرعية من سلسلة "الجامحة"

الكاتبة الأكثر مبيعًا بحسب صحيفة نيويورك تايمز ...

VERONICA ROTH

فيرونيكا روث

ترجمة / كاميليا

فــور

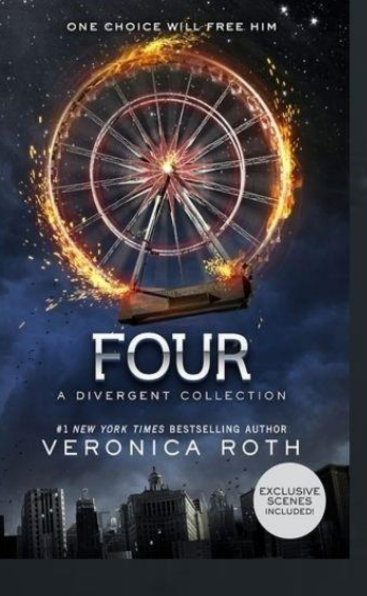
فيرونيكا روث

قبل عامين من اتخاذ بياتريس بريور لقرارها، أقدم ابن السادسة عشرة، نجل قائد جماعة "نكران الذات"، على الخطوة ذاتها. كان انتقال توبياس إلى جماعة "الشجاعة" بمثابة فرصة لبداية جديدة؛ فهنا، لن يُنادى بالاسم الذي منحه إياه والداه، وهنا، لن يسمح للخوف بأن يحوله مجدداً إلى طفل رعديد.

بعد أن لُقِّب حديثاً بـ "فور" (أربعة)، يكتشف خلال مرحلة التلقين أنه سيحقق نجاحاً باهراً في "الشجاعة". غير أن التلقين ليس سوى البداية؛ إذ يتعين على "فور" أن يثبت جدارته في التسلسل الهرمي للجماعة. ستؤثر قراراته على المبتدئين المستقبليين، كما ستكشف عن أسرار قد تهدد مستقبله الشخصي، بل ومستقبل نظام الجماعات بأسره.

وبعد مرور عامين، يقف "فور" على أهبة الاستعداد لاتخاذ إجراء حاسم، لكن المسار لا يزال غامضاً. إلا أن أول مبتدئة تقفز إلى الشبكة قد تغير كل ذلك؛ فمعها، قد يتضح السبيل لإصلاح عالمهم، ومعها، قد يصبح من الممكن أن يعود "توبياس" كما كان مرة أخرى.

ترجمات
مكتبة الوادي
t.me/wadistreambooks



ترجمة / قناة wadistreambooks

@t.me/wadistreambooks

فــــور

FOUR: A divergent collection

للمزيد من الترجمات

t.me/wadistreambooks

تُرجم هذا الكتاب بدعم من مبادرة ترجم

مبادرة ترجم

Tarjim Initiative

هيئة الأدب والنشر والترجمة

Literature, Publishing & Translation Commission

Translation funded by the Tarjim Initiative

ترجمة / كاميليا

فيرونـــكا روث

VERONICA ROTH

فـــــور

FOUR:

A divergent collection

للمزيد من الترجمات

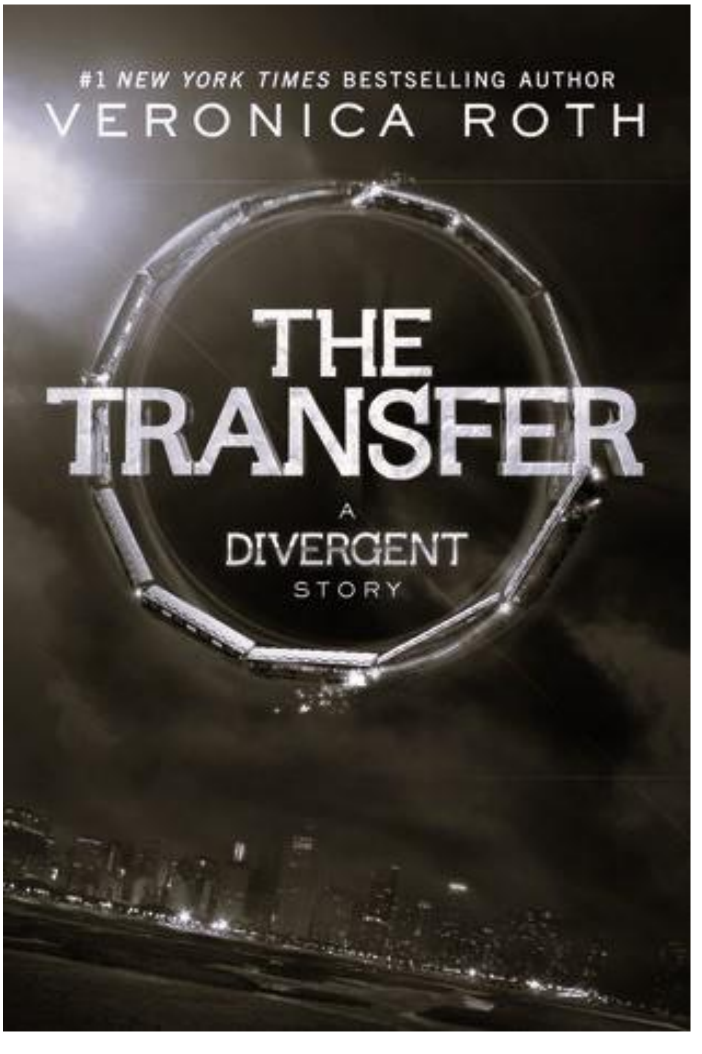
t.me/wadistreambooks



ترجمة / كاميليا

القصة الأولى:

المنتقل



أفيق من المحاكاة بصرخة مدوية. أحس بلسعة في شفتي، وحين أبعد يدي عنها، أرى أثر الدم على أطراف أصابعي. لا بد أنني عضضت عليها بقوة أثناء الاختبار.

ترمقني المرأة التي تدير اختبار القدرات – وهي من جماعة (الشجاعة) واسمها توري – بنظرة غريبة وهي تشد شعرها الأسود لتعقده خلف رأسها. كانت ذراعاها مكسوتين بالأوشام من الأعلى إلى الأسفل؛ ألسنة لهب، وأشعة ضوء، وأجنحة صقور.

تسألني توري وهي تطفئ الجهاز:

– "عندما كنتَ داخل المحاكاة... هل كنتَ تدرك أنها ليست حقيقة؟"

يبدو الاهتمام في صوتها ومظهرها ، لكنها كست وجهها بقناع مدروس من اللامبالاة اكتسبته بعد سنوات من الممارسة. أنا أميّز هذا الأسلوب جيدًا حين أراه؛ ولطالما فعلت.

فجأة، أصبح واعيًا بنبضات قلبي المتسارعة. هذا بالضبط ما حذرني أبي من حدوثه؛ فقد أخبرني أنهم سيسألونني عما إذا كنت واعيًا أثناء المحاكاة، ولقنني ما يجب أن أقوله حينها.

أقول:

– "لا... لو كنت كذلك، هل تظنين أنني كنت سأنهش شفتي هكذا؟"

تتفحصني توري لبضع ثوانٍ، ثم تعض على الحلقة المثبتة في شفتها قبل أن تقول:

– "تهانيّ. نتيجتك هي جماعة "نكران الذات" بشكل قاطع."

أومئ برأسي، لكن كلمة "نكران الذات" تلتف حول عنقي كحبل المشنقة.

تقول:

- "ألسْتَ مسرورًا؟"

- "أبناء فصيلتي سيكونون كذلك."

- "لم أسأل عنهم، بل سألتك أنت."

تنخفض زوايا فم توري وعيناها وكأنها تحمل أثقالًا صغيرة. وكأنها حزينة لأمر ما.

تابعت قائلة:

- "هذه غرفة آمنة. يمكنك قول ما تشاء هنا."

كنت أعرف ما ستؤول إليه خياراتي في اختبار القدرات قبل أن أصل إلى المدرسة هذا الصباح. اخترت الطعام بدل السلاح. رميت نفسي في طريق الكلب لأنقذ الطفلة الصغيرة. كنت أعلم أنني بعد اتخاذ تلك الخيارات، سينتهي الاختبار وسأحصل على "نكران الذات" كنتيجة. ولا أدري إن كنت سأتخذ خيارات مغايرة لولا أن والدي دربني، وتحكم في كل جزء من اختباري عن بُعد. فماذا كنت أتوقع إذًا؟ وأي فصيلة كنت أريد؟

أي واحدة. أي فصيلة عدا نكران الذات.

أقول بحزم:

- "أنا مسرور."

لا يهمني ما تقوله، هذه ليست غرفة آمنة. لا توجد غرف آمنة، ولا حقائق آمنة، ولا أسرار آمنة يمكن البوح بها.

ما زلت أشعر بأسنان الكلب تطبق على ذراعي وتمزق جلدي. أومئ لتوري وأتجه نحو الباب، ولكن قبل أن أغادر، تقبض يدها على مرفقي.

تقول:

- "أنت وحدك من عليه التعايش مع خيارك. الآخرون سيتجاوزون الأمر ويمضون في حياتهم مهما كان قرارك، لكنك أنت... لن تفعل أبدًا."

أفتح الباب وأخرج.

***

أعود إلى الكافيتريا وأجلس إلى طاولة "نكران الذات"، بين أناس لا يكادون يعرفونني. والدي لا يسمح لي بحضور معظم المناسبات الاجتماعية للمجتمع؛ بحجة أنني قد أسبب فوضى أو أفعل شيئًا يسيء لسمعته. لا أبالي. أنا أكثر سعادة في غرفتي، في المنزل الصامت، من كوني محاطًا بأفراد "نكران الذات" المذعنين كثيري الاعتذار.

لكن عاقبة غيابي المستمر هي أن بقية أفراد الفصيلة يتوجسون مني، مقتنعين بأن بي خطبًا ما، أو أنني مريض أو غير أخلاقي أو غريب الأطوار. حتى أولئك المستعدون لإيماءة تحية لي لا ينظرون في عينيّ مباشرة.

أجلس قابضًا بيديّ على ركبتي، أراقب الطاولات الأخرى بينما ينهي الطلاب اختباراتهم. طاولة جماعة (المعرفة) مغطاة بمواد القراءة، لكنهم لا يدرسون جميعًا؛ بل يتظاهرون بذلك، يتبادلون الأحاديث بدل الأفكار، وتخطف أعينهم نظرات سريعة للنصوص كلما ظنوا أن أحدًا يراقبهم. جماعة (النزاهة) يتحدثون بصوت عالٍ كعادتهم. وجماعة (الوئام) يضحكون ويبتسمون ويخرجون الطعام من جيوبهم ليتشاركوه. أما جماعة (الشجاعة) فهم صاخبون مشاغبون، يستلقون فوق الطاولات والكراسي، يتكئون على بعضهم بعضًا ويتبادلون الوكز والمزاح.

تمنيت أي فصيلة أخرى. أي فصيلة غير فصيلتي، حيث قرر الجميع مسبقًا أنني لا أستحق اهتمامهم.

أخيرًا، تدخل امرأة من (المعرفة) وترفع يدها طلبًا للصمت. يهدأ نكران الذات و(المعرفة) فورًا، لكن الأمر تطلب منها صراخ "هدوء!" لينتبه لها جماعة (الشجاعة) و(الوئام) و(النزاهة).

تقول:

- "لقد انتهت اختبارات القدرات الآن. تذكروا أنه لا يُسمح لكم بمناقشة نتائجكم مع أي شخص، ولا حتى أصدقائكم أو عائلتكم. سيقام حفل الاختيار غدًا في المحور. احرصوا على الوصول قبل البدء بعشر دقائق على الأقل. يمكنكم الانصراف."

يندفع الجميع نحو الأبواب عدا طاولتنا؛ فنحن ننتظر مغادرة الجميع قبل أن ننهض من أماكننا. أعرف الطريق الذي سيسلكه رفاقي من نكران الذات للخروج من هنا، عبر الممر ومن الأبواب الأمامية إلى موقف الحافلات. قد يبقون هناك لأكثر من ساعة ليسمحوا للآخرين بالركوب قبلهم. لا أظن أنني أحتمل المزيد من هذا الصمت.

بدلًا من اللحاق بهم، أتسلل من باب جانبي إلى زقاق بجوار المدرسة. سلكت هذا الطريق من قبل، لكنني عادة ما أتسلل ببطء لئلا يراني أو يسمعني أحد. أما اليوم، فكل ما أريده هو الركض.

أركض بأقصى سرعتي حتى نهاية الزقاق وإلى الشارع الخالي، وأقفز فوق حفرة في الرصيف. ترفرف سترتي الرمادية الفضفاضة في الهواء، فأنزعها عن كتفيّ، تاركًا إياها ترفرف خلفي كالعلم ثم أفلتها. أرفع أكمام قميصي إلى مرفقيّ بينما أركض، ثم أبطئ إلى الهرولة حين لم يعد جسدي يحتمل العدو السريع. أشعر وكأن المدينة بأكملها تندفع بجواري في مشهد ضبابي، وتتداخل المباني ببعضها. أسمع وقع حذائي وكأن الصوت منفصل عني.

أضطر للتوقف أخيرًا وقد اشتعلت عضلاتي ألمًا. أنا الآن في المنطقة القاحلة للمنبوذين التي تقع بين قطاع نكران الذات ومقر (المعرفة) ومقر (النزاهة)، وأماكننا العامة. في كل اجتماع للفصيلة، يحثنا قادتنا – وغالبًا ما يتحدثون من خلال أبي – ألا نخاف من المنبوذين ، وأن نعاملهم كبشر لا كمخلوقات محطمة وضائعة. لكن الخوف منهم لم يخطر ببالي يومًا.

أنتقل إلى الرصيف لأنظر عبر نوافذ المباني. في معظم الأحيان لا أرى سوى أثاث قديم، وغرف عارية، وبقايا قمامة على الأرض. حين غادر معظم سكان المدينة – ولا بد أنهم فعلوا، لأن عددنا الحالي لا يملأ كل المباني – يبدو أنهم لم يغادروا في عجلة من أمرهم، لأن المساحات التي شغلوها نظيفة للغاية. لم يتبقَ شيء مثير للاهتمام.

ولكن، حين أمر بأحد المباني عند الزاوية، ألمح شيئًا بالداخل. الغرفة خلف النافذة عارية كغيرها، لكن خلف المدخل الداخلي أرى جمرة وحيدة، قطعة فحم مشتعلة.

أقطب جبيني وأتوقف أمام النافذة لأرى إن كانت ستفتح. تستعصي عليّ في البداية، ثم أهزها ذهابًا وإيابًا فتندفع للأعلى. أدفع جذعي أولًا، ثم ساقي، لأسقط على الأرض بالداخل كومةً من الأطراف المتشابكة. تلسعني كوعاي وهي تحتك بالأرضية.

تفوح من المبنى رائحة طعام مطهو ودخان وعرق. أزحف نحو الجمرة، منصتًا لأي أصوات تحذرني من وجود أحد المنبوذين هنا، لكن الصمت هو السيد.

في الغرفة المجاورة، النوافذ مطلية بالسواد والأوساخ، لكن القليل من ضوء النهار يتسرب عبرها، مما يتيح لي رؤية فرش نوم ملقاة على الأرض في كل مكان، وعلب قديمة بداخلها بقايا طعام جاف. تتوسط الغرفة شواية فحم صغيرة.

معظم الفحمات بيضاء استنفدت وقودها، لكن واحدة لا تزال مشتعلة، مما يوحي بأن من كان هنا غادر منذ وقت قصير. وبالحكم من الرائحة وكثرة العلب والبطانيات، فقد كان عددهم كبيرًا.

لقد تعلمت دائمًا أن (المنبوذين) يعيشون بلا مجتمع، منعزلين عن بعضهم بعضًا. الآن، وأنا أنظر لهذا المكان، أتساءل لمَ صدقت ذلك يومًا. ما الذي يمنعهم من تشكيل مجموعات، تمامًا كما فعلنا؟ إنها الفطرة.

يباغتني صوت آمرًا:

- "ماذا تفعل هنا؟"

يسري الصوت في جسدي كصعقة كهربائية. أستدير وأرى رجلًا شاحب الوجه ملطخًا بالأوساخ في الغرفة المجاورة، يمسح يديه بمنشفة مهترئة.

أقول وأنظر إلى الشواية:

- "كنت فقط... رأيت نارًا. هذا كل شيء."

- "أوه."

يحشر الرجل طرف المنشفة في جيبه الخلفي. يرتدي سروال نزاهة أسود، مرقعًا بقماش معرفة أزرق، وقميص نكران الذات رماديًا، يشبه الذي أرتديه. إنه نحيل كعصا، لكنه يبدو قويًا. قويًا بما يكفي ليؤذيني، لكني لا أظنه سيفعل.

يقول:

- "شكرًا، على ما أظن. لكن لا شيء يحترق هنا."

- "أرى ذلك. ما هذا المكان؟"

يجيب بابتسامة باردة كشفت عن سن مفقودة:

- "إنه منزلي. لم أكن أعلم أنني سأستقبل ضيوفًا، لذا لم أكلف نفسي عناء الترتيب."

أنظر منه إلى العلب المتناثرة.

- "لا بد أنك تتقلب كثيرًا أثناء نومك، لكي تحتاج كل هذه الأغطية."

- "لم أقابل قط (متزمتًا) يحشر أنفه في شؤون غيره بهذا القدر." يقترب مني ويقطب جبينه. "تبدو مألوفًا بعض الشيء."

أعرف أنه يستحيل أن نكون التقينا من قبل، ليس في مكان عيشي، المحاط بمنازل متطابقة في أكثر أحياء المدينة رتابة، وسط أناس بملابس رمادية متطابقة وقصات شعر قصيرة متطابقة. ثم يتبادر إلى ذهني: مهما حاول أبي إخفائي، فهو لا يزال رئيس المجلس، وأحد أبرز الشخصيات في مدينتنا، وأنا أشبهه.

أقول بأفضل نبرة "نكران ذات" لدي:

- "أعتذر عن إزعاجك. سأغادر الآن."

يقول الرجل:

- "بلى، أنا أعرفك. أنت ابن إيفلين إيتون، أليس كذلك؟"

يتصلب جسدي عند سماع اسمها. مرت سنوات منذ سمعته آخر مرة، لأن أبي يرفض نطق اسمها، بل ويرفض الاعتراف به حتى لو سمعه. أن أُرتبط بها مجددًا، ولو بمجرد الشبه في الملامح، شعور غريب، كارتداء قطعة ملابس قديمة لم تعد تناسب مقاسي.

- "كيف عرفتها؟"

لا بد أنه عرفها جيدًا ليرى ملامحها في وجهي، الذي هو أكثر شحوبًا من وجهها، وعيناي الزرقاوان بدلًا من بنيتها الداكنة. معظم الناس لا ينظرون بدقة كافية ليروا كل القواسم المشتركة بيننا: أصابعنا الطويلة، أنوفنا المعقوفة، وحواجبنا المستقيمة المقطبة.

يتردد قليلًا ثم يقول:

- "كانت تتطوع مع نكران الذات أحيانًا. توزع الطعام والبطانيات والملابس. كان لها وجه لا يُنسى. ثم إنها كانت زوجة قائد مجلس. ألم يكن الجميع يعرفها؟"

أحيانًا أعرف أن الناس يكذبون فقط من وقع كلماتهم حين تضغط عليّ، شعور بعدم الراحة والخطأ، تمامًا كما يشعر (المعرفة) حين يقرأ جملة غير صحيحة نحويًا. مهما كانت معرفته بأمي، فهي ليست لأنها ناولته علبة حساء ذات مرة. لكنني متعطش لسماع المزيد عنها لدرجة أنني لم أضغط عليه.

أقول:

- "لقد ماتت، هل كنت تعلم؟ منذ سنوات."

- "لا، لم أكن أعلم." يميل فمه قليلًا عند إحدى الزوايا. "يؤسفني سماع ذلك."

ينتابني شعور غريب وأنا أقف في هذا المكان الرطب الذي تفوح منه رائحة أجساد حية ودخان، وسط هذه العلب الفارغة التي تشي بالفقر والفشل في التأقلم. لكن ثمة جاذبية ما هنا أيضًا، حرية، ورفض للانتماء لتلك التصنيفات التعسفية التي صنعناها لأنفسنا.

يقول الرجل:

- "لا بد أن موعد اختيارك غدًا، لتبدو قلقًا هكذا. أي فصيلة ظهرت لك؟"

أرد تلقائيًا:

- "لا يُفترض بي إخبار أحد."

- "أنا لست (أحدًا). أنا لا شيء. هذا معنى أن تكون من المنبوذين."

ألزم الصمت. إن حظر مشاركة نتيجة اختباري، أو أي من أسراري الأخرى، راسخ بصلابة في القالب الذي يصنعني ويعيد تشكيلي يوميًا. من المستحيل تغييره الآن.

يقول وكأنه محبط:

- "آه، متبع للقواعد. قالت لي أمك ذات مرة إنها شعرت بأن القصور الذاتي هو ما جرفها إلى نكران الذات. كان مسار المقاومة الأقل." يرفع كتفيه بلامبالاة. "ثق بي حين أقول لك يا فتى إيتون: المقاومة تستحق العناء."

أشعر بدفقة من الغضب. لا يحق له الحديث عن أمي وكأنها تخصه لا أنا، ولا يحق له جعلي أشكك في كل ما أذكره عنها لمجرد أنها ربما قدمت له الطعام مرة. لا يحق له إخباري بأي شيء على الإطلاق؛ فهو نكرة، عديم الفصيلة، منبوذ، لا شيء.

أقول:

- "حقًا؟ انظر إلى أين أوصلتك المقاومة. تعيش على العلب في مبانٍ متهالكة. لا يبدو أمرًا رائعًا بالنسبة لي."

أتجه نحو الباب الذي خرج منه الرجل. أعلم أنني سأجد بابًا خلفيًا للزقاق هناك؛ لا يهمني أين ما دمت سأخرج من هنا بسرعة.

أشق طريقي عبر الغرفة، حذرًا ألا أدوس على أي من البطانيات. وحين أصل إلى الممر، يقول الرجل:

- "أفضل أن آكل من علبة صفيح على أن تخنقني فصيلة."

لا أنظر خلفي.

***

حين أصل إلى المنزل، أجلس على الدرجة الأمامية وآخذ أنفاسًا عميقة من هواء الربيع البارد لبضع دقائق.

أمي هي من علمتني اختلاس لحظات كهذه، لحظات من الحرية، رغم أنها لم تكن تدرك ذلك. كنت أراقبها تفعل ذلك، تتسلل خارج الباب بعد حلول

الظلام حين ينام أبي، وتعود زاحفة إلى المنزل مع بزوغ أول خيوط الشمس خلف المباني. كانت تختلسها حتى وهي معنا، تقف فوق حوض الغسيل وعيناها مغلقتان، بعيدة جدًا عن الحاضر حتى أنها لم تكن تسمعني حين أحدثها.

لكنني تعلمت شيئًا آخر من مراقبتها أيضًا: لحظات الحرية لا بد أن تنتهي دائمًا.

أنهض نافضًا ذرات الإسمنت عن بنطالي الرمادي، وأدفع الباب مفتوحًا. يجلس أبي على الكرسي المريح في غرفة المعيشة، محاطًا بالأوراق. أنتصب في وقفتي، مشدود القامة، كي لا يوبخني على التراخي. أتحرك نحو الدرج. ربما يدعني أذهب لغرفتي دون ملاحظة.

يقول مشيرًا إلى الأريكة لأجلس:

- "أخبرني عن اختبار القدرات."

أعبر الغرفة، متخطيًا بحذر كومة من الأوراق على السجاد، وأجلس حيث أشار، على حافة الوسادة تمامًا لأتمكن من الوقوف بسرعة.

يخلع نظارته وينظر إليّ منتظرًا. أسمع توترًا في صوته، ذلك النوع الذي لا يتشكل إلا بعد يوم عصيب في العمل. يجب أن أكون حذرًا.

- "حسنًا؟ ما كانت نتيجتك؟"

لا أفكر حتى في رفض إخباره.

- "نكران الذات."

- "ولا شيء آخر؟"

أقطب جبيني.

- "لا، بالطبع لا."

يقول:

- "لا تنظر لي هكذا." فيختفي تقطيبي. "لم يحدث شيء غريب في اختبارك؟"

أثناء الاختبار، كنت أعرف أين أنا؛ كنت أعلم أنه بينما أشعر وكأنني أقف في كافيتريا مدرستي الثانوية، كنت في الواقع ممددًا على كرسي في غرفة الاختبار، وجسدي متصل بجهاز عبر مجموعة من الأسلاك. كان ذلك غريبًا. لكني لا أريد التحدث معه عن الأمر الآن، ليس وأنا أرى التوتر يعتمل داخله كعاصفة.

- "لا."

يقول:

- "لا تكذب عليّ."

يمسك ذراعي، وأصابعه تضغط كملزمة حديدية. لا أنظر إليه.

- "لا أكذب. حصلت على نكران الذات، تمامًا كما هو متوقع. المرأة بالكاد نظرت إليّ وأنا أغادر الغرفة. أعدك."

يفلتني. ينبض جلدي ألمًا حيث أمسك بي.

يقول:

- "جيد. أنا واثق أن لديك ما تفكر فيه. عليك الذهاب لغرفتك."

- "حاضر يا سيدي."

أنهض وأعبر الغرفة مجددًا، شاعرًا بالراحة.

يضيف:

- "أوه. بعض زملائي في المجلس سيأتون الليلة، لذا عليك تناول العشاء مبكرًا."

- "حاضر يا سيدي."

***

قبل غروب الشمس، أختطف طعامًا من الخزائن والثلاجة: قطعتي خبز وجزرًا نيئًا بأوراقه الخضراء، وقطعة جبن وتفاحة، وبقايا دجاج دون أي توابل. كل الطعام له المذاق نفسه، طعم الغبار والعجين. أبقي عينيّ مثبتتين على الباب كي لا أصطدم بزملاء أبي. لن يعجبه الأمر لو كنت لا أزال هنا عند وصولهم.

كنت أنهي كوبًا من الماء حين ظهر أول عضو مجلس على عتبة الباب، فأسرعت عبر غرفة المعيشة قبل أن يصل أبي إلى الباب. ينتظر ويده على المقبض، وحاجباه مرفوعان تجاهي بينما أتسلل حول الدرابزين. يشير بإصبعه لأعلى السلم فأصعد مسرعًا بينما يفتح الباب.

- "أهلًا، ماركوس."

أميز الصوت؛ إنه أندرو براير. أحد أقرب أصدقاء أبي في العمل، وهو ما لا يعني شيئًا، فلا أحد يعرف أبي حقًا. ولا حتى أنا.

من أعلى الدرج أنظر لأسفل نحو أندرو. يمسح حذاءه على الممسحة. أراه وعائلته أحيانًا، وحدة "نكران ذات" مثالية؛ ناتالي وأندرو، والابن والابنة - ليسا توأمين، لكنهما أصغر مني بعامين دراسيين - يمشون جميعًا برزانة على الرصيف ويحيون المارة بإيماءات رؤوسهم. ناتالي تنظم كل جهود التطوع للمنبوذين في نكران الذات - لا بد أن أمي كانت تعرفها، رغم أنها نادراً ما حضرت مناسبات نكران الذات الاجتماعية، مفضلة الاحتفاظ بأسرارها كما أحتفظ بأسراري، مخبأة في هذا المنزل.

تتلاقى عينا أندرو بعيني، فأهرع عبر الممر إلى غرفة نومي، مغلقًا الباب خلفي.

على ما يبدو للعين، غرفتي متقشفة ونظيفة كأي غرفة أخرى في نكران الذات. ملاءاتي وأغطيتي الرمادية مدسوسة بإحكام حول المرتبة الرفيعة، وكتبي المدرسية مكدسة في برج مثالي على مكتبي الخشبي. خزانة صغيرة تحوي عدة

أطقم متطابقة من الملابس تقف بجوار النافذة الصغيرة، التي لا تسمح إلا بمرور خيط رفيع من ضوء الشمس في المساء. أرى من خلالها المنزل المجاور، وهو نسخة طبق الأصل عن المنزل الذي أنا فيه، باستثناء أنه يقع على بعد خمسة أقدام إلى الشرق.

أعرف كيف حمل القصور الذاتي أمي إلى نكران الذات، إن كان ذلك الرجل صادقًا فيما أخبره إياها. أرى الأمر يحدث لي أيضًا، غدًا حين أقف بين أوعية عناصر الفصائل وفي يدي سكين. هناك أربع فصائل لا أعرفها ولا أثق بها، بممارسات لا أفهمها، وواحدة فقط مألوفة، متوقعة، ومفهومة. إذا كان اختيار نكران الذات لن يقودني لحياة من السعادة الغامرة، فعلى الأقل سيقودني لمكان مريح.

أجلس على حافة السرير. لا، لن يفعل، أفكر، ثم أبتلع الفكرة، لأنني أعرف مصدرها: ذلك الجزء الطفولي مني الذي يخشى الرجل الذي يعقد مجلسه في غرفة المعيشة. الرجل الذي أعرف مفاصل قبضته أكثر مما أعرف عناقه.

أتأكد من إغلاق الباب وأحشر كرسي المكتب تحت المقبض احتياطًا. ثم أجثو بجوار السرير وأمد يدي تحته لأصل إلى الصندوق الذي أحتفظ به هناك.

أعطتني إياه أمي وأنا صغير، وأخبرت أبي أنه للأغطية الإضافية، وأنها وجدته في زقاق ما. لكن حين وضعته في غرفتي، لم تملأه بالأغطية. أغلقت بابي ووضعت إصبعها على شفتيها ووضعت الصندوق على سريري لأفتحه.

داخل الصندوق غير المقفل كان هناك منحوتة زرقاء. بدت وكأنها ماء متساقط، لكنها كانت من زجاج في الحقيقة، صافية تمامًا، مصقولة، وخالية من العيوب.

سألتها حينها:

- "ماذا تفعل هذه؟"

قالت وهي تبتسم ابتسامة مشدودة، وكأنها خائفة من شيء ما:

- "لا تفعل شيئًا ظاهرًا. لكنها قد تكون قادرة على فعل شيء هنا." نقرت على صدرها، فوق عظمة القص تمامًا. "الأشياء الجميلة تفعل ذلك أحيانًا."

منذ ذلك الحين، ملأت الصندوق بأشياء قد يسميها الآخرون عديمة الفائدة: نظارات قديمة بلا زجاج، شظايا لوحات إلكترونية تالفة، شمعات احتراق، أسلاك معرّاة، عنق مكسور لزجاجة خضراء، نصل سكين صدئ. لا أعرف إن كانت أمي ستسميها جميلة، أو حتى إن كنت أنا أراها كذلك، لكن كل قطعة منها أثرت بي بنفس طريقة تلك المنحوتة؛ كأشياء سرية، وذات قيمة، ولو لمجرد أنها كانت منسية ومهملة.

وبدلًا من التفكير في نتيجة اختبار القدرات، ألتقط كل قطعة وأقلبها بين يديّ حتى أحفظ كل جزء من كل واحدة منها عن ظهر قلب.

***

أستيقظ مذعورًا على وقع خطوات ماركوس في الممر خارج غرفة النوم مباشرة. أنا مستلقٍ على السرير، وتلك الأشياء مبعثرة حولي على المرتبة. تتباطأ خطواته كلما اقترب من الباب، فألتقط شمعات الاحتراق وقطع اللوحة الإلكترونية والأسلاك بسرعة، وألقي بها عائدة إلى الصندوق، ثم أغلقه وأدس المفتاح في جيبي. في اللحظة الأخيرة، وبينما يبدأ مقبض الباب في التحرك، أدرك أن المنحوتة لا تزال بالخارج، فأحشرها تحت الوسادة وأدفع الصندوق تحت السرير.

ثم أقفز نحو الكرسي وأسحبه من تحت المقبض ليتمكن والدي من الدخول.

حين يدخل، يرمق الكرسي بين يديّ بنظرة ارتياب.

يقول:

- "ماذا كان يفعل هذا هنا؟ هل تحاول منعي من الدخول؟"

- "لا يا سيدي."

يقول ماركوس:

- "هذه هي المرة الثانية التي تكذب فيها عليّ اليوم. لم أربِّ ابني ليكون كاذبًا."

- "أنا..."

لا تحضرني كلمة واحدة لأقولها، فأطبق فمي وأعيد الكرسي إلى مكانه عند مكتبي، خلف كومة الكتب المدرسية المرتبة ببراعة.

- "ما الذي كنت تفعله هنا ولم تردني أن أراه؟"

أتشبث بظهر الكرسي بقوة، وأحدق في كتبي.

أقول بصوت خافت:

- "لا شيء."

يقول وصوته منخفض لكنه صلب كحجر الصوان:

- "هذه ثلاث كذبات."

يتحرك نحوي، فأتراجع للخلف غريزيًا. لكنه بدلًا من أن يمد يده ليمسك بي، ينحني ويسحب الصندوق من تحت السرير، ثم يحاول فتح الغطاء. لكنه لا يتزحزح.

ينزلق الخوف إلى أحشائي كالنصل. أقبض على حاشية قميصي، لكنني فاقد للإحساس بأطراف أصابعي.

يقول:

- "زعمت والدتك أن هذا الصندوق للبطانيات. قالت إنك تشعر بالبرد ليلًا. لكن ما كنت أتساءل عنه دائمًا هو: إذا كان لا يزال يحوي بطانيات، فلماذا تبقيه مقفلًا؟"

يمد يده، وباطن كفه للأعلى، رافعًا حاجبيه تجاهي. أعرف ما يريده؛ المفتاح. وعليّ أن أعطيه إياه، لأنه يدرك متى أكذب؛ إنه يرى كل شيء بداخلي. أمد يدي إلى جيبي، وأسقط المفتاح في يده. الآن، لم أعد أشعر براحتي يديّ، وبدأ التنفس يضطرب، ذلك التنفس الضحل الذي يداهمني دائمًا حين أعلم أنه على وشك الانفجار.

أغمض عينيّ وهو يفتح الصندوق.

يصيح ويده تعبث بالأشياء الثمينة بإهمال، مبعثرة إياها يمينًا ويسارًا:

- "ما هذا؟"

يخرجها واحدة تلو الأخرى ويدفعها في وجهي.

- "ما حاجتك لهذا، أو ذاك...!"

أنتفض جفلة تلو الأخرى، ولا أملك جوابًا. أنا لا أحتاجها. لا أحتاج أيًا منها.

يصرخ وهو يدفع الصندوق عن حافة السرير لتتناثر محتوياته على الأرض:

- "هذا تفوح منه رائحة الترف المقيت! إنه يسمم هذا المنزل بالأنانية!"

لم أعد أشعر بوجهي أيضًا.

تصطدم يداه بصدري. أترنح للخلف وأرتطم بخزانة الملابس. ثم يسحب يده بجوار وجهه ليضربني، فأقول وحلقي يضيق بالخوف:

- "حفل الاختيار يا أبي!"

يتوقف ويده مرفوعة، فأنكمش على نفسي، متقلصًا نحو الخزانة، وعيناي غائمتان لدرجة تعيق الرؤية. عادة ما يحاول ألا يترك كدمات على وجهي، خاصة قبل أيام كيوم الغد، حين سيحدق بي الكثيرون مراقبين خياري.

يخفض يده، وللحظة أظن أن العنف قد انتهى، وأن الغضب قد خمد.

لكنه يقول:

- "حسنًا. ابقَ هنا."

أتهاوى مستندًا إلى الخزانة. أعلم جيدًا أنه لن يغادر ليفكر في الأمر ثم يعود معتذرًا. هو لا يفعل ذلك أبدًا.

سيعود ومعه حزام، وتلك الخطوط التي سيحفرها على ظهري سيسهل إخفاؤها بقميص وتعبير وجه مذعن يليق بنكران الذات.

أستدير، وتسري قشعريرة في جسدي. أتشبث بحافة الخزانة وأنتظر.

***

في تلك الليلة، أنام على بطني، والألم ينهش كل فكرة، ومقتنياتي المحطمة منثورة على الأرض حولي. بعد أن ضربني حتى اضطررت لحشر قبضتي في فمي لأكتم صرختي، داس بقدمه على كل قطعة حتى كُسرت أو انبعجت لدرجة يصعب التعرف عليها، ثم قذف الصندوق نحو الجدار حتى انخلع الغطاء من مفصلاته.

تطفو فكرة على السطح: إذا اخترت نكران الذات، فلن تهرب منهم أبدًا.

أدفن وجهي في وسادتي.

لكنني لست قويًا بما يكفي لمقاومة هذا القصور الذاتي الذي يشدني لنكران الذات، وهذا الخوف الذي يسوقني في الطريق الذي رسمه أبي لي.

في صباح اليوم التالي، أستحم بماء بارد، ليس توفيرًا للموارد كما تأمر تعاليم نكران الذات، بل لأنه يخدر ظهري. أرتدي ملابس نكران الذات الفضفاضة البسيطة ببطء، وأقف أمام مرآة الممر لأقص شعري.

يقول والدي من نهاية الممر:

- "دعني أفعل ذلك. إنه يوم اختيارك، على أية حال."

أضع آلة الحلاقة على الحافة التي يشكلها اللوح المنزلق وأحاول الوقوف باستقامة. يقف خلفي، فأتحاشى النظر في عينيه بينما تبدأ الآلة في الطنين. هناك واقٍ واحد فقط للشفرة، وطول واحد فقط مقبول لشعر ذكور نكران الذات. أجفل حين تثبت أصابعه رأسي، وآمل ألا يلاحظ ذلك، ألا يرى كيف أن مجرد لمسته ترعبني.

يقول وهو يغطي قمة أذني بيده ويمرر الآلة على جانب رأسي:

- "أنت تعرف ما يمكن توقعه."

اليوم يحاول حماية أذني من أن تجرحها الشفرات، وبالأمس جلدني بالحزام. تبدو الفكرة كسم يسري في عروقي. الأمر مضحك تقريبًا. أكاد أرغب في الضحك.

تلاقت عيوننا في المرآة، وضغط فمه في شبه ابتسامة وهو يضيف:

- "ستقف في مكانك؛ وحين يُنادى اسمك، ستتقدم لتأخذ سكينك. ثم تجرح نفسك وتقطر الدم في الوعاء الصحيح."

يلمس كتفي، فأدرك أننا أصبحنا بنفس الطول تقريبًا، وبنفس الحجم، ومع ذلك لا أزال أشعر أنني أصغر بكثير.

ثم يضيف بلطف:

- "السكين لن تؤلم إلا للحظة. ثم يُتخذ خيارك، وينتهي كل شيء."

أتساءل إن كان يذكر حتى ما حدث بالأمس، أم إنه قد دفعه بالفعل إلى حجرة منفصلة في عقله، مبقيًا نصفه الوحشي منفصلًا عن نصفه الأبوي. لكنني لا أملك تلك الحجرات، وأستطيع رؤية كل هوياته متراكمة فوق بعضها؛ الوحش والأب والرجل وقائد المجلس والأرمل.

وفجأة يخفق قلبي بقوة، ويشتعل وجهي حرارة، حتى أكاد لا أطيق ذلك.

أقول:

- "لا تقلق بشأن احتمالي للألم. لقد تدربت كثيرًا."

لثانية واحدة، بدت عيناه كالخناجر في المرآة، واختفى غضبي القوي ليحل محله الخوف المألوف. لكن كل ما فعله هو إطفاء الآلة ووضعها على الحافة، ثم نزل الدرج، تاركًا إياي لأكنس الشعر المقصوص، وأنفضه عن كتفي وعنقي، وأعيد الآلة إلى درجها في الحمام.

ثم أعود إلى غرفتي وأحدق في الأشياء المحطمة على الأرض. بعناية، أجمعها في كومة وأضعها في سلة المهملات بجوار مكتبي، قطعة قطعة.

أنهض على قدمي وأنا أجفل من الألم. ساقاي ترتجفان.

في تلك اللحظة، وأنا أحدق في الحياة الجرداء التي صنعتها لنفسي هنا، وفي البقايا المدمرة للقليل الذي كنت أملكه، أفكر: لا بد أن أخرج من هنا.

إنها فكرة قوية. أشعر بقوتها تدوي في داخلي كقرع الجرس، فأفكر فيها مجددًا. لا بد أن أخرج.

أمشي نحو السرير وأدس يدي تحت الوسادة، حيث لا تزال منحوتة أمي آمنة، زرقاء وتلتمع بضوء الصباح. أضعها على مكتبي، بجوار كومة الكتب، وأغادر غرفة نومي مغلقًا الباب خلفي.

في الطابق السفلي، أنا متوتر لدرجة تمنعني من الأكل، لكني أحشر قطعة توست في فمي على أية حال كي لا يسألني أبي أي أسئلة. لا داعي للقلق. إنه الآن يتظاهر بأنني غير موجود، يتظاهر بأنني لا أنتفض ألمًا في كل مرة أضطر فيها للانحناء لالتقاط شيء ما.

لا بد أن أخرج. صارت كأنشودة الآن، تعويذة، الشيء الوحيد المتبقي لي لأتمسك به.

ينهي قراءة الأخبار التي تصدرها جماعة (المعرفة) كل صباح، وأنهي غسل أطباقي، ونخرج من المنزل معًا دون أن ننبس ببنت شفة. نمشي على الرصيف،

ويحيي جيراننا بابتسامة؛ كل شيء دائمًا في نظام تام بالنسبة لماركوس إيتون، باستثناء ابنه. باستثنائي أنا؛ أنا لست منتظمًا، أنا في فوضى دائمة.

لكني اليوم، سعيد بذلك.

نستقل الحافلة ونقف في الممر لنسمح للآخرين بالجلوس حولنا، الصورة المثالية لإذعان نكران الذات. أراقب الآخرين يصعدون؛ فتيان وفتيات جماعة (النزاهة) بأصواتهم العالية، و(المعرفة) بنظراتهم الفاحصة. أراقب بقية أفراد نكران الذات ينهضون من مقاعدهم ليتنازلوا عنها.

الجميع ذاهب إلى نفس المكان اليوم، المحور؛ ذلك العمود الأسود في الأفق، الذي يطعن شقاه السماء.

حين نصل، يضع والدي يده على كتفي ونحن نسير نحو المدخل، مرسلًا موجات من الألم عبر جسدي.

لا بد أن أخرج.

إنها فكرة يائسة، والألم يزيدها اشتعالًا مع كل خطوة وأنا أصعد الدرج إلى طابق حفل الاختيار. أصارع من أجل الهواء، ليس بسبب ألم ساقي، بل بسبب قلبي الضعيف الذي يزداد قوة مع كل ثانية تمضي. بجواري، يمسح ماركوس قطرات العرق عن جبينه، ويطبق بقية أفراد نكران الذات شفاههم كي لا يتنفسوا بصوت عالٍ، خشية أن يبدوا وكأنهم يتذمرون.

أرفع عينيّ إلى الدرج أمامي، وأنا أشتعل بهذه الفكرة، بهذه الحاجة، بهذه الفرصة للهرب.

نصل إلى الطابق المقصود، ويتوقف الجميع لالتقاط أنفاسهم قبل الدخول. القاعة معتمة، والنوافذ محجوبة، والمقاعد مرتبة حول دائرة من الأوعية التي تحوي زجاجًا وماءً وحجارة وفحمًا وترابًا. أجد مكاني في الصف، بين فتاة من نكران الذات وفتى من جماعة (الوئام). يقف ماركوس أمامي.

يقول، وكأنه يحدث نفسه أكثر مما يحدثني:

- "أنت تعرف ما عليك فعله. أنت تعرف الخيار الصحيح. وأنا أعلم أنك تعرف."

أكتفي بالتحديق في نقطة ما أسفل عينيه.

- "أراك قريبًا."

يتحرك نحو قسم نكران الذات ويجلس في الصف الأول، مع بعض قادة المجلس الآخرين. تمتلئ القاعة تدريجيًا؛ الواقفون في مربع عند الحافة هم من سيختارون، والجالسون على الكراسي في الوسط هم المراقبون. تُغلق الأبواب، وتسود لحظة صمت بينما يتحرك ممثل المجلس من جماعة (الشجاعة) نحو المنصة.

اسمه ماكس. يلف أصابعه حول حافة المنصة، وأستطيع أن أرى، حتى من هنا، أن مفاصل يديه متكدّمة.

هل يتعلمون القتال في جماعة (الشجاعة)؟ لا بد أنهم يفعلون.

يقول ماكس بصوته العميق الذي ملأ الغرفة بسهولة:

- "أهلًا بكم في حفل الاختيار."

لا يحتاج إلى مكبر صوت؛ فصوته عالٍ وقوي بما يكفي ليخترق جمجمتي ويلتف حول دماغي.

- "اليوم ستختارون فصائلكم. حتى هذه اللحظة اتبعتم مسارات آبائكم، وقواعد آبائكم. اليوم ستجدون مساركم الخاص، وتضعون قواعدكم الخاصة."

أكاد أرى أبي يضغط شفتيه بازدراء لهذا الخطاب النموذجي لـ(الشجاعة). أعرف عاداته جيدًا، حتى أنني أكاد أقلده، رغم أنني لا أشاركه الشعور. ليس لدي رأي محدد حول جماعة (الشجاعة).

يتابع ماكس:

- "منذ زمن بعيد، أدرك أسلافنا أن كل واحد منا، كل فرد، مسؤول عن الشر الموجود في العالم. لكنهم لم يتفقوا على ماهية ذلك الشر بالضبط. قال البعض إنه عدم الأمانة..."

أفكر في الأكاذيب التي رويتها، عامًا بعد عام، عن هذه الكدمة أو ذاك الجرح، وأكاذيب الإغفال التي رويتها حين كتمت أسرار ماركوس.

- "وقال البعض إنه الجهل، والبعض الآخر قال العدوان..."

أفكر في سلام بساتين (الوئام)، والحرية التي سأجدها هناك من العنف والقسوة.

- "وقال البعض إن الأنانية هي السبب."

هذا لمصلحتك، هذا ما قاله ماركوس قبل أن تهوي الضربة الأولى. وكأن ضربي كان عملًا من أعمال التضحية بالذات. وكأنه يؤلمه أن يفعل ذلك. حسنًا، لم أره يعرج في المطبخ هذا الصباح.

- "والمجموعة الأخيرة قالت إن الجبن هو الملوم."

ترتفع بضع صيحات من قسم جماعة (الشجاعة)، ويضحك بقيتهم. أفكر في الخوف الذي ابتلعني الليلة الماضية حتى لم أعد أشعر، حتى لم أعد أتنفس. أفكر في السنوات التي طحنتني حتى صرت غبارًا تحت كعب أبي.

يبتسم ماكس قائلًا:

- "وهكذا نشأت فصائلنا: (النزاهة)، و(المعرفة)، و(الوئام)، ونكران الذات، و(الشجاعة). فيهم نجد الإداريين والمعلمين والمستشارين والقادة والحماة. فيهم نجد شعورنا بالانتماء، وشعورنا بالمجتمع، وحياتنا ذاتها." ينظف حلقه. "كفى حديثًا. لنبدأ بالأمر. تقدموا وخذوا سكاكينكم، ثم اتخذوا خياركم. الأول، جريجوري زيلنر."

يبدو من المناسب أن يتبعني الألم من حياتي القديمة إلى الجديدة، والسكين يحفر في راحة يدي. ومع ذلك، حتى هذا الصباح لم أكن أعرف أي فصيلة سأختارها كملاذ. يمسك جريجوري زيلنر بيده الدامية فوق وعاء التراب، ليختار (الوئام).

تبدو (الوئام) الخيار البديهي للملاذ الآمن، بحياتها السلمية، وبساتينها ذات الرائحة الزكية، ومجتمعها الباسم. في (الوئام) سأجد نوع التقبل الذي تقت إليه طوال حياتي، وربما، مع مرور الوقت، تعلمني أن أشعر بالثبات في داخلي، والارتياح لما أنا عليه.

لكن بينما أنظر إلى الناس الجالسين في ذلك القسم، بألوانهم الحمراء والصفراء، لا أرى سوى أشخاص معافين، ملتئمي الجراح، قادرين على تشجيع بعضهم، وقادرين على دعم بعضهم. إنهم مفرطون في المثالية، مفرطون في اللطف، لدرجة لا تسع شخصًا مثلي ساقته إليهم نوبات الغضب والخوف.

يتحرك الحفل بسرعة كبيرة.

- " هيلينا روجرز."

تختار (النزاهة).

أعرف ما يحدث في طقوس الانضمام لـ(النزاهة) سمعت همسات حول ذلك في المدرسة ذات يوم. هناك، سأضطر لكشف كل سر، ونبشه بأظافري. سأضطر لسلخ نفسي حيًا لأنضم لـ(النزاهة). لا، لا أستطيع فعل ذلك.

- " فريدريك لوفليس."

يقطع فريدريك لوفليس، المتشح بالزرقة، كفه ويترك دمه يقطر في ماء (المعرفة)، محولًا إياه لدرجة أغمق من الوردي. أنا أتعلم بسهولة ما يكفي لـ(المعرفة)، لكني أعرف نفسي جيدًا لأدرك أنني شديد التقلب، شديد العاطفة،

بالنسبة لمكان كهذا. سيخنقني، وما أريده هو أن أكون حرًا، لا أن أساق إلى سجن آخر.

لم يمض وقت طويل حتى نودي اسم فتاة نكران الذات التي بجانبي.

- " آن إيراسموس."

آن - واحدة أخرى لم تجد يومًا أكثر من بضع كلمات لتقولها لي - تتعثر وهي تتقدم وتمشي في الممر نحو منصة ماكس. تتلقى سكينها بأيدٍ مرتجفة وتقطع كفها وتمد يدها فوق وعاء نكران الذات. الأمر سهل عليها. ليس لديها ما تهرب منه، مجرد مجتمع مرحب ولطيف لتعود إليه. وفضلًا عن ذلك، لم ينتقل أحد من نكران الذات منذ سنوات. إنها الفصيلة الأكثر ولاءً، بلغة إحصاءات حفل الاختيار.

- " توبياس إيتون."

لا أشعر بالتوتر وأنا أسير في الممر نحو الأوعية، رغم أنني لم أختر مكاني بعد. يناولني ماكس السكين، فأطبق أصابعي حول المقبض. إنه أملس وبارد، والنصل نظيف. سكين جديد لكل شخص، وخيار جديد.

بينما أمشي لمنتصف الغرفة، لمركز الأوعية، أمر بـ توري، المرأة التي أجرت لي اختبار القدرات. أنت وحدك من عليه التعايش مع خيارك، هكذا قالت. شعرها مشدود للخلف، وأستطيع رؤية وشم يزحف فوق عظمة ترقوتها، باتجاه عنقها. تلامس عيناها عيني بقوة غريبة، فأبادلها التحديق، دون أن أرمش، وأنا آخذ مكاني بين الأوعية.

أي خيار يمكنني التعايش معه؟ ليس (المعرفة)، ولا (النزاهة). ولا نكران الذات، المكان الذي أحاول الهروب منه. ولا حتى (الوئام)، حيث أنا محطم جدًا لأنتمي إليهم.

الحقيقة هي أنني أريد لخياري أن يغرس سكينًا في قلب أبي مباشرة، أن يطعنه بأقصى قدر ممكن من الألم والإحراج وخيبة الأمل.

هناك خيار واحد فقط يمكنه فعل ذلك.

أنظر إليه، فيومئ برأسه، فأحدث شقًا عميقًا في باطن كفي، عميقًا لدرجة أن الألم يجلب الدموع لعيوني. أطردها برمشة وأكور يدي في قبضة ليتجمع الدم فيها. عيناه تشبهان عيني، زرقاوان داكنتان لدرجة تبدوان سوداوين في ضوء كهذا، مجرد حفرتين في جمجمته. ينبض ظهري ويؤلمني، ويحك قميصي ذو الياقة الجلد المتقرح هناك، الجلد الذي اهترأ بضربات ذلك الحزام.

أبسط كفي فوق الجمر. أشعر وكأنه يشتعل في معدتي، يملؤني حتى الحافة بالنار والدخان.

أنا حر.

***

لا أسمع هتافات جماعة (الشجاعة)؛ كل ما أسمعه هو طنين.

جماعتي الجديدة تبدو كمخلوق متعدد الأذرع يمتد نحوي. أتحرك تجاهه، ولا أجرؤ على النظر للخلف لأرى وجه أبي. تضرب الأيادي ذراعيّ، مهنئة إياي على خياري، وأنتقل لمؤخرة المجموعة، والدم يلف أصابعي.

أقف مع المنتقلين الجدد، بجوار فتى من (المعرفة) أسود الشعر قيّمني وتجاهلني بنظرة واحدة. لا بد أنني لا أبدو مثيرًا للإعجاب، في ملابس نكران الذات الرمادية، طويلًا وهزيلًا بعد طفرة النمو في العام الماضي. الجرح في يدي يتدفق، والدم ينسكب على الأرض ويسيل على معصمي. لقد غرست السكين بعمق زائد.

بينما يختار آخر أقراني، أقرص حاشية قميص نكران الذات الفضفاض بين أصابعي وأمزقه. أنتزع شريطًا من القماش من الأمام وألفه حول يدي لأوقف النزيف. لن أحتاج هذه الملابس بعد الآن.

يهبّ جماعة (الشجاعة) الجالسون أمامنا واقفين فور اختيار آخر شخص، ويندفعون نحو الأبواب، جارفين إياي معهم. ألتفت للخلف قبل الأبواب مباشرة، عاجزًا عن منع نفسي، وأرى أبي لا يزال جالسًا في الصف الأول، وبضعة أفراد من نكران الذات متجمهرين حوله. يبدو مذهولًا.

أبتسم ابتسامة ساخرة صغيرة. لقد فعلتها، لقد رسمت ذلك التعبير على وجهه. لست طفل نكران الذات المثالي، المحكوم عليه بأن يبتلعه النظام بالكامل ويذوب في النسيان. بدلًا من ذلك، أنا أول منتقل من نكران الذات إلى (الشجاعة) منذ أكثر من عقد.

أستدير وأركض للحاق بالآخرين، لا أريد أن أُترك خلف الركب. وقبل أن أغادر الغرفة، أفك أزرار قميصي الممزق طويل الأكمام وأدعه يسقط أرضًا. القميص الرمادي الذي أرتديه تحته لا يزال واسعًا، لكنه أدكن لونًا، وينسجم بشكل أفضل مع ملابس جماعة (الشجاعة) السوداء.

يقتحمون الدرج هبوطًا كالعاصفة، يدفعون الأبواب بقوة، يضحكون ويصرخون. أشعر بحرقة في ظهري وكتفي ورئتي وساقي، وفجأة يساورني الشك بشأن هذا الخيار الذي اتخذته، وهؤلاء القوم الذين انضممت إليهم. إنهم صاخبون وجامحون للغاية. هل يمكن حقًا أن أجد لنفسي مكانًا بينهم؟ لست أدري.

أظن أنني لا أملك خيارًا آخر.

أشق طريقي عبر الحشد، باحثًا عن رفاقي من المنتقلين الجدد، لكن يبدو أنهم اختفوا. أنتقل إلى جانب المجموعة، آملًا أن ألمح وجهتنا، فأرى قضبان

القطار معلقة فوق الشارع أمامنا، داخل قفص من الخشب والمعدن المتشابك. يصعد جماعة (الشجاعة) الدرج ويتدفقون إلى رصيف القطار. عند أسفل الدرج، كان الحشد كثيفًا لدرجة أنني لم أجد منفذًا للدخول، لكني أعلم أنني إن لم أصعد الدرج حالًا، قد يفوتني القطار، لذا أقرر شق طريقي بالقوة. أضغط على أسناني لأمنع نفسي من الاعتذار وأنا أزيح الناس بمرفقي، ويدفعني زخم الحشد صعودًا عبر الدرجات.

تقول توري وهي تقترب مني على الرصيف:

- "لستَ عداءً سيئًا. على الأقل بالنسبة لفتى من نكران الذات."

أقول:

- "شكرًا."

تلتفت وتشير إلى ضوء في البعيد، مثبت في مقدمة قطار قادم، وتقول:

- "أنت تعرف ما سيحدث تاليًا، صحيح؟ لن يتوقف. سيبطئ قليلًا فقط. وإذا لم تنجح في الصعود، انتهى أمرك. ستصبح (منبوذ). الطرد من هنا بهذه السهولة."

أومئ برأسي. لست متفاجئًا بأن اختبار الانضمام قد بدأ بالفعل، وأنه بدأ في اللحظة التي غادرنا فيها حفل الاختيار. ولست متفاجئًا أيضًا بأن جماعة (الشجاعة) يتوقعون مني إثبات جدارتي. أراقب القطار وهو يقترب؛ أستطيع سماعه الآن، يطلق صفيره على القضبان.

تبتسم لي قائلة:

- "ستبلي بلاءً حسنًا هنا، أليس كذلك؟"

- "ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟"

تهز كتفيها.

- "تبدو لي شخصًا مستعدًا للقتال، هذا كل ما في الأمر."

يدوي صوت القطار مقتربًا منا، ويبدأ جماعة (الشجاعة) في التكدس للصعود. تركض توري نحو الحافة، وأتبعها مقلدًا وقفتها وحركاتها وهي تستعد للقفز. تمسك بمقبض عند حافة الباب وتأرجح جسدها للداخل، فأفعل الشيء نفسه، متخبطًا في البداية للإمساك بالمقبض ثم أسحب نفسي للداخل بقوة.

لكنني لم أكن مستعدًا لانعطاف القطار، فأترنح ويرتطم وجهي بالجدار المعدني. أمسك بأنفي المتألم.

يقول أحد جماعة (الشجاعة) في الداخل:

- "حركة ناعمة."

إنه أصغر من توري، ذو بشرة داكنة وابتسامة مريحة.

تقول توري:

- "دع اللباقة للمتباهين من (المعرفة). لقد نجح في صعود القطار يا عمار، هذا هو المهم."

يقول عمار:

- "لكن يُفترض به أن يكون في العربة الأخرى. مع المنتقلين الجدد."

يتفحصني، لكن ليس بالطريقة التي فعلها فتى (المعرفة) المنتقل قبل دقائق. يبدو فضوليًا أكثر من أي شيء آخر، وكأنني تحفة غريبة يحتاج لفحصها بعناية ليفهمها. "إذا كان صديقك، أظن أن الأمر لا بأس به. ما اسمك يا (متزمت)؟"

يصبح الاسم على طرف لساني في اللحظة التي يسألني فيها، وأوشك أن أجيب كما أفعل دائمًا، بأنني توبياس إيتون. ينبغي أن يكون الأمر طبيعيًا، لكن في تلك اللحظة لا أطيق نطق اسمي بصوت عالٍ، ليس هنا، بين الناس الذين أملت أن يكونوا أصدقائي الجدد، عائلتي الجديدة.

لا أستطيع - بل لن أكون - ابن ماركوس إيتون بعد الآن.

أقول، مجربًا أسلوب جماعة (الشجاعة) الحاد في المزاح الذي لم أكن أسمعه إلا عبر الممرات والفصول الدراسية حتى الآن:

- "يمكنك مناداتي بـ (المتزمت) إن شئت، لا يهمني."

تندفع الرياح إلى داخل عربة القطار مع زيادة سرعته، صوتها عالٍ، يهدر في أذني.

ترمقني توري بنظرة غريبة، وللحظة أخشى أن تخبر عمار باسمي، الذي أنا واثق أنها تتذكره من اختبار القدرات. لكنها تكتفي بإيماءة صغيرة، وبشعور بالراحة، أستدير نحو الباب المفتوح، ويدي لا تزال على المقبض.

لم يخطر ببالي من قبل أنه يمكنني رفض إعطاء اسمي، أو أنني أستطيع إعطاء اسم مزيف، وأبني هوية جديدة لنفسي. أنا حر هنا، حر في الرد بحدة على الناس، وحر في رفضهم، وحر حتى في الكذب.

أرى الشارع بين العوارض الخشبية التي تدعم قضبان القطار، على بعد طابق واحد فقط تحتنا. لكن في الأمام، تفسح القضبان القديمة المجال لقضبان جديدة، وترتفع المنصات للأعلى، تلتف حول أسطح المباني. يحدث الصعود تدريجيًا، لذا لم أكن لألاحظ حدوثه لولا أنني كنت أحدق في الأرض ونحن نبتعد عنها أكثر فأكثر، صعودًا نحو السماء.

يجعل الخوف ساقي تضعفان، فأتراجع عن الباب وأنخفض جاثيًا بجوار أحد الجدران منتظرًا وصولنا إلى وجهتنا أياً كانت.

***

ما زلت على تلك الوضعية - جاثيًا بجوار الجدار، ورأسي بين يدي - حين ينكزني عمار بقدمه.

يقول بنبرة لا تخلو من اللطف:

- "انهض أيها المتزمت. حان وقت القفز تقريبًا."

- "القفز؟"

يبتسم ساخرًا.

- "أجل. هذا القطار لا يتوقف لأحد."

أدفع نفسي للوقوف. القماش الذي لففت به يدي تشرب باللون الأحمر تمامًا. تقف توري خلفي مباشرة وتدفعني نحو الباب.

تصرخ:

- "دعوا المستجد ينزل أولًا!"

أسألها مستنكرًا وأنا أقطب في وجهها:

- "ماذا تفعلين؟"

تجيب وهي تدفعني نحو الفتحة مجددًا:

- "أسدي لك معروفًا!"

يتراجع جماعة (الشجاعة) الآخرون ليفسحوا لي المجال، وكل واحد منهم يبتسم وكأنني وجبة طعام. أزحف نحو الحافة، ممسكًا بالمقبض بقوة جعلت أطراف أصابعي تتخدر. أرى المكان المفترض أن أقفز إليه؛ في الأمام، تحاذي القضبان سطح أحد المباني ثم تنعطف. تبدو الفجوة صغيرة من هنا، لكن كلما اقترب القطار، بدت أكبر وأكبر، وبدا موتي الوشيك مرجحًا أكثر فأكثر.

يرتجف جسدي بالكامل بينما يقفز جماعة (الشجاعة) من العربات التي أمامنا. لم يخطئ أي منهم السطح، لكن هذا لا يعني أنني لن أكون أول من يفشل. أنتزع أصابعي من المقبض، وأحدق في السطح، وأدفع نفسي بقوة قفزًا بكل ما أوتيت من عزم.

يسري الارتطام عبر جسدي كرجفة عنيفة، وأسقط للأمام على يدي وركبتي، فتنغرس الحصى الموجودة على السطح في كفي الجريح. أحدق في

أصابعي. أشعر وكأن الزمن قد قفز فجأة للأمام، واختفت القفزة الفعلية من بصري وذاكرتي.

يقول شخص خلفي:

- "تبًا. كنت آمل أن نكشط بعض بقايا (متزمت) مهروسة عن الرصيف لاحقًا."

أحدق في الأرض بغضب وأجلس على عقبي. السطح يميل ويتأرجح تحتي - لم أكن أعلم أن المرء قد يصاب بالدوار من شدة الخوف.

ومع ذلك، أعلم أنني اجتزت للتو اختبارين من اختبارات القبول: صعدت إلى قطار متحرك، ووصلت إلى السطح. السؤال الآن هو: كيف ينزل جماعة (الشجاعة) من هذا السطح؟

بعد لحظة، يصعد عمار على الحافة، وأحصل على إجابتي:

إنهم سيجعلوننا نقفز.

أغمض عيني وأتظاهر بأنني لست هنا، جاثيًا على هذا الحصى، محاطًا بهؤلاء المجانين الموشومين بالحبر. جئت إلى هنا لأهرب، لكن هذا ليس هروبًا، إنه مجرد نوع مختلف من التعذيب، وقد فات الأوان للخروج منه. أملي الوحيد إذن هو النجاة منه.

يصرخ عمار:

- "أهلًا بكم في جماعة (الشجاعة)! حيث إما تواجهون مخاوفكم وتحاولون ألا تموتوا أثناء ذلك، أو تغادرون كجبناء. لقد سجلنا رقمًا قياسيًا في انخفاض عدد المنتقلين من الفصائل الأخرى هذا العام، وهو أمر غير مفاجئ."

يلكم جماعة (الشجاعة) المحيطون بـ عمار الهواء ويهللون، حاملين حقيقة أن لا أحد يريد الانضمام إليهم كوسام شرف.

يقول عمار وهو يفتح ذراعيه مشيرًا للفراغ حوله:

- "الطريقة الوحيدة لدخول مجمع (الشجاعة) من هذا السطح هي القفز من هذه الحافة." يميل للخلف على كعبيه ويلوح بذراعيه وكأنه على وشك السقوط، ثم يستعيد توازنه ويبتسم. أسحب نفسًا عميقًا من أنفي وأحبسه.

- "كالعادة، أقدم فرصة القفز أولًا للمستجدين، سواء كانوا من أبناء جماعة (الشجاعة) أو غيرهم." يقفز من الحافة ويشير إليها وحاجباه مرفوعان.

يتبادل حشد (الشجاعة) الشباب قرب السطح النظرات. يقف جانبًا فتى (المعرفة) من السابق، وفتاة (الوئام)، وفتَيان وفتاة من جماعة (النزاهة). نحن ستة فقط.

يتقدم أحد جماعة (الشجاعة)، فتى أسمر البشرة يستحث هتافات أصدقائه بيديه.

تصرخ إحدى الفتيات:

- "انطلق يا زيك!"

يقفز زيك إلى الحافة لكنه يسيء تقدير القفزة ويميل للأمام فورًا، فاقدًا توازنه. يصرخ بشيء غير مفهوم ويختفي. تشهق فتاة (النزاهة) القريبة مغطية فمها بيدها، لكن أصدقاء زيك من جماعة (الشجاعة) ينفجرون ضحكًا. لا أظن أن تلك كانت اللحظة الدرامية البطولية التي كانت في ذهنه.

يشير عمار، وهو يبتسم، إلى الحافة مرة أخرى. يصطف أبناء جماعة (الشجاعة) خلفها، وكذلك فتى (المعرفة) وفتاة (الوئام). أعلم أن علي الانضمام إليهم، عليّ أن أقفز، لا يهم شعوري حيال الأمر. أتحرك نحو الصف، متصلبًا وكأن مفاصلي براغٍ صدئة. ينظر عمار في ساعته ويعطي إشارة لكل قافز بفواصل زمنية مدتها ثلاثون ثانية.

يتقلص الصف، ويتحلل.

فجأة يختفي الجميع، وأبقى أنا وحدي. أخطو إلى الحافة وأنتظر إشارة عمار. تغرب الشمس خلف المباني في البعيد، خطوطها المسننة تبدو غير مألوفة من هذه الزاوية. يتوهج الضوء بلون ذهبي قرب الأفق، وتندفع الرياح صاعدة جانب المبنى، رافعة ملابسي عن جسدي.

يقول عمار:

- "انطلق."

أغمض عيني، وأتجمد؛ لا أستطيع حتى دفع نفسي عن السطح. كل ما يسعني فعله هو الميل والسقوط. تسقط معدتي وتتخبط أطرافي في الهواء بحثًا عن شيء، أي شيء للإمساك به، لكن لا يوجد شيء، فقط السقوط، والهواء، والبحث المحموم عن الأرض.

ثم أرتطم بشبكة.

تلتف حولي، وتغلفني بخيوط قوية. تلوح لي أيادي من الحافة. أشبك أصابعي في الشبكة وأسحب نفسي نحوهم. أهبط على قدمي فوق منصة خشبية، ويبتسم لي رجل ذو بشرة بنية داكنة ومفاصل متكدّمة. إنه ماكس.

- "المتزمت!" يضربني على ظهري، مما يجعلني أجفل. "من الجيد رؤيتك تصل إلى هذا الحد. اذهب وانضم لرفاقك المستجدين. عمار سينزل خلال ثانية، أنا واثق."

خلفه نفق مظلم بجدران صخرية. مجمع جماعة (الشجاعة) يقع تحت الأرض - كنت أفترض أنه سيتدلى من مبنى شاهق عبر سلسلة من الحبال الواهية، تجسيدًا لأسوأ كوابيسي.

أحاول نزول الدرج والتوجه نحو المنتقلين الآخرين. يبدو أن ساقي عادتا للعمل. تبتسم لي فتاة (الوئام). تقول:

- "كان ذلك ممتعًا بشكل مفاجئ. أنا ميا. هل أنت بخير؟"

يقول أحد فتيي (النزاهة):

- "يبدو وكأنه يحاول ألا يتقيأ."

يضيف فتى (النزاهة) الآخر:

- "دع الأمر يحدث يا صاح. نود رؤية عرض."

يخرج ردي من حيث لا أدري:

- "اخرس."

لدهشتي، يصمتون. أظن أنهم لم يعتادوا أن يقول لهم أحد من نكران الذات "اخرس".

بعد بضع ثوانٍ، أرى عمار يتدحرج فوق حافة الشبكة. يهبط الدرج، ويبدو جامحًا وأشعثًا ومستعدًا للعمل الجنوني التالي. يشير لجميع المستجدين للاقتراب منه، ونتجمع عند فتحة النفق الفاغرة في نصف دائرة.

يصفق عمار يديه أمامه.

يقول:

- "اسمي عمار. أنا مدربكم في مرحلة الانتقال. لقد نشأت هنا، وقبل ثلاث سنوات، اجتزت الاختبار بنجاح باهر، مما يعني أنني أتولى مسؤولية القادمين الجدد للمدة التي أريدها. يا لحظكم."

- "يقوم أبناء جماعة (الشجاعة) والمنتقلون بمعظم التدريبات البدنية بشكل منفصل، حتى لا يكسر أبناء جماعة (الشجاعة) المنتقلين إلى نصفين فورًا..." عند هذا، يبتسم أبناء جماعة (الشجاعة) في الجانب الآخر من نصف الدائرة. "لكننا سنجرب شيئًا مختلفًا هذا العام. قادة جماعة (الشجاعة) وأنا نريد أن نرى ما إذا كانت معرفة مخاوفكم قبل بدء التدريب ستعدكم بشكل أفضل لبقية مرحلة الانتقال. لذا قبل أن نسمح لكم حتى بدخول قاعة الطعام لتناول العشاء، سنقوم ببعض استكشاف الذات. اتبعوني."

يسأل زيك:

- "ماذا لو لم أرغب في استكشاف ذاتي؟"

كل ما كان على عمار فعله هو النظر إليه لينكمش عائدًا إلى مجموعة أبناء جماعة (الشجاعة) مرة أخرى. عمار لا يشبه أي شخص قابلته من قبل - ودود في دقيقة وحازم في التالية، وأحيانًا كلاهما في آن واحد.

يقود الطريق عبر النفق، ثم يتوقف عند باب مبني داخل الجدار ويدفعه بكتفه ليفتحه. نتبعه إلى غرفة رطبة بها نافذة عملاقة في الجدار الخلفي. فوقنا، تومض مصابيح الفلورسنت وترتعش، وينشغل عمار بجهاز يشبه كثيرًا الجهاز المستخدم لإجراء اختبار القدرات لي. أسمع صوت تقطير - ماء من السقف يتسرب إلى بركة في الزاوية.

غرفة كبيرة وفارغة أخرى تمتد خلف النافذة. توجد كاميرات في كل زاوية - هل توجد كاميرات في كل مكان بمجمع (الشجاعة)؟

يعلن عمار دون أن يرفع نظره:

- "هذه غرفة مشهد المخاوف. مشهد المخاوف هو محاكاة تواجهون فيها أسوأ مخاوفكم."

على الطاولة بجوار الجهاز، صُف خط من الحقن. تبدو شريرة في نظري تحت الضوء الوامض، وكأنها أدوات تعذيب، سكاكين وشفرات وقضبان محمية.

يقول فتى (المعرفة):

- "كيف يعقل ذلك؟ أنت لا تعرف أسوأ مخاوفنا."

يقول عمار:

- "إريك، صحيح؟ أنت محق، أنا لا أعرف أسوأ مخاوفك، لكن المصل الذي سأحقنك به سيحفز أجزاء دماغك التي تعالج الخوف، وستبتكر أنت عقبات المحاكاة بنفسك، إن جاز التعبير. في هذه المحاكاة، وخلافًا لمحاكاة اختبار

القدرات، ستكون واعيًا بأن ما تراه ليس حقيقيًا. في غضون ذلك، سأكون أنا في هذه الغرفة، أتحكم في المحاكاة، وأستطيع أمر البرنامج المضمن في مصل المحاكاة بالانتقال إلى العقبة التالية بمجرد أن يصل معدل ضربات قلبك إلى مستوى معين – أي بمجرد أن تهدأ، بعبارة أخرى، أو تواجه خوفك بطريقة ملموسة. عندما تنفد مخاوفك، سينتهي البرنامج و(تستيقظ) في تلك الغرفة مجددًا بوعي أكبر بمخاوفك الخاصة."

يلتقط إحدى الحقن ويشير إلى إريك.

– "اسمح لي بإشباع فضولك بـ(المعرفة). ستكون الأول."

– "لكن..."

يقول عمار بسلاسة:

– "لكن، أنا مدرب الانتقال الخاص بك، ومن مصلحتك أن تفعل ما أقول."

يقف إريك ساكنًا للحظة، ثم يخلع سترته الزرقاء، ويطويها إلى نصفين، ويعلقها على ظهر كرسي. حركاته بطيئة ومدروسة – مصممة، كما أظن، لاستفزاز عمار قدر الإمكان. يقترب إريك من عمار، الذي يغرس الإبرة بوحشية تقريبًا في جانب عنق إريك. ثم يوجه إريك نحو الغرفة التالية.

بمجرد وقوف إريك في منتصف الغرفة خلف الزجاج، يوصل عمار نفسه بجهاز المحاكاة عبر أقطاب كهربائية ويضغط شيئًا على شاشة الكمبيوتر خلفه ليبدأ البرنامج.

إريك ساكن، يداه بجانبي جسده. يحدق فينا عبر النافذة، وبعد لحظة، ورغم أنه لم يتحرك، يبدو كأنه يحدق في شيء آخر، وكأن المحاكاة قد بدأت. لكنه لا يصرخ أو يتخبط أو يبكي، كما كنت أتوقع من شخص يحدق في وجه أسوأ مخاوفه. معدل ضربات قلبه، المسجل على الشاشة أمام عمار، يرتفع ويرتفع، كطائر يقلع للطيران.

إنه خائف. إنه خائف، لكنه لا يتحرك حتى.

تسألني ميا:

- "ماذا يحدث؟ هل يعمل المصل؟"

أومئ برأسي.

أراقب إريك يأخذ نفسًا عميقًا إلى جوفه ويخرجه من أنفه. يرتجف جسده، يرتعد، وكأن الأرض تميد تحته، لكن أنفاسه بطيئة ومنتظمة، وعضلاته تتقلص ثم تسترخي كل بضع ثوانٍ، وكأنه يتوتر عن غير قصد ثم يصحح خطأه. أراقب معدل ضربات قلبه على الشاشة أمام عمار، أراقبه يتباطأ أكثر فأكثر حتى ينقر عمار على الشاشة، مجبرًا البرنامج على الانتقال.

يتكرر هذا مرارًا وتكرارًا مع كل خوف جديد. أحصي المخاوف وهي تمر في صمت؛ عشرة، أحد عشر، اثنا عشر. ثم ينقر عمار على الشاشة للمرة الأخيرة، ويسترخي جسد إريك. يرمش ببطء، ثم يبتسم بسخرية نحو النافذة.

ألاحظ أن أبناء جماعة (الشجاعة)، الذين عادة ما يسارعون للتعليق على كل شيء، صامتون. لا بد أن هذا يعني أن ما أشعر به صحيح - إريك شخص يجب الحذر منه. وربما حتى شخص يجب الخوف منه.

***

لأكثر من ساعة أراقب المستجدين الآخرين يواجهون مخاوفهم؛ يركضون ويقفزون ويصوبون أسلحة غير مرئية، وفي بعض الحالات، يستلقون ووجوههم للأسفل على الأرض، ينتحبون. أحيانًا أحصل على إحساس بما يرونه، بتلك المخاوف الزاحفة والمتسللة التي تعذبهم، لكن في معظم الأحيان يكون الأشرار الذين يصدونهم خاصين بهم، لا يعرفهم سواهم وعمار.

أبقى قرب مؤخرة الغرفة، أنكمش في كل مرة ينادي فيها على الشخص التالي. لكنني أصبحت الأخير في الغرفة، وميا تنهي لتوها، تُسحب من مشهد مخاوفها وهي جاثية قبالة الجدار الخلفي، ورأسها بين يديها. تنهض، وتبدو متهالكة، وتجر قدميها خارجة من الغرفة دون انتظار إذن عمار بالانصراف.

يلقي نظرة على الحقنة الأخيرة على الطاولة، ثم عليّ.

يقول:

- "بقينا أنا وأنت فقط، أيها المتزمت. تعال، لننتهِ من هذا."

أقف أمامه. بالكاد أشعر بدخول الإبرة؛ لم يكن لدي مشكلة مع الحقن من قبل، رغم أن عيون بعض المستجدين الآخرين دمعت قبل الحقن. أدخل الغرفة التالية وأواجه النافذة، التي تبدو كمرآة من هذا الجانب. في اللحظة التي تسبق سريان مفعول المحاكاة، أستطيع رؤية نفسي بالطريقة التي لا بد أن الآخرين رأوني بها؛ مترهلًا ومدفونًا في القماش، طويلًا وعظميًا ونازفًا. أحاول الوقوف باستقامة، وأتفاجأ بالفرق الذي يحدثه ذلك، أتفاجأ بظل القوة الذي أراه في نفسي قبل اختفاء الغرفة مباشرة.

تملأ الصور الفراغ كشظايا؛ أفق مدينتنا، الحفرة في الرصيف على بعد سبعة طوابق تحتي، خط الحافة تحت قدمي. تندفع الرياح صاعدة جانب المبنى، أقوى مما كانت عليه حين كنت هنا في الواقع، تجلد ملابسي بقوة حتى أنها تطقطق، وتدفعني من كل الزوايا. ثم ينمو المبنى وأنا فوقه، مبعدًا إياي عن الأرض. تنغلق الحفرة، ويغطيها رصيف صلب.

أنكمش مبتعدًا عن الحافة، لكن الرياح لا تدعني أتحرك للخلف. يخفق قلبي بقوة وسرعة أكبر وأنا أواجه حقيقة ما علي فعله؛ عليّ القفز مجددًا، وهذه المرة دون ثقة بأنه لن يكون هناك ألم حين أرتطم بالأرض.

سأصبح فطيرة متزمت.

أنفض يديّ، وأعتصر عينيّ إغلاقًا، وأصرخ مكتومًا بين أسناني. ثم أطاوع دفع الرياح وأسقط، بسرعة. أرتطم بالأرض.

يسري ألم حارق، أبيض من شدة التوهج، عبر جسدي، لثانية واحدة فقط.

أنهض، أمسح الغبار عن خدي، وأنتظر العقبة التالية. ليس لدي أي فكرة عما ستكون. لم أستغرق وقتًا طويلًا للتفكير في مخاوفي، أو حتى في معنى أن أكون متحررًا من الخوف، أو أن أقهره. يخطر ببالي أنني بدون الخوف، قد أكون قويًا، جبارًا، لا يمكن إيقافي.

تغويني الفكرة لثانية واحدة قبل أن يضرب شيء ظهري، بقوة.

ثم يضرب شيء جانبي الأيسر، وجانبي الأيمن، وأجد نفسي محبوسًا في صندوق لا يتسع إلا لجسدي. تحميني الصدمة من الذعر في البداية، ثم أتنفس الهواء المحبوس وأحدق في الظلام الفارغ، وتعتصر أحشائي أكثر فأكثر. لم أعد أستطيع التنفس. لا أستطيع التنفس.

أعض على شفتي لأمنع نفسي من النحيب – لا أريد لعمار أن يراني أبكي، لا أريد أن يخبر جماعة (الشجاعة) أنني جبان. علي أن أفكر، لا أستطيع التفكير، وسط اختناق هذا الصندوق. الجدار الملاصق لظهري هنا هو نفس الجدار الذي في ذاكرتي، منذ كنت صغيرًا، محبوسًا في الظلام في ممر الطابق العلوي كعقاب. لم أكن واثقًا أبدًا متى سينتهي الأمر، كم ساعة سأظل عالقًا هناك مع وحوش خيالية تزحف نحوي في الظلام، مع صوت نحيب أمي المتسرب عبر الجدران.

أضرب بيديّ على الجدار أمامي، مرارًا وتكرارًا، ثم أخدشه بأظافري، رغم أن الشظايا تطعن الجلد تحت أظافري. أرفع ساعدي وأضرب الصندوق بكل ثقل جسدي، مرة تلو الأخرى، مغلقًا عيني لأتظاهر بأنني لست هنا، لست هنا. أخرجوني أخرجوني أخرجوني أخرجوني.

يصرخ صوت:

- "فكر في الأمر أيها المتزمت!"

فأسكن. أتذكر أن هذه محاكاة.

فكر في الأمر. ماذا أحتاج للخروج من هذا الصندوق؟ أحتاج أداة، شيئًا أقوى مني. أنكز شيئًا بأصابع قدمي وأنحني لالتقاطه. لكن عندما أنحني، يتحرك سقف الصندوق معي، ولا أستطيع الاستقامة مجددًا. أبتلع صرخة وأعثر بأصابعي على الطرف المدبب لعتلة. أحشرها بين الألواح التي تشكل الزاوية اليسرى للصندوق وأدفع بكل قوتي.

تقفز جميع الألواح مبتعدة في آن واحد وتسقط على الأرض حولي. أتنفس الهواء النقي، شاعرًا بالراحة.

ثم تظهر امرأة أمامي. لا أعرف وجهها، وملابسها بيضاء، لا تنتمي لأي فصيلة. أتحرك نحوها، فتقفز طاولة أمامي، وعليها مسدس ورصاصة. أقطب جبيني ناظرًا إليها.

هل هذا خوف؟

أسألها:

- "من أنتِ؟"

فلا تجيب.

من الواضح ما يفترض بي فعله - تلقيم المسدس، وإطلاق الرصاصة. يتعاظم الرعب في داخلي، قويًا كأي خوف آخر. يجف فمي، وأتخبط ممسكًا بالرصاصة والمسدس. لم أمسك مسدسًا من قبل، لذا يستغرقني الأمر بضع ثوانٍ لأعرف كيف أفتح مخزن المسدس. في تلك الثواني أفكر في الضوء وهو يغادر عينيها، هذه المرأة التي لا أعرفها، لا أعرف ما يكفي لأهتم لأمرها.

أنا خائف - خائف مما سيُطلب مني فعله في جماعة (الشجاعة)، ومما سأرغب أنا في فعله.

خائف من نوع ما من العنف الخفي داخلي، الذي صاغه أبي وسنوات الصمت التي فرضتها عليّ فصيلتي.

أزلق الرصاصة في المخزن، ثم أمسك المسدس بكلتا يديّ، والجرح في كفي ينبض ألمًا. أنظر إلى وجه المرأة. ترتجف شفتها السفلى، وتمتلئ عيناها بالدموع.

أقول:

- "أنا آسف."

وأسحب الزناد.

أرى الثقب المظلم الذي تخلفه الرصاصة في جسدها، وتسقط على الأرض، متبخرة في سحابة من الغبار بمجرد ملامستها.

لكن الرعب لا يزول. أعرف أن شيئًا قادمًا؛ أستطيع الشعور به يتراكم داخلي. ماركوس لم يظهر بعد، وسيفعل، أعرف ذلك يقينًا كما أعرف اسمي. اسمنا.

تغلفني دائرة من الضوء، وعند حافتها، أرى حذاءً رماديًا مهترئًا يذرع المكان جيئة وذهابًا. يخطو أبي (ماركوس إيتون) إلى حافة الضوء، لكن ليس ماركوس إيتون الذي أعرفه. هذا يملك حفرتين مكان عينيه وفجوة سوداء فاغرة بدلًا من الفم.

يقف ماركوس إيتون آخر بجانبه، وببطء، حول الدائرة كلها، تتقدم نسخ وحشية أكثر فأكثر من أبي لتحيط بي، أفواهها الفاغرة الخالية من الأسنان مفتوحة على مصراعيها، ورؤوسها تميل بزوايا غريبة. أعتصر يديّ في قبضتين. إنه ليس حقيقيًا. من الواضح أنه ليس حقيقيًا.

يفك الماركوس الأول حزامه ويسحبه من حول خصره، حلقة تلو الأخرى، وبينما يفعل ذلك، يفعل الماركوسات الآخرون المثل. وفي تلك الأثناء، تتحول الأحزمة إلى حبال مصنوعة من المعدن، شائكة الأطراف. يجرون أحزمتهم في

خطوط عبر الأرض، وألسنتهم السوداء الزيتية تنزلق فوق حواف أفواههم المظلمة. في آن واحد يسحبون الحبال المعدنية للخلف، وأصرخ بأعلى رئتي، لافًا ذراعي حول رأسي.

تقول نسخ ماركوس بأصوات معدنية موحدة، كالجوقة:

- "هذا لمصلحتك."

أشعر بالألم، تمزيق، تقطيع، تشريط. أسقط على ركبتي وأضغط بذراعي على أذني وكأنها تستطيع حمايتي، لكن لا شيء يمكنه حمايتي، لا شيء. أصرخ مرارًا وتكرارًا لكن الألم يستمر، وكذلك صوته. "لن أسمح بالسلوك المترف في منزلي!" "لم أربِّ ابني ليكون كاذبًا!"

لا أستطيع السماع، لن أسمع.

صورة المنحوتة التي أعطتني إياها أمي تطفو في ذهني، دون استدعاء. أراها حيث وضعتها على مكتبي، ويبدأ الألم في الانحسار. أركز كل أفكاري عليها وعلى الأشياء الأخرى المتناثرة حول غرفتي، المحطمة، وغطاء الصندوق المخلوع من مفصلاته. أتذكر يدي أمي، بأصابعها النحيلة، تغلق الصندوق وتقفله وتناولني المفتاح.

واحداً تلو الآخر، تختفي الأصوات، حتى لم يعد يتبقى منها شيء.

أدع ذراعي تسقطان على الأرض، منتظرًا العقبة التالية. تحتك مفاصل يدي بالأرضية الحجرية، الباردة والخشنة بالتراب. أسمع خطوات وأجهز نفسي لما هو قادم، لكن بعد ذلك أسمع صوت عمار:

- "هذا فقط؟ هذا كل ما في الأمر؟ يا إلهي، أيها المتزمت."

يتوقف بجواري ويمد لي يده. آخذها وأدعه يسحبني للوقوف. لا أنظر إليه. لا أريد رؤية تعبير وجهه. لا أريده أن يعرف ما عرفه، لا أريد أن أصبح المستجد المثير للشفقة بطفولته المضطربة.

يقول بنبرة عادية:

- "يجب أن نبتكر لك اسمًا آخر. شيئًا أقسى من (متزمت). مثل (نصل) أو (قاتل) أو شيء من هذا القبيل."

عندها أنظر إليه. إنه يبتسم قليلًا. أرى بعض الشفقة في تلك الابتسامة، لكن ليس بقدر ما ظننت.

يقول:

- "أنا أيضًا لم أكن لأرغب في إخبار الناس باسمي. تعال، لنحصل على بعض الطعام."

***

يرافقني عمار إلى طاولة المستجدين بمجرد وصولنا لقاعة الطعام. هناك قلة من جماعة (الشجاعة) يجلسون بالفعل على الطاولات المحيطة، يرمقون الجانب الآخر من الغرفة، حيث لا يزال الطهاة ذوو الأوشام والثقوب يرتبون الطعام. قاعة الطعام عبارة عن كهف مضاء من الأسفل بمصابيح بيضاء مزرقة، تضفي على كل شيء توهجًا غريبًا.

أجلس في أحد الكراسي الفارغة.

يقول إريك، ويبتسم أحد فتيي (النزاهة):

- "يا للهول أيها المتزمت. تبدو وكأنك على وشك الإغماء."

يقول عمار:

- "لقد خرجتم جميعًا أحياء. تهانيّ. لقد اجتزتم اليوم الأول من المرحلة الانتقالية، بدرجات متفاوتة من النجاح." ينظر إلى إريك. "لكن لم يبلِ أحد منكم بلاءً حسنًا مثل فور (أربعة) هنا."

يشير إليّ وهو يتحدث. أقطب جبيني - أربعة؟ هل يتحدث عن مخاوفي؟

ينادي عمار من فوق كتفه:

- "هاي، توري. هل سمعت من قبل عن شخص لديه أربعة مخاوف فقط في مشهد مخاوفه؟"

ترد توري بصوت عالٍ:

- "آخر ما سمعته، الرقم القياسي كان سبعة أو ثمانية. لماذا؟"

- "لدي هنا منتقل بأربعة مخاوف فقط."

تشير توري إلي، ويومئ عمار.

تقول توري:

- "لا بد أن هذا رقم قياسي جديد."

يقول لي عمار:

- "أحسنت صنعًا." ثم يستدير ويمشي نحو طاولة توري.

يحدق بي جميع المستجدين الآخرين، بأعين متسعة وصمت. قبل مشهد المخاوف، كنت مجرد شخص يمكنهم الدوس عليه في طريقهم لعضوية جماعة (الشجاعة). الآن أنا مثل إريك - شخص يستحق الحذر منه، وربما حتى شخص يستحق الخوف منه.

لقد أعطاني عمار أكثر من مجرد اسم جديد. لقد أعطاني قوة.

يسألني إريك وهو يضيق عينيه:

- "ما هو اسمك الحقيقي مرة أخرى؟ يبدأ بحرف التاء...؟"

وكأنه يعرف شيئًا لكنه غير واثق أن الوقت مناسب لمشاركته.

قد يتذكر الآخرون اسمي أيضًا، بشكل غامض، من حفل الاختيار، كما أتذكر أسماءهم - مجرد حروف في أبجدية، مدفونة تحت ضباب التوتر وأنا أترقب خياري. إذا ضربت ذاكرتهم الآن، بأقصى ما أستطيع، وأصبحت لا أُنسى بهيئتي كفتي (الشجاعة) قدر الإمكان، فربما أستطيع إنقاذ نفسي.

أتردد للحظة، ثم أضع مرفقي على الطاولة وأرفع حاجبًا في وجهه.

أقول:

- "اسمي هو فور. نادني بـ (المتزمت) مرة أخرى وسيصبح بيني وبينك مشكلة."

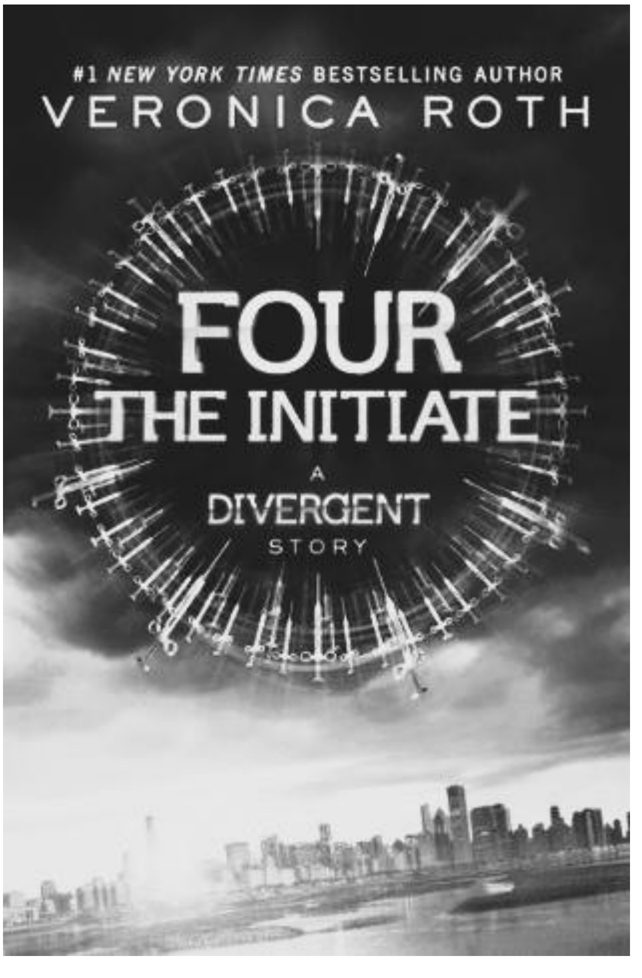
يقلب

عينيه، لكني أعلم أنني أوصلت رسالتي بوضوح. لدي اسم جديد، مما يعني أنني أستطيع أن أكون شخصًا جديدًا. شخصًا لا يتسامح مع التعليقات الجارحة من متحذلقي (المعرفة). شخصًا يستطيع الرد بالمثل. شخصًا مستعدًا أخيرًا للقتال.

فور.

القصة الثانية:

المبتدئ



الشجاعة

تعبق غرفة التدريب برائحة الجهد؛ مزيج من العرق، والغبار، ورائحة الأحذية. في كل مرة تصطدم فيها قبضتي بكيس الملاكمة، تلسعني مفاصل أصابعي التي تشققت جراء أسبوع كامل من قتالات جماعة "الشجاعة".

قال عمار وهو يستند إلى إطار الباب، عاقداً ذراعيه أمام صدره:

- "أظن أنك اطلعت على لوحات النتائج، وأدركت أن خصمك غداً هو إريك؛ وإلا لكنت الآن في غرفة محاكاة الخوف بدلاً من هنا."

تراجعتُ عن الكيس نافضاً يديّ، وقلت:

- "أنا آتي إلى هنا أيضاً."

في بعض الأحيان، أقبض يدي بقوة لدرجة أنني أفقد الإحساس بأطراف أصابعي.

كدتُ أخسر قتالي الأول أمام ميا، فتاة جماعة "الوئام". لم أكن أعرف كيف أهزمها دون أن أضربها، ولم أستطع ضربها - على الأقل، لم أستطع حتى أحكمت قبضتها حول عنقي وبدأ بصري يسودّ عند الأطراف. حينها تولت غرائزي القيادة، وبضربة كوع قاسية واحدة على فكها، طرحتها أرضاً.

ما زلت أشعر بالذنب يعتصر أحشائي كلما فكرت في ذلك الأمر.

وكدت أخسر القتال الثاني أيضاً أمام شون، الفتى الأضخم جسداً من جماعة "النزاهة". لقد أنهكته بصمودي، زاحفاً للوقوف على قدمي في كل مرة ظن فيها أنني انتهيت. لم يكن يعلم أن التحامل على الألم هو إحدى أقدم عاداتي التي تعلمتها صغيراً؛ تماماً كقضم ظفر إبهامي، أو الإمساك بالشوكة بيدي اليسرى بدلاً من اليمنى. والآن، بات وجهي مرقعاً بالكدمات والجروح، لكنني أثبتت جدارتي.

غداً خصمي هو إريك. والتغلب عليه سيتطلب أكثر من مجرد حركة ذكية أو إصرار؛ سيتطلب مهارة لا أملكها، وقوة لم أكتسبها بعد.

ضحك عمار وقال:

- "أجل، أعرف ذلك. انظر، لقد قضيت وقتاً طويلاً أحاول فهم حقيقتك، لذا رحت أسأل عنك. اتضح أنك تكون هنا كل صباح، وفي غرفة محاكاة الخوف كل ليلة. أنت لا تقضي أي وقت مع المبتدئين الآخرين. تبدو منهكاً دائماً وتنام كالجثث."

تدحرجت قطرة عرق خلف أذني، فمسحتها بأصابعي المغطاة بالشريط اللاصق، ثم مسحت ذراعي فوق جبهتي.

تابع عمار وهو يشبك أصابعه بالسلسلة التي يتدلى منها كيس الملاكمة مختبراً قوتها:

- "الانضمام إلى جماعة يعني أكثر من مجرد اجتياز مرحلة التدريب، كما تعلم. بالنسبة لمعظم أبناء الشجاعة، فإنهم يلتقون بأعز أصدقائهم خلال فترة التدريب، وبشركاء حياتهم، أو أياً كان. والأعداء أيضاً. لكن يبدو أنك مصمم على ألا تحظى بأي من هذه الأشياء."

لقد رأيت المبتدئين الآخرين معاً، يذهبون لثقب أجسادهم معاً، ويظهرون في التدريب بأنوف وآذان وشفاه حمراء مرصعة بالأقراط، أو يبنون أبراجاً من بقايا الطعام على مائدة الإفطار.

لم يخطر ببالي قط أنني قد أكون واحداً منهم، أو حتى أنه يجدر بي المحاولة.

هزرت كتفي وقلت:

- "اعتدتُ أن أكون وحيداً."

قال:

- "حسناً، أشعر أنك على وشك الانهيار، ولا أريد حقاً أن أكون موجوداً حين يحدث ذلك. تعال معي. مجموعة منا ستلعب لعبة الليلة. لعبة خاصة بالشجعان."

عبثتُ بالشريط الذي يغطي أحد مفاصل يدي.

لا ينبغي لي الخروج واللعب. يجب أن أبقى هنا وأعمل، ثم أنام لأكون مستعداً للقتال غداً.

لكن ذلك الصوت، الصوت الذي يقول "يجب"، بات يبدو لي الآن كصوت أبي، يأمرني بأن أتصرف بتهذيب، وأن أعزل نفسي. وأنا جئت إلى هنا لأنني كنت مستعداً للتوقف عن الاستماع لذلك الصوت.

قال عمار:

- "أنا أعرض عليك بعض المكانة بين الشجعان لسبب وحيد، وهو أنني أشفق عليك. لا تكن غبياً وتضيع هذه الفرصة."

قلت:

- "حسناً، ما هي اللعبة؟"

اكتفى عمار بالابتسام.

***

قالت لورين، وهي فتاة من "الشجاعة":

- "اللعبة هي (الجرأة)."

كانت تمسك بالمقبض الجانبي لعربة القطار، لكنها ظلت تترنح حتى تكاد تسقط، ثم تقهقه وتسحب نفسها للداخل مجدداً، وكأن القطار ليس معلقاً بارتفاع طابقين فوق الشارع، وكأنها لن تكسر عنقها لو سقطت.

كانت في يدها الحرة قارورة فضية؛ وهذا يفسر الكثير.

أمالت رأسها وتابعت:

- "يختار الشخص الأول شخصاً آخر ويتحداه بجرأة ليفعل شيئاً ما. ثم يشرب ذلك الشخص، وينفذ التحدي، ويحصل على فرصة لتحدي شخص آخر. وحين ينتهي الجميع من تنفيذ تحدياتهم - أو يموتون وهم يحاولون - نكون قد سكرنا قليلاً ونترنح عائدين للمنزل."

صاح أحد الشجعان من الجانب الآخر للعربة، وهو فتى يجلس متراخياً بجانب عمار وكأنهما صديقان قديمان أو شقيقان:

- "وكيف تفوز؟"

لستُ المبتدئ الوحيد في العربة. يجلس في المقابل زيك، الذي كان أول القافزين، وفتاة ذات شعر بني وغرة مقصوصة باستقامة فوق جبهتها، ولديها ثقب في شفتها. الآخرون أكبر سناً، أعضاء كاملون في "الشجاعة". لديهم نوع من الارتياح في التعامل مع بعضهم البعض؛ يميلون على بعضهم، يلكمون أذرع بعضهم مازحين، يبعثرون شعر بعضهم. إنها الزمالة والصداقة والمغازلة، ولا شيء من هذا مألوف بالنسبة لي. حاولت الاسترخاء، طاوياً ذراعي حول ركبتي.

أنا حقاً متزمت.

قالت لورين:

- "تفوز بأن لا تكون شخصاً رخواً. ومهلاً، قاعدة جديدة: تفوز أيضاً بعدم طرح أسئلة غبية. سأبدأ أنا، بصفتي حارسة الكحول."

أضافت:

- "عمار، أتحداك أن تدخل مكتبة جماعة (المعرفة) بينما جميع (الأنوف) يدرسون، وتصرخ بشيء بذيء."

أحكمت غطاء القارورة ورمتها إليه. هتف الجميع بحماس بينما نزع عمار الغطاء وتجرع جرعة من أي سائل كان بداخلها.

صاح عمار وسط الهتافات:

- "فقط أخبروني حين نصل إلى المحطة الصحيحة!"

لوح زيك بيده نحوي وقال:

- "مرحباً، أنت من المنتقلين، أليس كذلك؟ فور؟"

قلت:

- "أجل. قفزة أولى موفقة."

أدركتُ - متأخراً - أنها قد تكون نقطة حساسة لديه؛ لحظة انتصاره التي سرقتها خطوة خاطئة وفقدان للتوازن. لكنه اكتفى بالضحك وقال:

- "أجل، لم تكن أفضل لحظاتي."

قالت الفتاة التي بجانبه:

- "ليس وكأن أي شخص آخر تقدم للقيام بها. أنا شونا بالمناسبة. هل صحيح أن لديك أربعة مخاوف فقط؟"

قلت:

- "ومن هنا جاء الاسم."

أومأت برأسها وقالت:

- "واو."

بدت مندهشة، مما جعلني أعتدل في جلستي.

تابعت:

- "أخمن أنك ولدت شجاعاً."

هززت كتفي، وكأن ما قالته قد يكون صحيحاً، رغم يقيني بأنه ليس كذلك.

هي لا تعلم أنني جئت إلى هنا لأهرب من الحياة التي كنت مقدراً لها، وأنني أقاتل بشراسة لاجتياز التدريب كي لا أضطر للاعتراف بأنني دجال. مولود في (نكران الذات)، ونتيجة اختباري كانت (نكران الذات)، في ملاذ الشجعان.

انحنت زوايا فمها للأسفل، وكأنها حزينة بشأن شيء ما، لكنني لم أسأل عما هو.

سألني زيك:

- "كيف تسير قتالاتك؟"

قلت وأنا ألوح بيدي فوق وجهي المكدوم:

- "بخير. كما يمكنك أن تلاحظ بوضوح."

أدار زيك رأسه ليريني كدمة كبيرة أسفل فكه وقال:

- "تحقق من هذه. هذا بفضل هذه الفتاة هنا."

أشار بإبهامه نحو شونا.

قالت شونا:

- "لقد هزمَني. لكنني سددت ضربة جيدة، لمرة واحدة. أنا أستمر في الخسارة."

قلت:

- "ألا يزعجكِ أنه ضربكِ؟"

قالت:

- "ولِمَ قد يزعجني؟"

قلت:

- "لا أدري... لأنكِ... فتاة؟"

رفعت حاجبيها وقالت:

- "ماذا؟ هل تظن أنني لا أستطيع التحمل مثل أي مبتدئ آخر فقط لأنني أملك أعضاء أنثوية؟"

أشارت إلى صدرها، وضبطت نفسي أحدق لثانية واحدة فقط قبل أن أتذكر أن أشيح بنظري، وقد اشتعل وجهي خجلاً.

قلت:

- "آسف. لم أقصد ذلك. أنا فقط لست معتاداً على هذا. على أي شيء من هذا."

قالت وهي لا تبدو غاضبة:

- "بالتأكيد، فهمت ذلك. لكن يجب أن تعرف هذا عن الشجاعة: فتاة، فتى، أياً كان، الأمر لا يهم هنا. ما يهم هو ما تملكه في أحشائك من شجاعة."

ثم نهض عمار، واضعاً يديه على خصريه في وقفة درامية، وسار نحو الباب المفتوح. انخفض القطار، ولم يتمسك عمار بأي شيء، بل تمايل وتحرك مع حركة العربة. نهض الجميع، وكان عمار أول القافزين، ملقياً بنفسه في جوف الليل. تدفق الآخرون خلفه، وتركت الناس خلفي يحملونني نحو الفتحة. لست خائفاً من سرعة القطار، بل من الارتفاعات فقط، لكن القطار هنا كان قريباً من الأرض، لذا حين قفزت، فعلت ذلك بلا خوف. هبطت على قدمي، متعثراً لبضع خطوات قبل أن أتوقف.

قال عمار وهو ينكزني بكوعه:

- "انظر إليك، بدأت تكتسب توازن القطارات. خذ، ارتشف رشفة. يبدو أنك بحاجة إليها."

مد لي القارورة.

لم يسبق لي تذوق الكحول. جماعة "نكران الذات" لا يشربونه، لذا لم يكن متوفراً أصلاً. لكنني رأيت كيف يبدو أنه يجعل الناس مرتاحين، وأنا أرغب بشدة في أن أشعر بأنني لست محبوساً داخل جلد ضيق جداً عليّ، لذا لم أتردد: أخذت القارورة وشربت.

حرق الكحول حلقي وكان طعمه كالدواء، لكنه انزلق بسرعة، تاركاً إياي دافئاً.

قال عمار:

- "عمل جيد."

ثم انتقل إلى زيك، لافاً ذراعه حول عنق زيك وساحباً رأسه نحو صدره، وقال:

- "أرى أنك قابلت صديقي الشاب إزكيال."

قال زيك وهو يدفع عمار عنه:

- "فقط لأن أمي تناديني بذلك لا يعني أنه يجب عليك أنت أيضاً. جدا عمار كانا صديقين لوالديّ."

نظر إليّ وهو يوضح العلاقة.

سألت عمار:

- "كانا؟"

قال زيك:

- "حسناً، والدي ميت، وكذلك الجدان."

سألت عمار:

- "ماذا عن والديك؟"

هز كتفيه وقال:

- "ماتا حين كنت صغيراً. حادث قطار. أمر محزن جداً."

ابتسم ابتسامة عريضة وكأن الأمر ليس كذلك، وتابع:

- "وجداي قاما بالقفزة بعد أن أصبحت عضواً رسمياً في الشجاعة."

لوح بيده بحركة مائلة توحي بالغوص.

- "القفزة؟"

قال زيك وهو يهز رأسه:

- "أوه، لا تخبره وأنا موجود. لا أريد رؤية التعبير على وجهه."

لم يلقِ عمار بالاً وتابع:

- "كبار السن في الشجاعة يقومون أحياناً بقفزة طائرة نحو المجهول في (الهاوية) حين يبلغون سناً معيناً. الخيار هو إما ذلك أو أن يصبحوا بلا جماعة. وجدي كان مريضاً جداً. سرطان. ولم ترغب جدتي في الاستمرار بدونه."

أمال رأسه نحو السماء، وعكست عيناه ضوء القمر. للحظة شعرت وكأنه يريني ذاتاً سرية، ذاتاً مخبأة بعناية تحت طبقات من السحر والفكاهة وتبجح الشجعان، وقد أخافني ذلك؛ لأن تلك الذات السرية كانت صلبة، وباردة، وحزينة.

قلت:

- "أنا آسف."

قال عمار:

- "بهذه الطريقة على الأقل، تمكنت من توديعهم. في معظم الأحيان يأتي الموت سواء قلت وداعاً أم لا."

تلاشت الذات السرية بلمضة ابتسامة، وهرول عمار نحو بقية المجموعة والقارورة في يده. بقيت في الخلف مع زيك. كان يركض بخطوات واسعة، أخرق ورشيقاً في آن واحد بطريقة ما، مثل كلب بري.

قال زيك:

- "ماذا عنك؟ هل لديك والدان؟"

قلت:

- "واحد. أمي ماتت منذ زمن بعيد."

أتذكر الجنازة، وجميع أفراد (نكران الذات) يملأون منزلنا بثرثرة خافتة، باقين معنا في حزننا. كانوا يحملون إلينا وجبات على صوانٍ معدنية مغطاة برقائق القصدير، ونظفوا مطبخنا، ووضبوا كل ملابس أمي في صناديق، حتى لم

يعد لها أي أثر. أتذكر همسهم بأنها ماتت بسبب مضاعفات ولادة طفل آخر. لكنني كنت أملك ذكرى لها، قبل بضعة أشهر من موتها، تقف أمام خزانة ملابسها، تزرر قميصها الثاني الفضفاض فوق القميص الداخلي الضيق، وكانت بطنها مسطحة. هززت رأسي قليلاً طارداً الذكرى. إنها ميتة. وتلك ذاكرة طفل، لا يمكن الاعتماد عليها.

قال:

- "ووالدك، هل هو موافق على اختيارك؟ يوم الزيارة يقترب كما تعلم."

قلت بشرود:

- "لا. هو ليس موافقاً على الإطلاق."

لن يأتي أبي في يوم الزيارة. أنا واثق من ذلك. لن يتحدث إليّ مرة أخرى أبداً.

كان قطاع "المعرفة" أنظف من أي جزء آخر في المدينة؛ كل قصاصة قمامة أو ركام أزيلت من الرصيف، وكل شق في الشارع سُد بالقطران. شعرت بأن عليّ المشي بحذر كي لا ألوث الرصيف بحذائي الرياضي. أما بقية الشجعان فكانوا يمشون بلا مبالاة، وتصدر نعال أحذيتهم أصوات صفع كالمطر المنهمر.

يُسمح لكل مقر جماعة بإضاءة الأنوار في ردهته عند منتصف الليل، لكن يفترض أن يكون كل شيء آخر مظلماً. هنا، في قطاع المعرفة، كان كل مبنى يشكل المقر الرئيسي يبدو كعمود من نور. النوافذ التي مررنا بها كانت تظهر أفراد المعرفة جالسين على طاولات طويلة، أنوفهم مدفونة في كتب أو شاشات، أو يتحدثون بهدوء لبعضهم البعض. الصغار والكبار يختلطون على كل طاولة، بملابسهم الزرقاء التي لا تشوبها شائبة، وشعرهم الأملس، وأكثر من نصفهم يرتدون نظارات لامعة.

الغرور، كما كان سيقول أبي. إنهم مهتمون جداً بأن يبدوا أذكياء لدرجة أنهم يجعلون من أنفسهم حمقى في سبيل ذلك.

توقفت لمراقبتهم. لم يبدوا مغرورين في نظري. بدوا كأناس يبذلون كل جهد ليشعروا بالذكاء الذي يُفترض بهم امتلاكه. إذا كان ذلك يعني ارتداء نظارات دون وصفة طبية، فليس من شأني الحكم عليهم. إنهم ملاذ كان يمكن أن أختاره. لكنني بدلاً من ذلك اخترت الملاذ الذي يسخر منهم عبر النوافذ، والذي يرسل عمار إلى ردهتهم لإحداث جلبة.

وصل عمار إلى أبواب مبنى المعرفة المركزي ودفعها للدخول. راقبنا من الخارج ونحن نكتم ضحكاتنا. نظرتُ عبر الأبواب إلى صورة جانيين ماثيوز المعلقة على الجدار المقابل. كان شعرها الأصفر مشدوداً للخلف عن وجهها، وسترتها الزرقاء مزررة حتى أسفل حلقها مباشرة. إنها جميلة، لكن هذا ليس أول ما لاحظته بشأنها. حدتها كانت هي الملاحظة الأولى.

وأبعد من ذلك – قد يكون مجرد خيالي – لكن ألا تبدو خائفة قليلاً؟

ركض عمار إلى داخل الردهة، متجاهلاً احتجاجات أفراد المعرفة عند مكتب الاستقبال، وصرخ:

– "مرحباً أيها الأنوف! انظروا إلى هذا!"

رفع جميع أفراد المعرفة في الردهة رؤوسهم عن كتبهم وشاشاتهم، وانفجر الشجعان بالضحك حين استدار عمار وكشف عن مؤخرته لهم. ركض موظفو المعرفة خلف المكتب للإمساك به، لكن عمار رفع بنطاله وركض نحونا. بدأنا جميعاً بالركض أيضاً، منطلقين بسرعة بعيداً عن الأبواب.

لم أستطع تمالك نفسي – كنت أضحك أنا أيضاً، وفاجأني كيف أن معدتي آلمتني من الضحك. ركض زيك بمحاذاة كتفي، واتجهنا نحو سكك القطار لأنه لم

يكن هناك مكان آخر نركض إليه. استسلم مطاردونا من المعرفة بعد مبنى واحد، وتوقفنا جميعاً في زقاق، مستندين إلى الطوب لالتقاط أنفاسنا.

وصل عمار إلى الزقاق أخيراً، ويداه مرفوعتان، فهتفنا له. رفع القارورة وكأنها كأس بطولة وأشار إلى شونا قائلاً:

- "أيتها الصغيرة، أتحداكِ أن تتسلقي المنحوتة الموجودة أمام مبنى المستويات العليا."

التقطت القارورة حين رماها وأخذت رشفة كبيرة.

قالت وهي تبتسم ابتسامة عريضة:

- "لك ذلك."

***

بحلول الوقت الذي وصلوا فيه إليّ، كان الجميع تقريباً سكارى، يترنحون مع كل خطوة ويضحكون على كل نكتة مهما كانت سخيفة. شعرت بالدفء رغم الهواء البارد، لكن ذهني كان لا يزال حاداً، يستوعب كل تفاصيل الليل؛ الرائحة الغنية للمستنقع وصوت الضحك الفوار، زرقة السماء المائلة للسواد وظلية كل مبنى أمامها. كانت ساقاي تؤلمانني من الركض والمشي والتسلق، ومع ذلك لم أنفذ أي تحدٍ بعد.

نحن قريبون من مقر الشجاعة الآن. المباني تبدو متداعية في أماكن وقوفها.

قالت لورين وعيناها الغائمتان تقفزان فوق كل وجه حتى وصلت إليّ:

- "من بقي؟ آه، المبتدئ ذو الاسم الرقمي من نكران الذات. فور، أليس كذلك؟"

قلت:

- "أجل."

قال الفتى الذي كان يجلس بارتياح بجانب عمار وهو ينظر إليّ، وكلماته تتداخل ببعضها:

- "متزمت؟"

هو من يحمل القارورة، ومن يحدد التحدي التالي. حتى الآن شاهدتُ أشخاصاً يتسلقون هياكل شاهقة، وشاهدتهم يقفزون في حفر مظلمة ويتجولون في مبانٍ فارغة لجلب صنبور أو كرسي مكتب، وشاهدتهم يركضون عراة في الأزقة ويغرزون إبراً في شحمة آذانهم دون تخديرها أولاً. لو طُلب مني اختلاق تحدٍ، لما استطعت التفكير في واحد. إنه لأمر جيد أنني آخر شخص.

شعرت برجفة في صدري، توتر. ماذا سيطلب مني أن أفعل؟

قال الفتى ببساطة، وكأنها حقيقة:

- "المتزمتون متوترون دائماً. لذا، لتثبت أنك شجاع حقاً الآن... أتحداك أن تحصل على وشم."

رأيت حبرهم يزحف فوق المعاصم والأذرع والأكتاف والحناجر. والمسامير المعدنية تخترق الآذان والأنوف والشفاه والحواجب. جلدي فارغ، معافى، وكامل. لكنه لا يتطابق مع حقيقتي - *يجب أن أكون مندوباً، موسوماً، بالطريقة التي هم عليها، لكن موسوماً بذكريات الألم، ومندوباً بالأشياء التي نجوت منها.*

رفعت كتفي وقلت:

- "حسناً."

رمى لي القارورة، فأفرغتها، رغم أنها لسعت حلقي وشفتي وكان طعمها مراً كالسم.

انطلقنا نحو "المحرقة".

كانت توري ترتدي سروالاً داخلياً رجاليا وقميصاً قطنياً حين فتحت الباب، وشعرها يتدلى فوق النصف الأيسر من وجهها. رفعت حاجبها نحوي. لقد أيقظناها بوضوح من نوم عميق، لكنها لا تبدو غاضبة – فقط نكدة قليلاً.

قال عمار:

- "أرجوكِ؟ إنها لعبة جرأة."

قالت لي:

- "هل أنت متأكد أنك تريد امرأة متعبة لتوشم جلدك يا فور؟ هذا الحبر لا يزول بالغسيل."

قلت:

- "أنا أثق بك."

لن أتراجع عن التحدي، ليس بعد مشاهدة الجميع ينفذون تحدياتهم.

تثاءبت توري وقالت:

- "صحيح. الأشياء التي أفعلها من أجل تقاليد الشجاعة. سأعود حالاً، سأرتدي بنطالاً."

أغلقت الباب بيننا. في الطريق إلى هنا عصرتُ دماغي لأقرر ماذا أريد أن أوشم، وأين. لم أستطع اتخاذ قرار – كانت أفكاري مشوشة للغاية. وما زالت.

بعد بضع ثوانٍ، ظهرت توري مرتدية بنطالاً، وقدماها لا تزالان حافيتين. قالت:

- "إذا وقعت في ورطة بسبب إضاءة أنوار الغرفة في هذه الساعة، سأدعي أنهم كانوا مخربين -وليس نحن- وسأذكر أسماء."

قلت:

- "فهمت."

قالت وهي تومئ لنا:

- "هناك طريق خلفي. تعالوا."

تبعتها عبر غرفة معيشتها المظلمة، التي كانت مرتبة باستثناء أوراق منتشرة على طاولة القهوة، كل ورقة تحمل رسماً مختلفاً. بعضها كان قاسياً وبسيطاً، مثل معظم الأوشام التي رأيتها، والبعض الآخر كان أكثر تعقيداً وتفصيلاً. لابد أن توري هي النسخة الشجاعة للفنان.

توقفت عند الطاولة. إحدى الصفحات تصور جميع رموز الجماعات، دون الدوائر التي تحيط بها عادة. شجرة "الوئام" في الأسفل، تشكل نوعاً من شبكة جذور لعين "المعرفة" وميزان "النزاهة". وفوقهم، تبدو أيادي "نكران الذات" وكأنها تحتضن شعلة "الشجاعة". يبدو الأمر وكأن الرموز تنمو لتتداخل مع بعضها البعض.

تجاوزني الآخرون. هرولت لألحق بهم، ماشياً عبر مطبخ توري - الذي كان نظيفاً للغاية أيضاً، رغم أن الأجهزة كانت قديمة، والصنبور صدئاً، وباب الثلاجة مغلق بمشبك كبير. كان الباب الخلفي مفتوحاً ويؤدي إلى ممر قصير ورطب يفتح على صالون الوشم.

لقد مررت بجانبه سابقاً لكنني لم أهتم بالدخول، واثقاً أنني لن أجد سبباً لمهاجمة جسدي بالإبر. أظن أنني أملك سبباً الآن - *تلك الإبر هي طريقتي لفصل نفسي عن ماضيّ، ليس فقط في عيون زملائي الشجعان، بل في عينيّ أنا، في كل مرة أنظر فيها إلى انعكاسي.*

جدران الغرفة مغطاة بالصور. الجدار المجاور للباب مخصص بالكامل لرموز "الشجاعة"، بعضها أسود وبسيط، وبعضها ملون ويكاد لا يُعرف. أشعلت توري الضوء فوق أحد الكراسي ورتبت إبر الوشم الخاصة بها على صينية بجانبه. تجمع الشجعان الآخرون على المقاعد والكراسي حولنا، وكأنهم يستعدون لمشاهدة عرض من نوع ما. توهج وجهي حرارة.

قالت توري:

- "المبادئ الأساسية للوشم: كلما قلت البطانة تحت الجلد، أو كلما كانت المنطقة عظمية أكثر، زاد ألم الوشم. بالنسبة لأول وشم لك، من الأفضل ربما أن تضعه على، لا أدري، ذراعك، أو..."

اقترح زيك مع شهقة ضحك:

- "أردافك."

هزت توري كتفيها وقالت:

- "لن تكون المرة الأولى. ولا الأخيرة."

نظرتُ إلى الفتى الذي تحداني. رفع حاجبيه نحوي. أعرف ما يتوقعه، ما يتوقعونه جميعاً - أن أحصل على شيء صغير، على ذراع أو ساق، شيء يسهل إخفاؤه. ألقيت نظرة على الجدار المليء بالرموز. لفتت انتباهي إحدى الرسومات بشكل خاص، تجسيد فني للنيران نفسها.

أشرت إليها وقلت:

- "تلك."

قالت توري:

- "فهمت. هل في ذهنك موقع محدد؟"

لدي ندبة - خدش باهت في ركبتي منذ أن سقطت على الرصيف وأنا طفل. لطالما بدا لي غبياً أن أياً من الألم الذي اختبرته لم يترك علامة مرئية؛ أحياناً، وبدون وسيلة لإثبات ذلك لنفسي، كنت أبدأ بالشك في أنني عشت ذلك الألم أصلاً، مع تحول الذكريات إلى ضباب بمرور الوقت. أريد أن أمتلك نوعاً من التذكير بأنه بينما تندمل الجروح، فإنها لا تختفي للأبد - *أنا* أحملها في كل مكان، دائماً، وهذه هي *طبيعة الأشياء، وطبيعة الندوب.*

هذا ما سيكون عليه هذا الوشم بالنسبة لي: ندبة. ويبدو مناسباً أن يوثق أسوأ ذكرى ألم أمتلكها.

وضعت يدي على قفصي الصدري، متذكراً الكدمات التي كانت هناك، والخوف الذي شعرت به على حياتي. كان والدي يمر بسلسلة من الليالي السيئة مباشرة بعد وفاة أمي.

قالت توري:

- "هل أنت متأكد؟ ربما يكون هذا المكان الأكثر إيلاماً على الإطلاق."

جلست على الكرسي وقلت:

- "جيد."

هتف حشد الشجعان وبدأوا بتمرير قارورة أخرى، أكبر من السابقة، وبرونزية بدلاً من الفضة.

قالت توري وهي تجلس على المقعد المجاور لي وترتدي زوجاً من القفازات المطاطية:

- "إذن لدينا شخص يستلذ بالألم على الكرسي الليلة. رائع."

جلستُ منحنياً للأمام، ورفعت طرف قميصي، فبللت هي كرة قطنية بالكحول الطبي ومسحت ضلوعي بها. كانت على وشك الابتعاد حين عبست وسحبت جلدي بطرف إصبعها. لسع الكحول الطبي جلد ظهري الذي كان لا يزال يتماثل للشفاء، فجفلت.

سألتني:

- "كيف حدث هذا يا فور؟"

نظرت للأعلى ولاحظت أن عمار يحدق بي، عابساً.

قال عمار:

- "إنه مبتدئ. جميعهم مجروحون ومكدومون في هذه المرحلة. يجب أن تريهم وهم يعرجون معاً. أمر محزن."

تطوع زيك قائلاً:

- "لدي كدمة عملاقة على ركبتي. لونها أزرق مقزز..."

شمر زيك عن ساق بنطاله ليعرض كدمته للآخرين، وبدأ الجميع بمشاركة كدماتهم وندوبهم الخاصة: "حصلت على هذه حين أسقطوني بعد خط الانزلاق." - "حسناً، لدي جرح طعنة بسبب انزلاق قبضتك أثناء رمي السكاكين، لذا أظن أننا متعادلان."

رمقتني توري بنظرة فاحصة لبضع ثوانٍ، وأنا متأكد أنها لم تقتنع بتفسير عمار للعلامات على ظهري، لكنها لم تسأل مجدداً. بدلاً من ذلك، شغلت الإبرة، فملأ صوت الأزيز الهواء، ورمى لي عمار القارورة.

كان الكحول لا يزال يحرق حلقي حين لمست إبرة الوشم ضلوعي، فجفلت، لكنني بطريقة ما لم أمانع الألم

***

في اليوم التالي، وحين أفقتُ من نومي، كان كل شيء في جسدي يصرخ ألماً؛ ورأسي على وجه الخصوص.

يا إلهي، رأسي.

كان إريك يجلس على حافة المرتبة المجاورة لمرتبتي، يربط شريط حذائه. بدا الجلد المحيط بالحلقات في شفته محمراً - لا بد أنه ثقبها حديثاً. لم أكن منتبهاً لذلك.

نظر إليّ وقال:

- "تبدو بحالة مزرية."

جلستُ، فجعلت تلك الحركة المفاجئة رأسي ينبض بألم أشد.

قال وهو يبتسم بسخرية خفيفة:

- "آمل ألا تتخذ من هذا عذراً حين تخسر. لأنني كنت سأهزمك في كل الأحوال."

نهض، وتمطى، ثم غادر العنبر. أسندتُ رأسي بين يديّ لبضع ثوان، ثم نهضت للاستحمام. اضطررت للوقوف ونصف جسدي تحت الماء ونصفه الآخر خارجه، تحاشياً لبلل الحبر الذي يغطي جانبي.

لقد بقي الشجعان معي لساعات، منتظرين انتهاء الوشم، وحين غادرنا، كانت جميع القوارير فارغة. رفعت لي توري إبهامها علامة على التشجيع وأنا أخرج مترنحاً من صالون الوشم، ولف زيك ذراعه حول كتفي وقال: "أعتقد أنك أصبحت شجاعاً الآن."

في الليلة الماضية وجدت نفسي أستلذ بتلك الكلمات. أما الآن، فأتمنى لو أستعيد رأسي القديم؛ ذلك الرأس الذي كان صافي الذهن ومصمماً، ولم يكن يشعر وكأن رجالاً صغاراً يحملون مطارق قد اتخذوا منه مسكناً. تركتُ الماء البارد ينسكب عليّ لبضع دقائق أخرى، ثم تفقدت الساعة المعلقة على جدار الحمام.

عشر دقائق تفصلني عن القتال. سأكون متأخراً. وإريك محق - سأخسر.

ضغطت بيدي على جبهتي وأنا أركض نحو غرفة التدريب، وقدماي بالكاد دخلتا في حذائي. حين اندفعت عبر الأبواب، كان المبتدئون المنتقلون وبعض المبتدئين من أبناء "الشجاعة" يقفون حول حافة الغرفة. كان عمار يقف وسط الحلبة، يتفقد ساعته.

رمقني بنظرة ذات مغزى وقال:

- "لطف منك أن تنضم إلينا."

رأيت في حاجبيه المرفوعين أن روح الزمالة التي سادت الليلة الماضية لا تمتد إلى غرفة التدريب.

أشار إلى حذائي وتابع:

- "اربط حذاءك، ولا تضيع المزيد من وقتي."

على الجانب الآخر من الحلبة، كان إريك يطقطق مفاصل أصابعه، واحداً تلو الآخر، بعناية، وهو يحدق بي طوال الوقت. ربطتُ حذائي على عجل، وحشرت أطراف الأربطة تحته كي لا تعيقني.

وبينما أقف في مواجهة إريك، لم أكن أشعر سوى بوجيب قلبي، ونبض رأسي، وحرقة في جانبي. ثم تراجع عمار للخلف، واندفع إريك نحوي بسرعة، لتصطدم قبضته مباشرة بفكّي.

ترنحت للخلف ممسكاً بوجهي. تداخلت كل الآلام في عقلي. رفعت يديّ لأصد اللكمة التالية. رأسي ينبض، ورأيت ساقه تتحرك. حاولت الالتفاف بعيداً عن الركلة، لكن قدمه اصطدمت بقوة بضلوعي. شعرت بإحساس يشبه الصدمة الكهربائية يسري في الجانب الأيسر من جسدي.

قال إريك:

- "هذا أسهل مما ظننت."

شعرت بحرارة الخجل تسري فيّ، ومن خلال الثغرة التي تركها لي بغطرسته، وجهت له لكمة خطافية صاعدة في معدته.

صفعني ببطن كفه على أذني، ما جعلها تطن، ففقدت توازني، ولمست أصابعي الأرض لأثبت نفسي.

قال إريك بصوت خافت:

- "أتعلم، أظن أنني اكتشفت اسمك الحقيقي."

تشوشت رؤيتي بنصف دزينة من أنواع الألم المختلفة. لم أكن أعلم أن للألم نكهات متعددة؛ كالحمض، والنار، والوجع، واللسع.

ضربني مجدداً، محاولاً إصابة وجهي هذه المرة لكنه أصاب عظمة الترقوة بدلاً من ذلك. نفض يده وقال:

- "هل يجب أن أخبرهم؟ ونكشف كل شيء للعلن؟"

إنه يمسك باسمي بين أسنانه، "إيتون"، وهو سلاح أكثر تهديداً بكثير من قدميه أو كوعيه أو قبضتيه. أفراد (نكران الذات) يقولون، بأصوات هامسة، إن مشكلة الكثير من (المعرفة) هي أنانيتهم، لكنني أعتقد أنها غطرستهم؛ ذلك الفخر الذي يشعرون به لمعرفة أشياء يجهلها الآخرون. في تلك اللحظة، وبينما يطغى عليّ الخوف، أدركت أن هذه هي نقطة ضعف إريك. هو لا يصدق أنني قادر على إيذائه بقدر ما يستطيع هو إيذائي. إنه يصدق أنني تماماً كما افترض منذ البداية: متواضع، وناكر للذات، وسلبي.

شعرتُ بألمي يتلاشى ليحل محله الغضب، وأمسكتُ بذراعه لأثبته في مكانه بينما رحتُ أكيل له اللكمات، مرة، ومرة، ومرة أخرى. لم أعد أرى حتى أين أضربه؛ لم أعد أرى أو أشعر أو أسمع أي شيء.

أنا فارغ، وحيد، ولا شيء.

ثم سمعتُ صراخه أخيراً، ورأيته يمسك وجهه بكلتا يديه. الدم يغطي ذقنه، ويسيل إلى أسنانه. حاول أن ينتزع نفسه بعيداً لكنني كنت متشبثاً به بكل ما أوتيت من قوة، متشبثاً به وكأن حياتي تتوقف على ذلك.

ركلته بقوة في جانبه، فسقط مترنحاً. ومن فوق يديه المضمومتين، التقت عيناي بعينيه.

كانت عيناه زجاجيتين ومشتتتين. ودماؤه فاقعة الاحمرار على جلده. خطر لي أنني أنا من فعل ذلك، إنه أنا، فتسلل الخوف إليّ مجدداً، لكنه نوع مختلف من الخوف هذه المرة. خوف مما أنا عليه، ومما قد أصبح عليه.

كانت مفاصل يدي تنبض بالألم، فخرجت من الحلبة دون أن أنتظر الإذن بالانصراف.

***

مجمع "الشجاعة" مكان جيد للتعافي؛ مظلم ومليء بالأماكن السرية والهادئة.

وجدت ممراً بالقرب من "المحرقة" وجلست مستنداً إلى الجدار، تاركاً برودة الحجر تتسرب إليّ. عاد الصداع، ومعه أوجاع وآلام متفرقة جراء القتال، لكنني بالكاد أكترث لأي منها. كانت مفاصل يدي لزجة بالدم؛ دم إريك. حاولت فركه لكنه كان قد جف منذ فترة. لقد فزت بالقتال، وهذا يعني أن مكاني في "الشجاعة" مضمون في الوقت الراهن - *يجب أن أشعر بالرضا، لا الخوف. ربما حتى بالسعادة، لأنني أخيراً انتميت لمكان ما، وأصبحت بين أناس لا تتحاشى عيونهم النظر في عينيّ على مائدة الغداء. لكنني أعلم أنه مقابل كل شيء جيد يحدث، هناك دائماً ثمن. فما هو ثمن أن تكون شجاعاً؟*

- "مرحباً."

نظرت للأعلى فرأيت شونا تطرق على الجدار الحجري وكأنه باب.

ابتسمت وقالت:

- "ليست هذه تماماً رقصة النصر التي توقعتها."

قلت:

- "أنا لا أرقص."

قالت:

- "أجل، كان يجدر بي أن أعرف ذلك."

جلست في المقابل، مسندة ظهرها للجدار المواجه. ضمت ركبتيها إلى صدرها ولفت ذراعيها حولهما. كانت أقدامنا تفصلها بضع بوصات فقط. لا أدري لمَ لاحظت ذلك. حسناً، بلى أدري – لأنها فتاة.

أنا لا أعرف كيف أتحدث للفتيات. وخصوصاً فتيات "الشجاعة". شيء ما يخبرني أنك لا يمكن أبداً أن تتوقع ما قد يصدر عن فتاة من "الشجاعة".

قالت، وعلى وجهها ابتسامة عريضة:

- "إريك في المستشفى. يعتقدون أنك كسرت أنفه. وبالتأكيد أطحت بإحدى أسنانه."

نظرتُ للأسفل. *أطحتُ بسنّ أحدهم؟*

تابعت وهي تنكز حذائي بطرف قدمها:

- "كنت أتساءل إن كان بإمكانك مساعدتي."

كما توقعت: فتيات (الشجاعة) لا يمكن التنبؤ بتصرفاتهن.

قلت:

- "أساعدكِ في ماذا؟"

- "القتال. أنا لست جيدة فيه. أستمر في التعرض للإهانة داخل الحلبة."

هزت رأسها وتابعت:

- "يجب أن أواجه تلك الفتاة بعد يومين، اسمها آشلي لكنها تجبر الجميع على مناداتها (آش) [أي: رماد]. أتعلم، نيران الشجاعة، والرماد، وأياً كان. المهم، إنها واحدة من الأفضل في مجموعتنا، وأخشى أنها ستقتلني. أعني تقتلني فعلياً."

قلت، وقد ساورتني الشكوك فجأة:

- "لماذا تريدين مساعدتي؟ لأنك تعلمين أنني (ناكر ذات) ومن المفترض بنا مساعدة الناس؟"

قالت وقد عقدت حاجبيها بحيرة:

- "ماذا؟ لا، بالطبع لا. أريد مساعدتك لأنك الأفضل في مجموعتك، بوضوح."

ضحكت وقلت:

- "لا، لست كذلك."

قالت:

- "أنت وإريك كنتما الوحيدين اللذين لم يهزما، وأنت هزمتَه للتو، لذا نعم، أنت كذلك. اسمع، إذا كنت لا تريد مساعدتي، كل ما عليك فعله هو..."

قاطعتها:

- "سأساعدك. أنا فقط لا أعرف حقاً كيف."

قالت:

- "سنتدبر الأمر. غداً بعد الظهيرة؟ نلتقي في الحلبة؟"

أومأتُ برأسي. ابتسمت، ونهضت، وبدأت بالمغادرة. لكنها استدارت بعد بضع خطوات، ومشت راجعة بظهرها عبر الممر.

قالت:

- "توقف عن التجهم يا فور. الجميع منبهرون بك. تقبل الأمر."

راقبت ظلها ينعطف عند زاوية الممر. كنت مضطرباً جداً بسبب القتال لدرجة أنني لم أفكر فيما يعنيه هزيمة إريك - *أنني الآن الأول في فئة المبتدئين*. ربما اخترت "الشجاعة" كملاذ، لكنني لا أنجو هنا وحسب، بل أتفوق.

حدقتُ في دم إريك على مفاصل يدي وابتسمت.

***

في صباح اليوم التالي قررت المخاطرة. جلست مع زيك وشونا على الإفطار. كانت شونا منكبة على طعامها في الغالب وتجيب عن الأسئلة بهمهمات. تثاءب زيك فوق قهوته، لكنه أشار لي إلى عائلته: أخوه الصغير، يوريا، يجلس على إحدى الطاولات الأخرى مع لين، أخت شونا الصغرى. والدته، هانا – أكثر الشجعان وداعة رأيتهم في حياتي، ولا يدل على انتمائها للجماعة سوى لون ملابسها – كانت لا تزال في طابور الإفطار.

قلت:

- "هل تفتقد العيش في المنزل؟"

لاحظت أن الشجعان لديهم ولع بالمخبوزات. هناك دائماً نوعان مختلفان من الكعك على الأقل في العشاء، وجبل من فطائر (المافن) يستقر على طاولة قرب نهاية طابور الإفطار. حين وصلتُ هناك، كانت كل النكهات الجيدة قد نفدت، فلم يتبق لي سوى نخالة القمح.

قال زيك:

- "ليس حقاً. أعني، إنهم موجودون هناك تماماً. لا يُفترض بالمبتدئين من أبناء الشجاعة التحدث لعائلاتهم حتى يوم الزيارة، لكنني أعلم أنني لو احتجت لشيء حقاً، فسيكونون موجودين."

أومأتُ برأسي. بجانبه، أغمضت شونا عينيها، وغلبها النعاس وهي تسند ذقنها على يدها.

قال زيك:

- "ماذا عنك؟ هل تفتقد منزلك؟"

كنت على وشك الإجابة بـ "لا"، لكن في تلك اللحظة انزلق ذقن شونا عن يدها فهوت بوجهها في فطيرة الشوكولاتة. ضحك زيك بشدة حتى دمعت عيناه، ولم أستطع إلا أن أبتسم وأنا أنهي عصيري.

***

في وقت لاحق من ذلك الصباح التقيت شونا في غرفة التدريب. كانت قد سحبت شعرها القصير عن وجهها، وربطت حذاءها الشجاع بإحكام، والذي عادة ما يكون مفكوكاً ويصدر صوتاً أثناء مشيها. كانت تلاكم الهواء، وتتوقف بين كل ضربة لتعدل وقفتها، وراقبتها للحظة، غير متأكد كيف أبدأ. أنا نفسي تعلمت توجيه اللكمات للتو؛ ولست مؤهلاً لتعليمها أي شيء.

لكن بينما كنت أراقبها، بدأت ألاحظ بعض الأمور. كيف تقف بركبتين متصلبتين، وكيف لا ترفع يدها لتحمي فكها، وكيف تلكم بذراعها فقط بدلاً من أن تلقي بوزن جسدها خلف كل ضربة. توقفت، ومسحت جبهتها بظهر يدها. وحين انتبهت لوجودي، قفزت وكأنها لمست سلكاً مكهرباً.

قالت:

- "القاعدة رقم واحد كي لا تكون مخيفاً: أعلن عن وجودك في الغرفة إذا لم يرك الشخص الآخر وأنت تدخل."

قلت:

- "آسف. كنت أحضر بعض الملاحظات لكِ."

قالت وهي تعض باطن خدها:

- "أوه. وما هي؟"

أخبرتها بما لاحظته، ثم تواجهنا في حلبة القتال. بدأنا ببطء، نكبح قوة كل ضربة كي لا نؤذي بعضنا. اضطررت للاستمرار في النقر بقبضتي على مرفقها

لتذكيرها بإبقاء يدها مرفوعة عند وجهها، لكن بعد نصف ساعة، كانت تتحرك بشكل أفضل مما كانت عليه سابقاً على الأقل.

قلت:

- "تلك الفتاة التي عليك قتالها غداً... لو كنت مكانك لضربتها هنا تماماً، في الفك."

لمست أسفل فكي وتابعت:

- "لكمة خطافية صاعدة جيدة كفيلة بإنهاء الأمر. دعينا نتدرب عليها."

استعدت بوضع القتال، ولاحظت بارتياح أن ركبتيها مثنيتان، وأن هناك مرونة في وقفتها لم تكن موجودة من قبل. درنا حول بعضنا لبضع ثوان، ثم سددت لكمة صاعدة. وفي اللحظة التي فعلت فيها ذلك، سقطت يدها اليسرى عن وجهها. صددت اللكمة الأولى، ثم بدأت بالهجوم على الثغرة التي تركتها في دفاعها. وفي آخر ثانية، أوقفت قبضتي في الهواء ورفعت حاجبيّ نحوها.

اعتدلت وقالت:

- "أتعلم، ربما كنت سأتعلم الدرس لو أنك ضربتني فعلاً."

كان جلدها متورداً من الجهد، وقطرات العرق تلمع عند منبت شعرها. كانت عيناها لامعتين وناقدتين. خطر لي، لأول مرة، أنها جميلة. ليس بالطريقة التي أفكر بها عادة - فهي ليست ناعمة أو رقيقة - بل بطريقة توحي بالقوة والاقتدار.

قلت:

- "أفضل حقاً ألا أفعل."

قالت:

- "ما تظنه نوعاً من شهامة (نكران الذات) المتبقية هو في الحقيقة مهين نوعاً ما. أستطيع الاعتناء بنفسي. وأستطيع تحمل القليل من الألم."

قلت:

- "الأمر ليس كذلك. ليس لأنك فتاة. أنا فقط... لا أميل للعنف بلا سبب."

قالت:

- "شيء يتعلق بكونك (متزمتاً)، هاه؟"

قلت، سامحاً لنفسي بابتسامة صغيرة:

- "ليس تماماً. المتزمتون لا يميلون للعنف. ضع متزمتاً في الشجاعة وسيكتفي بالسماح للآخرين بضربه كثيراً بشكل لعين."

لست معتاداً على استخدام مصطلحات الشجعان العامية، لكن شعوراً جيداً انتابني وأنا أستخدمها وكأنها لي، وأسمح لنفسي بالاسترخاء في إيقاع حديثهم.

تابعت:

- "الأمر ببساطة لا يبدو لي كلعبة، هذا كل ما في الأمر."

إنها المرة الأولى التي أعبر فيها عن ذلك لأحد. *أعرف لماذا لا يبدو الأمر لعبة - لأنه لفترة طويلة، كان ذلك واقعي، كان يقظتي ونومي. هنا، تعلمت الدفاع عن نفسي، تعلمت أن أكون أقوى، لكن الشيء الواحد الذي لم أتعلمه، ولن أسمح لنفسي بتعلمه، هو الاستمتاع بإيلام شخص آخر. إذا كنت سأصبح شجاعاً، فسأفعل ذلك بشروطي، حتى لو عنى ذلك أن جزءاً مني سيظل دائماً متزمتاً.*

قالت:

- "حسناً. لنحاول مرة أخرى."

تدربنا حتى أتقنت اللكمة الصاعدة وكدنا نفوت العشاء. وحين غادرنا، شكرتني، وبشكل عفوي، لفت ذراعها حولي. كان عناقاً سريعاً، لكنها ضحكت من التوتر الذي سببه لي.

قالت:

- "كيف تصبح شجاعاً: دورة تمهيدية. الدرس الأول: لا بأس بمعانقة أصدقائك هنا."

قلت مازحاً نصف مزاح:

- "نحن أصدقاء؟"

قالت وهي تهرول في الممر نحو العنبر:

- "أوه، اصمت."

***

في صباح اليوم التالي، تبعنا جميعاً - نحن المبتدئين المنتقلين - عمار عبر غرفة التدريب إلى ممر كئيب ينتهي بباب ثقيل. طلب منا الجلوس بمحاذاة الجدار، ثم اختفى خلف الباب دون أن ينبس ببنت شفة. تفقدت ساعتي. ستقاتل شونا في أية دقيقة الآن - يستغرق المبتدئون من أبناء الشجاعة وقتاً أطول لاجتياز المرحلة الأولى من التدريب مقارنة بنا، لأن عددهم أكبر.

جلس إريك في أبعد مكان ممكن عني، وكنت ممتناً لتلك المسافة. في الليلة التي تلت قتالي معه، خطر لي أنه قد يخبر الجميع بأنني ابن ماركوس إيتون نكاية بي لهزيمته، لكنه لم يفعل. أتساءل إن كان ينتظر الفرصة المناسبة فقط لتوجيه ضربته، أم أنه يمتنع لسبب آخر. مهما يكن، من الأفضل لي البقاء بعيداً عنه قدر الإمكان.

سألت ميا، المنتقلة من "الوئام" بصوت قلق:

- "ماذا تظنون بداخل تلك الغرفة؟"

لم يجب أحد. لسبب ما لا أشعر بالتوتر. لا يوجد شيء خلف ذلك الباب يمكنه إيذائي. لذا حين خرج عمار للممر مجدداً ونادى اسمي أولاً، لم ألقِ نظرات يائسة لزملائي المبتدئين. تبعته للداخل وحسب.

كانت الغرفة معتمة وقذرة، لا تحتوي سوى على كرسي وجهاز كمبيوتر. الكرسي مائل للخلف، مثل الذي جلست عليه في اختبار تحديد الجدارة. شاشة الكمبيوتر ساطعة وتشغل برنامجاً يظهر كأسطر من نص داكن على خلفية بيضاء. حين كنت أصغر سناً، كنت أتطوع في مختبرات الكمبيوتر بالمدرسة، أقوم بصيانة المرافق، وأحياناً إصلاح الأجهزة نفسها حين تتعطل. عملت تحت إشراف امرأة من "المعرفة" تدعى كاثرين، وقد علمتني أكثر بكثير مما كان واجباً عليها، سعيدة بمشاركة معرفتها مع شخص مستعد للاستماع. لذا عرفت، بمجرد النظر إلى ذلك الكود، أي نوع من البرامج هو، رغم أنني لن أتمكن أبداً من فعل الكثير به.

قلت:

- "محاكاة؟"

قال:

- "كلما قلت معرفتك، كان ذلك أفضل. اجلس."

جلست، مسنداً ظهري للكرسي وواضعاً ذراعي على المسندين. جهز عمار حقنة، ورفعها للضوء ليتأكد من ثبات القارورة في مكانها. غرز الإبرة في عنقي دون سابق إنذار وضغط المكبس. جفلت.

قال:

- "لنرى أي من مخاوفك الأربعة سيظهر أولاً. أتعلم، لقد بدأت أشعر بالملل منها نوعاً ما، قد تحاول أن تريني شيئاً جديداً."

قلت:

- "سأعمل على ذلك."

ابتلعتني المحاكاة.

***

أنا جالس على المقعد الخشبي الصلب لطاولة مطبخ في منزل بـ "نكران الذات"، وأمامي طبق فارغ. جميع الستائر مسدلة على النوافذ، فالضوء الوحيد يأتي من المصباح المتدلي فوق الطاولة، وشعيرته تتوهج باللون البرتقالي. حدقتُ في القماش الداكن الذي يغطي ركبتي.

لماذا أرتدي الأسود بدلاً من الرمادي؟

حين رفعت رأسي، كان هو - ماركوس - يجلس في المقابل. لثانية واحدة، بدا تماماً كالرجل الذي رأيته عبر قاعة حفل الاختيار منذ وقت ليس ببعيد، عيناه زرقاوان داكنتان تطابقان عينيّ، وفمه مضغوط بعبوس.

أنا أرتدي الأسود لأنني من الشجعان الآن، هكذا ذكرت نفسي. إذن لماذا أنا في منزل (نكران الذات)، أجلس قبالة والدي؟

رأيت انعكاس المصباح في طبقي الفارغ. *لابد أن هذه محاكاة.*

ثم ومض الضوء فوقنا، وتحول أبي إلى الرجل الذي أراه دائماً في سيناريو مخاوفي، وحش مشوه بعينين كالحفر وفم واسع فارغ. اندفع عبر الطاولة ويداه ممدودتان، وبدلاً من الأظافر كانت هناك شفرات حلاقة مغروزة في أطراف أصابعه.

خمشني، فترنحت للخلف وسقطت عن المقعد. تدافعت على الأرض لاستعادة توازني، ثم ركضت لغرفة المعيشة. كان هناك ماركوس آخر، يمد يده نحوي من الجدار. بحثت عن الباب الأمامي، لكن شخصاً ما أغلقه بقوالب الطوب، محاصراً إياي.

وأنا ألهث، ركضت صاعداً الدرج. تعثرت في الأعلى، وانفرشت على الأرضية الخشبية في الممر. فتح ماركوس باب الخزانة من الداخل؛ وخرج آخر من غرفة نوم والدي؛ وزحف ثالث بمخالبه عبر الأرضية قادماً من الحمام. انكمشت متراجعاً نحو الحائط. المنزل مظلم. لا توجد نوافذ.

هذا المكان يمتلئ به.

فجأة صار أحد نسخ ماركوس أمامي مباشرة، يضغطني للحائط ويداه حول عنقي. سحب آخر أظافره الحادة على ذراعي، مثيراً ألماً لاسعاً جلب الدموع لعينيّ.

أنا مشلول، ومذعور.

ابتلعت الهواء. لا أستطيع الصراخ. أشعر بالألم وبقلبي يقرع طبولاً، ركلت بأقصى قوتي، لكنني لم أضرب سوى الهواء. ماركوس الذي يمسك عنقي دفعني للأعلى على الجدار، حتى جرت أصابع قدمي على الأرض. أطرافي رخوة، كدمية قماشية. لا أستطيع الحركة.

هذا المكان، هذا المكان ممتلئ به. إنه ليس حقيقياً، هكذا أدركت. إنها محاكاة. تماماً مثل سيناريو المخاوف.

هناك المزيد من نسخ ماركوس الآن، ينتظرون أسفلي وأيديهم ممدودة، لذا أنا أحدق للأسفل نحو بحر من الشفرات. أصابعهم تقبض على ساقي، تجرحني، وأشعر بمسار ساخن يسيل على جانب عنقي بينما يضغط ماركوس الذي يخنقني بقوة أكبر.

محاكاة، ذكرتُ نفسي. حاولت ضخ الحياة في كل طرف من أطرافي. تخيلت دمي ناراً، تسري في عروقي. ضربت بيدي على الحائط، باحثاً عن سلاح. مد أحد الماركوسات يده للأعلى، وأصابعه موجهة نحو عيني. صرخت وتخبطت بينما انغرست الشفرات في جفوني.

يداي لم تجدا سلاحاً، بل مقبض باب. أدرته بقوة، وسقطت للخلف داخل خزانة أخرى. فقدت نسخ ماركوس قبضتها عليّ. كان في الخزانة نافذة، كبيرة بما يكفي لجسدي فقط. وبينما طاردوني في الظلام، رميت بكتفي ضد الزجاج، فتحطم. ملأ الهواء النقي رئتي.

جلست منتصباً في الكرسي، ألهث.

وضعت يدي على عنقي، وعلى ذراعي، وعلى ساقي، أتفقد جروحاً ليست موجودة. لا أزال أستطيع الشعور بالخدوش وتدفق الدم من عروقي، لكن جلدي سليم.

هدأت أنفاسي، ومعها أفكاري. كان عمار يجلس عند الكمبيوتر، موصولاً بجهاز المحاكاة، ويحدق بي.

قلت وأنا مقطوع الأنفاس:

- "ماذا؟"

قال عمار:

- "بقيت في الداخل لمدة خمس دقائق."

- "هل هذا وقت طويل؟"

- "لا."

عبس في وجهي وتابع:

- "لا، ليس طويلاً على الإطلاق. إنه جيد جداً، في الواقع."

وضعت قدمي على الأرض وأمسكت رأسي بين يدي. ربما لم أصَب بالذعر لتلك الفترة الطويلة داخل المحاكاة، لكن صورة والدي المشوه وهو يحاول اقتلاع عينيّ استمرت في الوميض في عقلي، مما جعل معدل ضربات قلبي يرتفع مراراً وتكراراً.

قلت وأنا أصر على أسناني:

- "هل لا يزال المصل سارياً؟ يجعلني أصاب بالذعر؟"

قال:

- "لا، يفترض أن يصبح خاملاً بمجرد خروجك من المحاكاة. لماذا؟"

نفضت يدي اللتين كانتا تنملان، وكأنهما تخدران. هزت رأسي. *لم يكن حقيقياً*، قلت لنفسي. *تجاوز الأمر.*

قال عمار:

- "أحياناً تسبب المحاكاة ذعراً متبقياً، اعتماداً على ما تراه فيها. دعني أوصلك إلى العنبر."

هززت رأسي وقلت:

- "لا. سأكون بخير."

رمقني بنظرة صارمة.

قال:

- "لم يكن طلباً."

نهض وفتح باباً خلف الكرسي. تبعته عبر ممر قصير ومظلم إلى الممرات الحجرية التي تؤدي إلى عنبر المنتقلين. الهواء هناك بارد، ورطب، لكوننا تحت الأرض. سمعت صدى خطواتنا، وأنفاسي، ولا شيء آخر.

ظننت أنني رأيت شيئاً - حركة - على يساري، فجفلت مبتعداً عنها، وتراجعت نحو الجدار. أوقفني عمار، واضعاً يديه على كتفيّ ليجبرني على النظر في وجهه.

قال:

- "مهلاً. تمالك نفسك يا فور."

أومأتُ، والدماء تندفع لوجهي. شعرت بوخزة عار عميقة في معدتي. يُفترض بي أن أكون شجاعاً. لا يُفترض بي أن أخاف من نسخ وحشية لماركوس تتسلل إليّ في الظلام. استندت إلى الجدار الحجري وأخذت نفساً عميقاً.

قال عمار:

- "هل يمكنني أن أسألك شيئاً؟"

انكمشت، ظناً مني أنه سيسألني عن والدي، لكنه لم يفعل.

- "كيف خرجت من ذلك الممر؟"

قلت:

- "فتحتُ باباً."

- "هل كان هناك باب خلفك طوال الوقت؟ هل يوجد باب في منزلك القديم؟"

هززت رأسي.

كان وجه عمار الودود عادة يبدو جاداً.

- "إذن لقد خلقت واحداً من العدم؟"

قلت:

- "أجل. المحاكاة كلها في رأسك. لذا صنع رأسي باباً كي أستطيع الخروج. كل ما كان علي فعله هو التركيز."

قال:

- "غريب."

- "ماذا؟ لماذا؟"

قال:

- "معظم المبتدئين لا يستطيعون جعل شيء مستحيل يحدث في هذه المحاكاة، لأنهم على عكس سيناريو المخاوف، لا يدركون أنهم في محاكاة. ونتيجة لذلك، فهم لا يخرجون من المحاكاة بتلك السرعة."

شعرت بنبضي في حلقي. لم أكن أدرك أن هذه المحاكاة يُفترض أن تكون مختلفة عن سيناريو المخاوف - ظننت أن الجميع يدركون أنهم في محاكاة أثناء وجودهم فيها. لكن بناءً على ما يقوله عمار، كان يُفترض بهذا أن يشبه اختبار تحديد الجدارة، وقبل اختبار الجدارة، حذرني والدي من وعيي بالمحاكاة، ودربني على إخفائه. ما زلت أذكر كم كان ملحاً، وكيف كان صوته متوتراً وكيف أمسك بذراعي بقوة زائدة قليلاً.

في ذلك الوقت، ظننت أنه لن يتحدث بتلك الطريقة إلا إذا كان قلقاً علي. قلقاً على سلامتي.

هل كان مجرد مصاب بجنون الارتياب، أم أن هناك شيئاً خطيراً حقاً بشأن الوعي أثناء المحاكاة؟

قال عمار بصوت خافت:

- "كنتُ مثلك. أستطيع تغيير المحاكاة. ظننت فقط أنني الوحيد."

أردت أن أقول له أن يحتفظ بالأمر لنفسه، أن يحمي أسراره. لكن الشجعان لا يهتمون بالأسرار كما يفعل "نكران الذات"، بابتساماتهم المطبقة ومنازلهم المتطابقة والمنظمة.

كان عمار يرمقني بنظرة غريبة - متلهفة، وكأنه ينتظر مني شيئاً. تحركتُ في مكاني، غير مرتاح.

قال عمار:

- "ربما ليس شيئاً يجدر بك التفاخر به. الشجعان يهتمون بالامتثال، تماماً كأي جماعة أخرى. الأمر فقط ليس واضحاً هنا بنفس الدرجة."

أومأتُ.

قلت:

- "ربما كانت مجرد صدفة. لم أستطع فعل ذلك أثناء اختبار الجدارة. في المرة القادمة سأكون طبيعياً أكثر على الأرجح."

قال بنبرة غير مقتنعة:

- "صحيح. حسناً، في المرة القادمة، حاول ألا تفعل شيئاً مستحيلاً، اتفقنا؟ فقط واجه خوفك بطريقة منطقية، طريقة تكون دائماً معقولة بالنسبة لك سواء كنت واعياً أم لا."

قلت:

- "حسناً."

- "أنت بخير الآن، صحيح؟ تستطيع العودة للعنبر وحدك؟"

أردت القول إنني كنت أستطيع دائماً العودة للعنبر وحدي؛ لم أحتج إليه أبداً ليأخذني هناك. لكنني اكتفيت بالإيماء مجدداً. ربت على كتفي، بلطف، وعاد لغرفة المحاكاة.

لم أستطع منع نفسي من التفكير بأن أبي لم يكن ليحذرني من إظهار وعيي بالمحاكاة فقط بسبب أعراف الجماعة. لقد وبخني لإحراجه أمام "نكران الذات" طوال الوقت، لكنه لم يسبق أن همس بتحذيرات في أذني أو علمني كيف أتجنب زلة قدم من قبل. لم يحدق بي أبداً، بعينين واسعتين، حتى وعدته بأن أفعل ما قاله.

شعور غريب، أن أعرف أنه لا بد كان يحاول حمايتي. وكأنه ليس تماماً ذلك *الوحش الذي أتخيله، الوحش الذي أراه في أسوأ كوابيسي.*

بينما بدأت بالمشي نحو العنبر، سمعت شيئاً في نهاية الممر الذي مشينا فيه للتو - شيئاً يشبه وقع خطوات هادئة، تزحف، مبتعدة في الاتجاه المعاكس.

***

ركضت شونا نحوي في الكافيتيريا أثناء العشاء ولكمتني بقوة في ذراعي. كانت تبتسم ابتسامة عريضة جداً بدت وكأنها تشق خديها. كان هناك بعض التورم أسفل عينها اليمنى مباشرة – ستتحول لكدمة سوداء لاحقاً.

قالت:

– "لقد فزت! فعلتُ ما قلته لي – ضربتها في فكها مباشرة خلال الثواني الستين الأولى، وذلك أفقدها توازنها تماماً. ما زالت قد ضربتني في عيني لأنني أنزلت دفاعي، لكن بعد ذلك أبرحتُها ضرباً. أنفها ينزف. كان أمراً رائعاً."

ابتسمتُ. فوجئت بمدى الرضا الذي شعرت به، حين تعلم شخصاً كيف يفعل شيئاً ثم تسمع أنه نجح بالفعل.

قلت:

– "أحسنتِ صنعاً."

قالت:

– "لم أكن لأفعلها لولا مساعدتك."

تغيرت ابتسامتها، ولانت، أصبحت أقل طيشاً وأكثر صدقاً. وقفت على أطراف أصابعها وقبلت خدي.

حدقتُ بها وهي تبتعد. ضحكت وسحبتني نحو الطاولة التي يجلس عليها زيك وبعض المبتدئين الآخرين من أبناء الشجاعة. مشكلتي، كما أدركت، ليست أنني "متزمت"، بل أنني لا أعرف ماذا تعني إيماءات المودة هذه لدى الشجعان. شونا جميلة، ومرحة، وفي "نكران الذات" كنت لأذهب لمنزلها لتناول العشاء مع عائلتها إذا كنت مهتماً بها، وكنت لأكتشف ما هو مشروع التطوع الذي تعمل

عليه وأقحم نفسي فيه. في "الشجاعة" ليس لدي أدنى فكرة كيف أقوم بذلك، أو كيف أعرف ما إذا كنت معجباً بها بتلك الطريقة أصلاً.

قررت ألا أدع الأمر يشتتني، ليس الآن على الأقل. أحضرت طبقاً من الطعام وجلست لآكله، مستمعاً للآخرين يتحدثون ويضحكون معاً. هنأ الجميع شونا على فوزها، وأشاروا للفتاة التي ضربتها، جالسة على إحدى الطاولات الأخرى، ووجهها لا يزال متورماً. في نهاية الوجبة، وحين كنت أنغز قطعة من كعكة الشوكولاتة بشوكتي، دخلت امرأتان من "المعرفة" إلى الغرفة.

يتطلب الأمر الكثير لجعل الشجعان يصمتون. حتى الظهور المفاجئ لأفراد المعرفة لم ينجح تماماً في ذلك - لا تزال هناك همهمات في كل مكان، كصوت وقع خطوات راكضة من بعيد. لكن تدريجياً، وحين جلس أفراد المعرفة مع ماكس ولم يحدث شيء آخر، عادت المحادثات للارتفاع. لم أشارك فيها. واصلت طعن الكعكة بأسنان الشوكة، مراقباً.

وقف ماكس واقترب من عمار. دار بينهما حديث متوتر بين الطاولات، ثم بدآ بالمشي في اتجاهي. نحوي.

أومأ لي عمار. تركت صينيتي شبه الفارغة خلفي.

قال عمار:

- "طُلبنا أنا وأنت للتقييم."

كان فمه المبتسم دائماً الآن خطاً مستقيماً، وصوته المفعم بالحيوية رتيباً.

قلت:

- "تقييم؟"

ابتسم لي ماكس قليلاً وقال:

- "نتائج محاكاة الخوف الخاصة بك كانت غير طبيعية قليلاً. صديقاتنا من المعرفة خلفنا..."

نظرت من فوق كتفه لامرأتي المعرفة. مع انتفاضة، أدركت أن إحداهما هي جانيين ماثيوز، ممثلة "المعرفة". كانت ترتدي بدلة زرقاء أنيقة، وتتدلى نظارة من سلسلة حول عنقها، رمز لغرور المعرفة الذي وصل لدرجة غير منطقية.

تابع ماكس:

- "ستراقبان محاكاة أخرى للتأكد من أن النتيجة غير الطبيعية لم تكن خطأً في برنامج المحاكاة. سيأخذكم عمار جميعاً لغرفة محاكاة الخوف الآن."

شعرت بأصابع أبي تطبق حول ذراعي، وسمعت فحيح صوته، يحذرني من فعل أي شيء غريب في محاكاة اختبار الجدارة. شعرت بتنميل في باطن كفي، العلامة على أنني على وشك الإصابة بالذعر. لم أستطع الكلام، لذا نظرت لماكس فقط، ثم لعمار، وأومأت. لا أعرف ماذا يعني أن تكون واعياً أثناء المحاكاة، لكنني أعلم أنه لا يمكن أن يكون أمراً جيداً. أعلم أن جانيين ماثيوز ما كانت لتأتي إلى هنا فقط لتراقب محاكاتي لو لم يكن هناك خطب جسيم بي.

مشينا لغرفة محاكاة الخوف دون كلام، جانيين ومساعدتها - كما أفترض - تتحدثان بهدوء خلفنا. فتح عمار الباب وسمح لنا بالدخول.

قال عمار:

- "سأحضر المعدات الإضافية كي تتمكنا من المراقبة. سأعود حالاً."

تمشت جانيين في الغرفة بتعبير مفكر. أنا حذر منها، كما هو حال جميع "نكران الذات"، الذين تعلموا عدم الثقة بغرور "المعرفة" وجشعهم. خطر لي، وأنا أراقبها، أن ما تعلمته قد لا يكون صحيحاً. امرأة "المعرفة" التي علمتني كيف أفكك جهاز كمبيوتر حين كنت أتطوع في مختبرات المدرسة لم تكن جشعة أو مغرورة؛ ربما جانيين ماثيوز ليست كذلك أيضاً.

قالت جانيين بعد بضع ثوانٍ:

- "لقد سُجلت في النظام باسم (فور). وهو ما وجدته محيراً. لِمَ لا تستخدم اسم (توبياس) هنا؟"

توقفت عن المشي، وعقدت يديها أمامها.

هي تعرف بالفعل من أكون. حسناً، بالطبع تعرف. هي تعرف كل شيء، أليس كذلك؟ شعرت وكأن أحشائي تنكمش، وتنهار على بعضها. هي تعرف اسمي، وتعرف والدي، وإذا كانت قد رأت إحدى محاكاة الخوف الخاصة بي، فهي تعرف بعض الأجزاء الأكثر ظلمة في داخلي أيضاً. لمست عيناها الصافيتان، المائيتان تقريباً، عينيّ، فأشحت بنظري.

قلت:

- "أردتُ صفحة بيضاء."

أومأت وقالت:

- "أستطيع تقدير ذلك. خصوصاً بالنظر لما مررت به."

بدا صوتها... لطيفاً تقريباً. استشطتُ غضباً من نبرتها، وحدقت مباشرة في وجهها وقلت ببرودة:

- "أنا بخير."

ابتسمت قليلاً وقالت:

- "بالطبع أنت كذلك."

دفع عمار عربة لداخل الغرفة. كانت تحمل المزيد من الأسلاك، والأقطاب الكهربائية، وقطع الكمبيوتر. أعرف ما يفترض بي فعله؛ جلست على الكرسي المائل ووضعت ذراعي على المسندين بينما وصل الآخرون أنفسهم بالمحاكاة. اقترب مني عمار ومعه إبرة، وبقيت ساكناً وهي تقرص عنقي.

أغمضت عيني، وتلاشى العالم مرة أخرى.

***

حين فتحت عيني، كنت أقف على سطح مبنى شاهق الارتفاع بشكل مستحيل، بالقرب من الحافة تماماً. تحتي رصيف صلب، والشوارع كلها فارغة، لا أحد بالجوار ليساعدني على النزول. الرياح تضربني من كل الزوايا، فترنحت للخلف، وسقطت على ظهري فوق السطح المكسو بالحصى.

لا أحب حتى التواجد هنا بالأعلى، رؤية السماء الواسعة الفارغة حولي، تذكرني بأنني في أعلى نقطة بالمدينة. تذكرت أن جانيين ماثيوز تراقب؛ رميت نفسي ضد باب السطح، محاولاً سحبه ليفتح بينما أشكل استراتيجية. طريقتي المعتادة لمواجهة هذا الخوف هي القفز عن حافة المبنى، عالماً أنها مجرد محاكاة وأنني لن أموت حقاً. لكن أي شخص آخر في هذه المحاكاة لن يفعل ذلك أبداً؛ سيجدون طريقة آمنة للنزول.

قمت بتقييم خياراتي. يمكنني محاولة فتح هذا الباب، لكن لا توجد أدوات تساعدني على ذلك هنا، فقط السطح المكسو بالحصى والباب والسماء. لا أستطيع خلق أداة لاختراق الباب، لأن هذا بالضبط هو نوع التلاعب بالمحاكاة الذي تبحث عنه جانيين على الأرجح. تراجعت للخلف، وركلت الباب بقوة بكعبي، لكنه لم يتزحزح.

بينما قلبي يدق في حلقي، مشيت للحافة مرة أخرى. بدلاً من النظر للأسفل تماماً نحو الأرصفة الضئيلة تحتي، نظرت للمبنى نفسه. هناك نوافذ ذات حواف تحتي، المئات منها. أسرع طريقة للنزول، وأكثرها شجاعة، هي تسلق جانب المبنى.

دفنت وجهي بين يدي. أعلم أن هذا ليس حقيقياً، لكنه يبدو حقيقياً؛ الرياح تصفر في أذني، منعشة وباردة، والخرسانة خشنة تحت يدي، وصوت

الحصى المتناثر بفعلي حذائي. وضعت ساقاً فوق الحافة، وأنا أرتعد، واستدرت لأواجه المبنى وأنا أنزل نفسي، ساقاً تلو الأخرى، حتى أصبحت معلقاً بأطراف أصابعي من الحافة.

تفاقم الذعر داخلي، وصرخت وأنا أطبق على أسناني. *يا إلهي. أنا أكره المرتفعات - أكرهها.* رمشتُ طارداً الدموع من عيني، ملقياً باللوم داخلياً على الرياح، وتحسست بقدمي حافة النافذة تحتي. وحين وجدتها، تحسست أعلى النافذة بيد واحدة، وضغطت للأعلى لأحافظ على توازني وأنا أنزل نفسي لأقف على مقدمة باطن قدمي على عتبة النافذة بالأسفل.

مال جسدي للخلف، فوق الفراغ، وصرخت مجدداً، ضاغطاً على أسناني بقوة جعلتها تصدر صريراً.

علي فعل ذلك مرة أخرى. ومرة أخرى. ومرة أخرى.

انحنيت، ممسكاً أعلى النافذة بيد وأسفلها بالأخرى. حين أحكمت قبضتي، زحلقت أصابع قدمي لأسفل جانب المبنى، مستمعاً لصوت كشطها للحجر، وتركت نفسي أتدلى مجدداً.

هذه المرة، حين تركت نفسي أسقط للحافة الأخرى، لم أتمسك بقوة كافية بيدي. فقدت توازني على عتبة النافذة وملت للخلف. تخبطت، خادشاً المبنى الخرساني بأطراف أصابعي، لكن الأوان كان قد فات؛ هويتُ، وصرخة أخرى تصاعدت داخلي، تمزق حلقي. *كان* بإمكاني خلق شبكة تحتي؛ كان بإمكاني خلق *حبل في الهواء لينقذني - لا، لا يجب أن أخلق أي شيء وإلا سيعرفون ما يمكنني فعله.*

تركت نفسي أسقط. تركت نفسي أموت.

استيقظت والألم - الذي صنعه عقلي - يغني في كل جزء من جسدي، يصرخ، وعيناي مشوشتان بالدموع والرعب. انتفضت للأمام، ألهث. جسدي

يرتجف؛ أنا خجل للتصرف بهذه الطريقة أمام هذا الجمهور، لكنني أعلم أنه أمر جيد. سيظهر لهم أنني لست مميزاً – أنا مجرد شجاع متهور آخر ظن أنه يستطيع تسلق مبنى وفشل.

قالت جانيين، وبالكاد استطعت سماعها فوق صوت تنفسي:

– "مثير للاهتمام. لا أملّ أبداً من الرؤية داخل عقل الشخص – كل تفصيل يوحي بالكثير."

أنزلت ساقي – اللتين لا تزالان ترتجفان – عن حافة الكرسي وثبتت قدمي على الأرض.

قال عمار:

– "بليت حسناً. مهاراتك في التسلق ربما تحتاج لبعض التحسين، لكنك مع ذلك خرجت من المحاكاة بسرعة، كالمرة السابقة."

ابتسم لي. لابد أنني نجحت في التظاهر بأنني طبيعي، لأنه لم يعد يبدو قلقاً.

أومأتُ.

قالت جانيين:

– "حسناً، يبدو أن نتيجة اختبارك غير الطبيعية كانت خطأ في البرنامج. سيتوجب علينا التحقيق في برنامج المحاكاة لإيجاد الخلل. والآن، يا عمار. أود رؤية إحدى محاكيات الخوف الخاصة بك، إذا تكرمت."

– "خاصتي؟ ولماذا خاصتي؟"

لم تتغير ابتسامة جانيين الهادئة.

– "معلوماتنا تشير إلى أنك لم تنزعج من نتيجة توبياس غير الطبيعية – وأنك كنت مألوفاً جداً معها، في الواقع. لذا أود أن أرى إن كانت تلك الألفة نابعة من التجربة."

قال عمار:

- "معلوماتكم. معلومات من أين؟"

قالت جانيين:

- "تقدم أحد المبتدئين ليعبر عن مخاوفه بشأن سلامتك وسلامة توبياس. أود احترام خصوصيته. توبياس، يمكنك المغادرة الآن. شكراً لمساعدتك."

نظرت لعمار. أومأ قليلاً. دفعت نفسي للوقوف، ما زلت غير متزن قليلاً، وخرجت، تاركاً الباب مفتوحاً بشق صغير لأبقى وأسترق السمع. لكن بمجرد أن صرت في الرواق، دفعت مساعدة جانيين الباب لتغلقه، ولم أستطع سماع أي شيء خلفه، حتى حين ضغطت أذني عليه.

تقدم أحد المبتدئين ليعبر عن مخاوفه - وأنا واثق أنني أعرف من هو ذلك المبتدئ. العضو الوحيد السابق في "المعرفة" بيننا: إريك.

***

لمدة أسبوع، بدا وكأن شيئاً لن يتمخض عن زيارة جانيين ماثيوز. كل المبتدئين، سواء من أبناء الشجاعة أو المنتقلين، يمرون بمحاكاة الخوف كل يوم، وكل يوم، أسمح لنفسي بأن تستهلكني مخاوفي: المرتفعات، الأماكن الضيقة، العنف، وماركوس. أحياناً تتداخل معاً؛ ماركوس في قمة مبانٍ شاهقة، عنف في أماكن ضيقة. أستيقظ دائماً نصف هذيان، أرتجف، محرجاً لأنه رغم كوني المبتدئ الذي يملك أربعة مخاوف فقط، إلا أنني أيضاً الشخص الذي لا يستطيع طردها حين تنتهي المحاكاة. تتسلل إليّ حين لا أتوقعها، مالئة نومي بالكوابيس ويقظتي بالقشعريرة وجنون الارتياب. أصر على أسناني، أجفل لأقل الأصوات، وتخدر يداي دون إنذار. أخشى أن أفقد عقلي قبل أن ينتهي التدريب.

سألني زيك في الإفطار ذات صباح:

- "هل أنت بخير؟ تبدو... منهكاً."

قلت بحدة أكثر مما قصدت:

- "أنا بخير."

قال زيك مبتسماً:

- "أوه، بوضوح. لا بأس بأن لا تكون بخير، كما تعلم."

قلت:

- "أجل، صحيح."

أجبرت نفسي على إنهاء طعامي، رغم أن طعمه كله يشبه الغبار بالنسبة لي هذه الأيام. إذا كان علي أن أشعر بأنني أفقد عقلي، فأنا على الأقل أكتسب وزناً - عضلات في الغالب. من الغريب أن أشغل كل هذا الحيز بمجرد الوجود بعد أن اعتدت الاختفاء بسهولة. ذلك يجعلني أشعر بأنني أقوى قليلاً، وأكثر استقراراً قليلاً.

رتّبنا أنا وزيك صواني الطعام. وحين كنا في طريقنا للخروج نحو "الحفرة"، ركض شقيق زيك الصغير - يوريا هو اسمه، كما أتذكر - نحونا. هو أطول من زيك بالفعل، ويضع ضمادة خلف أذنه تغطي وشماً حديثاً. عادة ما يبدو وكأنه على وشك إلقاء نكتة، لكن ليس الآن. الآن يبدو مذهولاً وحسب.

قال وهو يلهث قليلاً:

- "عمار. عمار..."

هز رأسه وتابع:

- "عمار مات."

ضحكت قليلاً. كنت أدرك بشكل بعيد أن هذا ليس رد الفعل المناسب، لكنني لم أستطع تمالك نفسي.

- "ماذا؟ ماذا تعني بأنه مات؟"

قال يوريا:

- "وجدت امرأة من الشجاعة جثة على الأرض قرب (المحرقة) في وقت مبكر من هذا الصباح. لقد تعرفوا عليها للتو. كان عمار. لابد أنه..."

قال زيك:

- "قفز؟"

قال يوريا:

- "أو سقط، لا أحد يعلم."

تحركت نحو المسارات التي تتسلق جدران الحفرة. عادة ما أكاد ألصق جسدي بالجدار حين أفعل هذا، خائفاً من الارتفاع، لكن هذه المرة لم أفكر حتى فيما هو تحتي. احتككت بأطفال يركضون ويصرخون وبناس يدخلون المتاجر ويخرجون منها. تسلقت الدرج الذي يتدلى من السقف الزجاجي.

كان هناك حشد متجمع في ردهة "المحرقة". شققت طريقي بالمناكب عبره. شتمني بعض الناس، أو دفعوني بمرافقهم، لكنني لم ألاحظ حقاً. شققت طريقي إلى حافة الغرفة، إلى الجدران الزجاجية فوق الشوارع التي تحيط بمجمع الشجاعة. هناك في الخارج، كانت توجد منطقة مطوقة بشريط، ولطخة من الأحمر الداكن على الرصيف.

حدقت في اللطخة لوقت طويل، حتى شعرت بنفسي أستوعب أن تلك اللطخة تأتي من دم عمار، من ارتطام جسده بالأرض.

ثم ابتعدت ماشياً.

***

لم أكن أعرف عمار جيداً بما يكفي لأشعر بالحزن، بالطريقة التي عودت نفسي على التفكير فيها. الحزن كان ما شعرت به بعد موت أمي، ثقل جعل من

المستحيل التحرك خلال كل يوم. أتذكر التوقف في منتصف مهام بسيطة للراحة، ونسيان البدء فيها مجدداً، أو الاستيقاظ في منتصف الليل والدموع على وجهي.

أنا لا أحمل فقدان عمار بتلك الطريقة. أجد نفسي أشعر به بين الحين والآخر، حين أتذكر كيف منحني اسمي، وكيف حماني حين لم يكن حتى يعرفني. لكنني في معظم الوقت أشعر بالغضب وحسب. موته كان له علاقة بجانيين ماثيوز وتقييم محاكاة الخوف الخاصة به، أنا أعلم ذلك. وذلك يعني أن أياً كان ما حدث هو مسؤولية إريك أيضاً، لأنه تنصت على محادثتنا وأخبر قائدة جماعته السابقة عنها.

لقد قتلوه، جماعة "المعرفة". لكن الجميع يظنون أنه قفز، أو سقط. إنه شيء قد يفعله شخص من "الشجاعة".

أقام الشجعان حفل تأبين له ذلك المساء. كان الجميع سكارى بحلول وقت متأخر من الظهيرة. تجمعنا عند الهاوية، وناولني زيك كوباً من سائل داكن، فجرعته كله دون تفكير. وبينما تحرك الهدوء السائل خلالي، ترنحت قليلاً على قدمي وأعدت الكوب الفارغ إليه.

قال زيك وهو يحدق في الكوب الفارغ:

- "أجل، يبدو هذا كافياً. سأحضر المزيد."

أومأت واستمعت لهدير الهاوية. جانيين ماثيوز بدت وكأنها قبلت أن نتائجي غير الطبيعية كانت مجرد مشكلة في البرنامج، لكن ماذا لو كان ذلك مجرد تمثيل؟ ماذا لو طاردتني كما طاردت عمار؟ حاولت دفع الفكرة للأسفل حيث لن أجدها مجدداً.

هبطت يد داكنة ومندوبة على كتفي، ووقف ماكس بجانبي.

قال:

- "هل أنت بخير يا فور؟"

قلت:

- "أجل."

وهذا صحيح، أنا بخير. أنا بخير لأنني لا أزال واقفاً على قدمي ولم أبدأ بالتلعثم في كلامي بعد.

ابتسم ماكس قليلاً وقال:

- "أعلم أن عمار كان مهتماً بك بشكل خاص. أعتقد أنه رأى فيك إمكانيات قوية."

قلت:

- "لم أكن أعرفه حقاً."

قال ماكس:

- "كان دائماً مضطرباً قليلاً، غير متزن قليلاً. ليس كبقية المبتدئين في دفعته. أعتقد أن فقدان جديه أثر عليه حقاً. أو ربما كانت المشكلة أعمق... لا أدري. قد يكون أفضل حالاً بهذه الطريقة."

قلت عابساً في وجهه:

- "أفضل حالاً وهو ميت؟"

قال ماكس:

- "ليس هذا بالضبط ما عنيته. لكن هنا في الشجاعة، نشجع أعضاءنا على اختيار مساراتهم الخاصة في الحياة. إذا كان هذا ما اختاره... فليكن."

وضع يده على كتفي مجدداً وتابع:

- "بناءً على أدائك في اختبارك النهائي غداً، يجب أن نتحدث أنا وأنت عن المستقبل الذي تود أن تحظى به هنا في الشجاعة. أنت وبلا منازع المبتدئ الواعد لدينا، رغم خلفيتك."

ظللت أحدق فيه وحسب. لم أفهم حتى ما يقوله، أو لماذا يقوله هنا، في حفل تأبين عمار. هل يحاول تجنيدي؟ لأجل ماذا؟

عاد زيك بكوبين، وذاب ماكس في الحشد كأن شيئاً لم يحدث. وقف أحد أصدقاء عمار على كرسي وصرخ بشيء لا معنى له حول كون عمار شجاعاً بما يكفي لاستكشاف المجهول.

رفع الجميع كؤوسهم وهتفوا باسمه. *عمار، عمار، عمار.* قالوها مرات عديدة حتى فقدت كل معنى، ضجيج لا يرحم ومتكرر ومستحوذ.

ثم شربنا جميعاً. هذه هي الطريقة التي يحد بها الشجعان: بمطاردة الحزن إلى غياهب نسيان الكحول وتركه هناك.

حسناً. جيد. أستطيع مطاردته أنا أيضاً.

***

اختباري النهائي، سيناريو المخاوف، أدارته توري وراقبه قادة الشجاعة، بمن فيهم ماكس. ذهبت في ترتيب متوسط بين المبتدئين، وللمرة الأولى، لم أكن متوتراً ولو قليلاً. في سيناريو المخاوف، الجميع واعون أثناء المحاكاة، لذا ليس لدي ما أخفيه. غرزت الإبرة في عنقي وتركت الواقع يتلاشى.

فعلتها عشرات المرات. أجد نفسي في قمة مبنى عالٍ وأركض عن الحافة. أُحبس في صندوق وأسمح لنفسي بلحظة ذعر وجيزة قبل أن أضرب بكتفي الجدار الأيمن، محطماً الخشب بالاصطدام، بشكل مستحيل. ألتقط مسدساً وأطلق النار على شخص بريء - هذه المرة رجل بلا وجه يرتدي ملابس الشجاعة السوداء - في الرأس دون حتى التفكير في الأمر.

هذه المرة، حين أحاطت بي نسخ ماركوس، بدت تشبهه أكثر مما كانت عليه سابقاً. فمه كان فماً، رغم أن عينيه لا تزالان حفراً فارغة. وحين سحب

ذراعه ليضربني، كان يحمل حزاماً، لا سلسلة شائكة أو سلاحاً آخر يمكنه تمزيقي إرباً. تلقيت بضع ضربات، ثم غصت نحو أقرب ماركوس، لافاً يدي حول عنقه. لكمت وجهه بوحشية، ومنحني العنف لحظة رضا وجيزة قبل أن أستيقظ، جاثياً على أرضية غرفة سيناريو المخاوف.

أضيئت الأنوار في الغرفة التي تلي هذه، فاستطعت رؤية الناس بداخلها. كان هناك صفان من المبتدئين المنتظرين، بمن فيهم إريك، الذي أصبح لديه الآن ثقوب كثيرة في شفته لدرجة أنني وجدت نفسي أحلم بانتزاعها واحداً تلو الآخر. أمامهم جلس قادة الشجاعة الثلاثة، بمن فيهم ماكس، وجميعهم يومئون ويبتسمون. رفعت توري إبهامها لي.

دخلت الامتحان وأنا أفكر أنني لم أعد أكترث، لا بالنجاح، ولا بالأداء الجيد، ولا بكوني شجاعاً. لكن إشارة توري ملأتني بالفخر، وسمحت لنفسي بابتسامة صغيرة وأنا أخرج. قد يكون عمار ميتاً، لكنه أراد لي دائماً أن أبلي حسناً. لا أستطيع القول إنني فعلت ذلك لأجله – لم أفعل ذلك لأجل أحد حقاً، ولا حتى نفسي. لكن على الأقل لم أسبب له الخزي.

انتظر جميع المبتدئين الذين أنهوا امتحانهم النهائي النتائج في عنبر المنتقلين، أبناء الشجاعة والمنتقلون على حد سواء. صاح زيك وشونا بحماس حين دخلت، وجلست على حافة سريري.

سألني زيك:

- "كيف سار الأمر؟"

قلت:

- "جيد. لا مفاجآت. وأنت؟"

قال هازاً كتفيه:

- "فظيع، لكنني خرجت حياً. شونا حصلت على بعض المخاوف الجديدة، مع ذلك."

قالت شونا بلامبالاة مبالغ فيها:

- "تعاملتُ معها."

كانت تضع وسادة فوق ركبتيها، إحدى وسائد إريك. لن يعجبه ذلك.

انهار تصنعها، وابتسمت ابتسامة عريضة قائلة:

- "كنتُ مذهلة جداً."

قال زيك:

- "نعم، نعم."

ضربته شونا بالوسادة، في وجهه مباشرة. انتزعها منها.

قال:

- "ماذا تريدين مني أن أقول؟ نعم، كنتِ مذهلة. نعم، أنتِ أفضل شجاعة على الإطلاق. أسعيدة الآن؟"

ضربها في كتفها بالوسادة وتابع:

- "إنها تتفاخر بلا توقف منذ بدأنا محاكاة الخوف لأنها أفضل فيها مني. أمر مزعج."

قالت:

- "إنه مجرد انتقام لمدى تفاخرك أثناء التدريب القتالي. (هل رأيتِ تلك الضربة الرائعة التي سددتها في البداية؟) بلا، بلا، بلا."

دفعها، فأمسكت بمعصميه. حررت نفسها ونقرت أذنه، وكانا يضحكان، ويتصارعان.

قد لا أفهم مودة الشجعان، لكنني على ما يبدو أعرف المغازلة حين أراها. ابتسمت بتكلف. أظن أن هذا يحل مسألة شونا، ليس وكأنها كانت تؤرقني حقاً. ربما كان ذلك إجابة بحد ذاتها.

جلسنا لحوالي ساعة أخرى بينما أنهى الآخرون امتحاناتهم النهائية، متقاطرين للداخل واحداً تلو الآخر. آخر من دخل كان إريك، واكتفى بالوقوف عند المدخل، يبدو مغروراً.

قال:

- "حان وقت الحصول على نتائجنا."

نهض الآخرون جميعاً ومروا بجانبه في طريقهم للخروج. بدا بعضهم متوتراً؛ والبعض الآخر بدا متعجرفاً، واثقاً من نفسه. انتظرت حتى رحلوا جميعاً قبل أن أمشي للمدخل، لكنني لم أعبره. توقفت، عاقداً ذراعي ومحدقاً في إريك لبضع ثوان.

قال:

- "لديك ما تقوله؟"

قلت:

- "أعرف أنه أنت. من أخبر (المعرفة) عن عمار. أنا أعرف."

قال:

- "لا أعرف عما تتحدث."

لكن كان من الواضح أنه يعرف.

قلت:

- "أنت السبب في موته."

فوجئت بسرعة اشتعال غضبي. ارتعد جسدي به، وسخن وجهي.

قال إريك بابتسامة ساخرة:

- "هل ضُربت على رأسك أثناء امتحانك أيها المتزمت؟ كلامك لا يحمل أي معنى."

دفعته للخلف، بقوة، ضد الباب. ثم ثبتته هناك بذراع واحدة - فوجئت، للحظة، بمدى قوتي - وانحنيت مقترباً من وجهه.

قلت، باحثاً في عينيه السوداوين عن شيء، أي شيء. لم أر شيئاً، مجرد عيني سمكة ميتة، لا يمكن اختراقهما:

- "أنا أعرف أنه أنت. أنت السبب في موته، ولن تفلت بفعلتك."

أفلتّه ومشيت في الممر نحو الكافيتيريا.

***

كانت قاعة الطعام مكتظة بأناس يرتدون أفضل ما لديهم من ملابس الشجاعة - كل الثقوب تم إبرازها بحلقات أكثر لمعاناً، وكل الأوشام معروضة، حتى لو عنى ذلك عدم ارتداء ملابس. حاولت إبقاء عيني على وجوه الناس وأنا أشق طريقي عبر زحام الأجساد. روائح الكعك واللحم المطهو والخبز والتوابل تملأ الهواء، جاعلة لعابي يسيل - لقد نسيت تناول الغداء.

حين وصلت لطاولتي المعتادة، سرقت لفافة خبز من طبق زيك حين لم يكن ينظر ووقفت مع الآخرين لانتظار نتائجنا. آمل ألا يجعلونا ننتظر طويلاً. أشعر وكأنني أمسك سلكاً مكهرباً، يداي تنتفض وأفكاري محمومة ومشتتة. حاول زيك وشونا التحدث إليّ، لكن لم يستطع أحد منا الصراخ بصوت عالٍ بما يكفي فوق الضجيج ليسمعاني، لذا استسلمنا للانتظار بصمت.

صعد ماكس على إحدى الطاولات ورفع يديه طالباً الهدوء. حصل عليه في الغالب، رغم أنه حتى هو لا يستطيع إسكات الشجعان تماماً، فالبعض استمر في

الحديث والمزاح وكأن شيئاً لم يحدث. مع ذلك، استطعت سماعه وهو يلقي خطابه.

قال ماكس:

- "قبل بضعة أسابيع، قدمت مجموعة من المبتدئين الهزيلين الخائفين دماءهم للجحيم وقاموا بالقفزة الكبيرة نحو الشجاعة."

تابع:

- "لأكون صادقاً، لم أظن أن أياً منهم سيصمد خلال اليوم الأول."

توقف ليسمح بالضحك، وقد حدث ذلك، رغم أنها لم تكن نكتة جيدة جداً.

- "لكن يسعدني أن أعلن أنه في هذا العام، حقق جميع مبتدئينا الدرجات المطلوبة ليصبحوا شجعاناً!"

هتف الجميع. رغم التأكيد بأنهم لن يُستبعدوا، تبادل زيك وشونا نظرات متوترة - الترتيب الذي سنصنف به لا يزال يحدد نوع الوظيفة التي يمكننا اختيارها في "الشجاعة". وضع زيك ذراعه حول كتفي شونا وضغط عليها.

شعرت فجأة بالوحدة مجدداً.

قال ماكس:

- "لا مزيد من التأخير. أعلم أن مبتدئينا يكادون يخرجون من جلودهم. لذا، إليكم أعضاء الشجاعة الاثني عشر الجدد!"

ظهرت أسماء المبتدئين على شاشة كبيرة خلفه، كبيرة بما يكفي ليراها حتى من في آخر الغرفة. بحثت في القائمة تلقائياً عن اسميهما:

6. زيك

7. آش

8. شونا

اختفى بعض توتري فوراً. تتبعت القائمة للأعلى، وطعنني الذعر لثانية واحدة حين لم أجد اسمي. لكن بعد ذلك، ها هو ذا، في القمة تماماً.

1. فور

2. إريك

أطلقت شونا صرخة، وسحقتني هي وزيك في عناق فوضوي، وكاد وزنهما يطرحني أرضاً. ضحكت ورفعت ذراعي لأبادلهما العناق.

في مكان ما وسط الفوضى، أسقطت لفافة عشائي – سحقتها تحت كعبي وابتسمت والناس يحيطون بي، أناس لا أعرفهم حتى، يضربون على كتفي ويبتسمون وينادون اسمي. اسمي، الذي هو "فور" فقط الآن؛ كل الشكوك حول أصلي وهويتي نُسيت الآن بعد أن أصبحت واحداً منهم، الآن بعد أن أصبحت شجاعاً.

أنا لست توبياس إيتون، ليس بعد الآن، ولن أكون أبداً. أنا شجاع.

***

في تلك الليلة، وأنا مصاب بدوار الإثارة وممتلئ بالطعام لدرجة أنني بالكاد أستطيع المشي، تسللت بعيداً عن الاحتفال وتسلقت الممرات إلى قمة "الحفرة"، إلى ردهة "المحرقة". مشيت خارج الأبواب واستنشقت نفساً عميقاً من هواء الليل، الذي كان بارداً ومنعشاً، عكس الهواء الحار والخانق في الكافيتيريا.

مشيت نحو سكك القطار، ممتلئاً جداً بطاقة هوسية تمنعني من البقاء ساكناً. هناك قطار قادم، الضوء المثبت في عربته الأمامية يومض وهو يقترب مني. اندفع ماراً بقوة وطاقة، عالياً كالرعد في أذني. ملتُ أقرب إليه، متذوقاً لأول مرة روعة الخوف في معدتي، لكوني قريباً جداً من شيء خطير كهذا.

ثم رأيت شيئاً داكناً ذا هيئة بشرية يقف في إحدى العربات الأخيرة. قامة أنثوية فارعة ونحيلة، تميل بجسدها خارج العربة، متشبثة بأحد المقابض.

ولثانية يتيمة، والقطار يمرق أمامي كطيف ضبابي، ألمح شعرًا داكنًا مجعدًا، وأنفًا معقوفًا.

إنها تشبه أمي إلى حد بعيد.

ثم تختفي؛ تمضي وتتلاشى مع القطار.

القصة الثالثة:

الابن



الشقة الصغيرة خاوية، ولا تزال آثار المكنسة تخطط الأرضية عند الزوايا. لا أملك شيئاً لملء هذا الفراغ سوى ملابس "نكران الذات"، المحشوة في قاع الحقيبة التي بجانبي. ألقيتُ بها على المرتبة العارية وتفقدت الأدراج أسفل السرير بحثاً عن ملاءات.

كانت قرعة "الشجاعة" رحيمة بي؛ لأنني احتليت المرتبة الأولى، ولأنني – على عكس زملائي المبتدئين الاجتماعيين – أردتُ العيش وحيداً. الآخرون، مثل زيك وشونا، نشأوا محاطين بمجتمع الشجاعة، وبالنسبة لهم، فإن الصمت والسكون المصاحبين للعيش المنفرد أمر لا يطاق.

رتبتُ السرير بسرعة، شاداً الملاءة العلوية بإحكام حتى كادت زواياها تبرز بحدة. الملاءات بالية في بعض المواضع، بفعل العث أو الاستخدام السابق، لست متأكداً. اللحاف – وهو غطاء أزرق مبطن – تفوح منه رائحة خشب الأرز والغبار. حين فتحت الحقيبة التي تحوي ممتلكاتي الضئيلة، حملت قميص "نكران الذات" أمام ناظري؛ كان ممزقاً من الموضع الذي اضطررت فيه لانتزاع قطعة قماش لتضميد جرح يدي. يبدو صغيراً – أشك أنني سأتمكن من ارتدائه حتى لو حاولت الآن، لكنني لم أحاول، بل طويته وأسقطته في الدرج.

سمعتُ طرقاً على الباب، فقلت ظناً مني أنه زيك أو شونا:

– "تفضل بالدخول!"

لكن ماكس، الرجل الطويل ذو البشرة الداكنة والمفاصل المكدومة، هو من دلف إلى شقتي، ويداه معقودتان أمامه. مسح الغرفة بنظرة واحدة، ولوى شفته باشمئزاز حين رأى السراويل الرمادية المطوية على سريري. فاجأني رد فعله قليلاً

– ليس هناك الكثيرون في هذه المدينة ممن قد يختارون "نكران الذات"

كجماعة لهم، لكن ليس هناك الكثيرون ممن يكرهونها أيضاً. يبدو أنني وجدت واحداً منهم.

وقفتُ، غير متأكد مما يجب قوله. هناك قائد جماعة في شقتي.

قلت:

- "مرحباً."

قال:

- "آسف للمقاطعة. أنا مندهش لأنك لم تختر السكن مع زملائك المبتدئين السابقين. لقد كونت بعض الصداقات، أليس كذلك؟"

قلت:

- "أجل. لكن هذا يبدو طبيعياً أكثر."

قال ماكس وهو يمرر طرف إصبعه على الطاولة في مطبخي الصغير، وينظر للغبار الذي علق به، قبل أن يمسح يده في بنطاله:

- "أخمن أن الأمر سيستغرق بعض الوقت لتتخلص من أثر جماعتك القديمة."

رمقني بنظرة ناقدة - نظرة تأمرني بأن أتخلى عن جماعتي القديمة بشكل أسرع. لو كنت لا أزال مبتدئاً، لربما قلقت من تلك النظرة، لكنني عضو في "الشجاعة" الآن، ولا يمكنه سلب ذلك مني، مهما بدوت "متزمتاً".

أو هل يمكنه ذلك؟

قال ماكس:

- "ستختار وظيفتك بعد ظهر هذا اليوم. هل وضعت شيئاً في ذهنك؟"

قلت:

- "أظن أن الأمر يعتمد على ما هو متاح. أود أن أعمل في شيء يتعلق بالتدريس. مثل ما كان يفعله عمار، ربما."

ارتفع حاجبا ماكس، ولاحظت أن أحدهما لا يتحرك بقدر الآخر – إذ يقطعه ندبة قديمة.

قال:

– "أعتقد أن المبتدئ صاحب المرتبة الأولى يستحق ما هو أفضل قليلاً من مجرد (مدرب مبتدئين)، ألا تظن ذلك؟ لقد جئت لأن فرصة قد لاحت."

سحب كرسياً من تحت الطاولة الصغيرة قرب منضدة المطبخ، وأداره، وجلس عليه بالمقلوب. كان حذاؤه الأسود مغطى بطبقة من الطين البني الفاتح، والأربطة معقودة ومهترئة عند الأطراف. قد يكون أكبر الشجعان سناً ممن رأيتهم، لكنه يبدو وكأنه مصنوع من الفولاذ.

جلس على حافة السرير وتابع:

– "لأكون صادقاً، أحد زملائي من قادة الشجاعة بدأ يتقدم في السن ولم يعد مناسباً للمهمة. نحن الأربعة الباقون نرى أنها فكرة جيدة أن نضخ دماءً جديدة في القيادة. أفكار جديدة لأعضاء الشجاعة الجدد ولعملية التدريب، تحديداً. هذه المهمة توكل عادة لأصغر القادة سناً على أي حال، لذا فالأمر مناسب. كنا نفكر في السحب من دفعات المبتدئين الأحدث لبرنامج تدريبي لنرى إن كان هناك مرشح جيد. وأنت خيار طبيعي."

شعرت فجأة وكأن جلدي يضيق عليّ. هل يقترح حقاً أنني، وأنا في السادسة عشرة من عمري، مؤهل لأكون قائداً في الشجاعة؟

قال ماكس:

– "البرنامج التدريبي سيستمر لعام على الأقل. سيكون صارماً وسيختبر مهاراتك في مجالات عديدة. كلانا يعلم أنك ستبلي بلاءً حسناً في جزئية سيناريو المخاوف."

أومأتُ دون تفكير. لابد أنه لم ينزعج من ثقتي بنفسي، لأنه ابتسم قليلاً.

تابع:

- "لن تحتاج للذهاب لاجتماع اختيار الوظائف لاحقاً اليوم. التدريب سيبدأ قريباً جداً - صباح الغد، في الواقع."

اخترقت فكرةٌ التشوش في عقلي، فقلت:

- "مهلاً. أليس لدي خيار؟"

بدى متحيراً وقال:

- "بالطبع لديك خيار. افترضت فقط أن شخصاً مثلك سيفضل التدرب ليكون قائداً بدلاً من قضاء اليوم كله واقفاً عند السياج وبندقية على كتفه، أو يلقي محاضرات على المبتدئين حول تقنيات القتال الجيدة. لكن إن كنتُ مخطئاً..."

لا أعرف لمَ أتردد. لا أريد قضاء أيامي في حراسة السياج، أو القيام بدوريات في المدينة، أو حتى ذرع أرضية غرفة التدريب جيئة وذهاباً. قد أملك موهبة في القتال، لكن هذا لا يعني أنني أريد فعل ذلك طوال اليوم، وكل يوم. فرصة إحداث تغيير في "الشجاعة" تروق للأجزاء المتبقية من "نكران الذات" في داخلي، تلك الأجزاء التي لا تزال عالقة، وتطالب بالاهتمام بين الحين والآخر.

أظن أنني فقط لا أحب حين لا أُعطى خياراً.

هززت رأسي وقلت:

- "لا، لم تكن مخطئاً."

نظفت حلقي وحاولت أن أبدو أقوى، وأكثر تصميماً.

تابعت:

- "أريد القيام بذلك. شكراً لك."

نهض ماكس وطقطق أحد مفاصل يده بكسل، وكأنها عادة قديمة.

قال:

- "ممتاز. تعال لغرفة الاجتماعات قرب مكتبي غداً صباحاً في الثامنة. إنها في (المحرقة). الطابق العاشر."

مد يده لمصافحتي، فأخذتها، رغم أن الإيماءة لا تزال غير مألوفة لي - "نكران الذات" لا يتلامسون بهذه العفوية أبداً.

غادر، ناثراً فتاتاً من الطين الجاف من أسفل حذائه وهو يخرج. كنستُها بالمكنسة التي تستند إلى الجدار قرب الباب. ولم أدرك الأمر إلا وأنا أعيد الكرسي تحت الطاولة - *إذا أصبحت قائداً في الشجاعة، وممثلاً لجماعتي، سأضطر لمواجهة أبي وجهاً لوجه مجدداً. وليس لمرة واحدة فقط، بل باستمرار، حتى يتقاعد أخيراً في غموض نكران الذات.*

بدأت أصابعي تتنمل. لقد واجهت مخاوفي مرات لا تحصى في المحاكاة، لكن هذا لا يعني أنني مستعد لمواجهتها في الواقع.

***

صاح زيك، وعيناه متسعتان قلقاً:

- "يا رجل، لقد فاتك الكثير! الوظائف الوحيدة التي تبقت في النهاية كانت الوظائف المقززة، كتنظيف المراحيض! أين كنت؟"

قلت وأنا أحمل صينيتي عائداً لطاولتنا قرب الأبواب:

- "الأمر بخير. لم يفتني شيء - جاء ماكس لرؤيتي في وقت سابق."

كانت شونا هناك مع أختها الصغيرة، لين، وصديقة لين مارلين. حين رأيتهم هناك لأول مرة، رغبت في الاستدارة والمغادرة فوراً - مارلين مرحة أكثر من اللازم بالنسبة لي حتى في أيامي الجيدة - لكن زيك كان قد رآني بالفعل، لذا فات الأوان. خلفنا، كان يوريا يهرول ليلحق بنا، وطبقه محمل بطعام أكثر مما يمكن لمعدته أن تتسع له.

بينما أخذنا مقاعدنا على الطاولة، تحت أحد المصابيح الزرقاء الساطعة المعلقة على الجدار، أخبرته بعرض ماكس، حريصاً على ألا أجعله يبدو مبهراً للغاية. لقد وجدت أصدقاء للتو؛ ولا أريد خلق توتر الغيرة بيننا بلا سبب. حين انتهيت، أسندت شونا وجهها على إحدى يديها وقالت لزيك:

- "أخمن أنه كان يجدر بنا بذل جهد أكبر أثناء التدريب، هاه؟"

قال زيك:

- "أو قتله قبل أن يتمكن من خوض اختباره النهائي."

قالت شونا وهي تبتسم لي ابتسامة عريضة:

- "أو كلاهما. تهانينا يا فور. أنت تستحقها."

شعرت بعيون الجميع عليّ كأشعة حرارة قوية ومتميزة، فسارعت لتغيير الموضوع.

- "أين انتهى المطاف بكم يا رفاق؟"

قال زيك:

- "غرفة التحكم. أمي كانت تعمل هناك، وقد علمتني معظم ما سأحتاج لمعرفته بالفعل."

قالت شونا:

- "أنا في مسار قيادة الدوريات... أو شيء من هذا القبيل. ليست الوظيفة الأكثر إثارة، لكن على الأقل سأكون في الخارج."

قالت لين بعبوس وهي تطعن كومة من البطاطس المهروسة بشوكتها:

- "أجل، لنسمعكِ تقولين ذلك في عز الشتاء حين تخوضين في قدم من الثلج والجليد. من الأفضل أن أبلي حسناً في التدريب. لا أريد أن أعلق عند السياج."

قال يوريا:

- "ألم نتحدث عن هذا؟ لا تنطقي بكلمة (تدريب) حتى يتبقى أسبوعان على الأقل قبل حدوثه. الأمر يجعلني أرغب في التقيؤ."

نظرت لكومة الطعام في طبقه وقلت:

- "لكن حشو نفسك بالطعام حتى عينيك، هذا أمر عادي؟"

قلب عينيه نحوي وانحنى فوق طبقه ليتابع الأكل. نقرت طعامي – لم تكن لدي شهية منذ الصباح، قلق جداً بشأن الغد لدرجة تمنعني من احتمال معدة ممتلئة.

لمح زيك شخصاً عبر الكافيتيريا.

قال:

- "سأعود حالاً."

راقبته شونا وهو يعبر الغرفة ليحيي بضعة أعضاء شجعان صغار. لا يبدون أكبر منه بكثير، لكنني لا أعرفهم من فترة التدريب، لذا لابد أنهم أكبر بعام أو اثنين. قال زيك شيئاً للمجموعة – المكونة من فتيات في الغالب – مما جعلهن ينفجرن ضحكاً، ونكز إحداهن في ضلوعها، فجعله تصرخ ضاحكة. بجانبي، تجهمت شونا وأخطأت فمها بالشوكة، ملطخة خدها بصلصة الدجاج. شهقت لين في طعامها ضاحكة، فركلتها مارلين – بصوت مسموع – تحت الطاولة.

قالت مارلين بصوت عالٍ:

- "إذن، هل تعرف أي شخص آخر يشارك في برنامج القيادة ذاك يا فور؟"

قالت شونا:

- "الآن وقد ذكرتِ الأمر، لم أرَ إريك هناك اليوم أيضاً. كنت آمل أنه تعثر وسقط في الهاوية، لكن..."

حشرتُ لقمة طعام في فمي وحاولت ألا أفكر بالأمر. الضوء الأزرق يجعل يدي تبدو زرقاء أيضاً، كيد جثة. لم أتحدث لإريك منذ اتهمته بكونه المسؤول

غير المباشر عن موت عمار - شخص ما أبلغ جانيين ماثيوز، زعيمة المعرفة، بوعي عمار أثناء المحاكاة، وبصفته عضواً سابقاً في المعرفة، فإن إريك هو المشتبه به الأرجح. لم أقرر بعد ما سأفعله في المرة القادمة التي أضطر فيها للحديث معه أيضاً. ضربه مجدداً لن يثبت أنه خائن للجماعة. سيتوجب علي إيجاد طريقة لربط أنشطته الأخيرة بالمعرفة وأخذ المعلومات لأحد قادة الشجاعة - ماكس، على الأرجح، بما أنني أعرفه أكثر من غيره.

عاد زيك للطاولة وانزلق في مقعده.

قال:

- "فور. ماذا ستفعل ليلة الغد؟"

قلت:

- "لا أدري. لا شيء؟"

قال:

- "ليس بعد الآن. ستأتي معي في موعد غرامي."

غصصتُ بلقمة البطاطس التالية.

- "ماذا؟"

قال يوريا:

- "ممم، أكره أن أخبرك بهذا يا أخي الكبير، لكن من المفترض أن تذهب في المواعيد وحدك، لا أن تحضر صديقاً."

قال زيك:

- "إنه موعد مزدوج، بوضوح. طلبت من ماريا الخروج معي، وقالت شيئاً عن إيجاد مرافق لصديقتها نيكول، وأشرتُ أنا إلى أنك ستكون مهتماً."

قالت لين وهي تمد عنقها لتنظر لمجموعة الفتيات:

- "أيهن نيكول؟"

قال زيك:

- "صاحبة الشعر الأحمر. إذن، الساعة الثامنة. أنت موافق، أنا لا أسألك حتى."

قلت:

- "أنا لا..."

نظرت للفتاة ذات الشعر الأحمر عبر الغرفة. بشرتها فاتحة، وعيناها الواسعتان مكحلتان بالأسود، وترتدي قميصاً ضيقاً يبرز انحناء خصرها و... أشياء أخرى يخبرني صوتي الداخلي "المتزمت" ألا ألاحظها. لكنني ألاحظها رغم ذلك.

لم يسبق لي الخروج في موعد، بفضل طقوس التودد الصارمة في جماعتي السابقة، والتي تتضمن الانخراط في أعمال خدمة معاً وربما - ربما - تناول العشاء مع عائلة الشخص الآخر ومساعدتهم في التنظيف بعد ذلك. لم أفكر حتى فيما إذا كنت أريد مواعدة أي شخص؛ كان الأمر مستحيلاً لتلك الدرجة.

قلت:

- "زيك، أنا لم يسبق لي أن..."

عبس يوريا ونكز ذراعي بقوة بإصبع واحد. ضربت يده مبعداً إياها.

- "ماذا؟"

قال يوريا بمرح:

- "أوه، لا شيء. كنتَ تبدو (متزمتاً) أكثر من المعتاد، فظننت أنني سأتأكد..."

ضحكة مارلين وقالت:

- "أجل، صحيح."

تبادلتُ أنا وزيك نظرة. لم نتحدث صراحة أبداً عن عدم مشاركة أصل جماعتي، لكن على حد علمي، هو لم يذكر ذلك لأحد. يوريا يعرف، لكن رغم

فمه الثرثار، يبدو أنه يفهم متى يجب حجب المعلومات. مع ذلك، لست متأكداً لماذا لم تكتشف مارلين الأمر - ربما ليست قوية الملاحظة.

قال زيك وهو يتناول آخر لقمة من طعامه:

- "الأمر ليس جللاً يا فور. ستذهب، وستتحدث معها وكأنها كائن بشري طبيعي - وهي كذلك - وربما ستسمح لك - يا للهول - بأن تمسك يدها..."

نهضت شونا فجأة، وأصدر كرسيها صريراً على الأرضية الحجرية. وضعت شعرها خلف أذن واحدة ومشت نحو مكان إعادة الصواني، ورأسها للأسفل. حدقت لين في زيك بغضب - وهو تعبير لا يختلف كثيراً عن تعبير وجهها الطبيعي - وتبعت أختها عبر الكافيتيريا.

قال زيك وكأن شيئاً لم يحدث:

- "حسناً، لست مضطراً لإمساك يد أي أحد. فقط اذهب، اتفقنا؟ سأكون مديناً لك بواحدة."

نظرت لنيكول. كانت تجلس على طاولة قرب مكان إعادة الصواني وتضحك على نكتة شخص آخر مجدداً. ربما زيك محق - ربما الأمر ليس بذلك القدر من الأهمية، وربما هذه طريقة أخرى لأتخلص من ماضيّ في "نكران الذات" وأتعلم احتضان مستقبلي في "الشجاعة". وبجانب ذلك - إنها جميلة.

قلت:

- "حسناً. سأذهب. لكن إذا ألقيت نكتة ما حول إمساك الأيدي، سأكسر أنفك."

***

حين عدت لشقتي تلك الليلة، كانت رائحتها لا تزال غباراً ولمحة من العفن. أشعلت أحد المصابيح، فانعكس بصيص ضوء عن سطح المنضدة. مررت

يدي فوقه، فوخزت قطعة زجاج صغيرة إصبعي، مسببة نزفه. التقطتها بطرفي إصبعي وحملتها لسلة المهملات، التي وضعت فيها كيساً هذا الصباح. ولكن في قاع الكيس الآن، تستقر كومة من الشظايا التي كانت يوماً كأساً زجاجية.

لم أستخدم أياً منها بعد.

سرت قشعريرة في عمودي الفقري، ومسحت بقية الشقة بحثاً عن علامات اقتحام. الملاءات ليست مجعدة، لا أدراج مفتوحة، ولا يبدو أن أياً من الكراسي قد تحرك. لكنني كنت سأعرف لو أنني كسرت كأساً هذا الصباح.

إذن، من كان في شقتي؟

لا أعرف لماذا، لكن أول شيء وجدته يداي في الصباح حين ترنحت للحمام هو مجموعة آلات قص الشعر التي اشتريتها برصيدي من "الشجاعة" بالأمس. وبينما كنت لا أزال أرمش طارداً غيوم النعاس من عينيّ، شغلتها ولامست بها رأسي بالطريقة التي فعلتها منذ كنت صغيراً. ثنيت أذني للأمام لأحميها من الشفرات؛ أعرف تماماً كيف ألتف وأتحرك لأرى أكبر قدر ممكن من مؤخرة رأسي. هذه الطقوس تهدئ أعصابي، وتجعلني أشعر بالتركيز والثبات. نفضت الشعر المقصوص عن كتفي وعنقي وكنسته لسلة المهملات.

إنه صباح "نكران الذات". حمام سريع، إفطار بسيط، ومنزل نظيف. باستثناء أنني أرتدي سواد "الشجاعة"؛ حذاء وبنطالاً وقميصاً وسترة. تجنبت النظر في المرآة وأنا خارج، وجعلني ذلك أصر على أسناني، عارفاً كم تمتد جذور "التزمت" عميقة، وكم سيكون صعباً استئصالها من عقلي، متشابكة مع كل شيء كما هي. لقد غادرت ذلك المكان بدافع الخوف والتحدي، وذلك سيجعل الاندماج أصعب مما يظنه أي أحد، أصعب مما لو كنت اخترت "الشجاعة" للأسباب الصحيحة فعلاً.

مشيت بسرعة نحو "الحفرة"، وخرجت عبر قوس في منتصف الجدار.

بقيت بعيداً عن حافة الممر، رغم أن أطفال الشجاعة، يصرخون ضحكاً، يركضون أحياناً بمحاذاتها تماماً، ويُفترض بي أن أكون أشجع منهم. لست متأكداً إن كانت الشجاعة شيئاً تكتسب المزيد منه مع العمر، كالحكمة - لكن ربما هنا، في "الشجاعة"، الشجاعة هي أسمى صور الحكمة، الاعتراف بأن الحياة يمكن، ويجب، أن تُعاش بلا خوف.

إنها المرة الأولى التي أجد فيها نفسي أفكر بعمق في حياة الشجعان، لذا تمسكت بالفكرة وأنا أصعد الممرات حول "الحفرة". وصلت للدرج المعلق من السقف الزجاجي وأبقيت عيني للأعلى، بعيداً عن الفراغ المفتوح تحتي، كي لا أبدأ بالذعر. لكن قلبي كان يدق بقوة حين وصلت للأعلى في كل الأحوال؛ أستطيع استشعاره حتى في حلقي. قال ماكس إن مكتبه في الطابق العاشر، لذا ركبت المصعد للأعلى مع مجموعة من الشجعان الذاهبين للعمل. لم يبدُ أنهم يعرفون بعضهم جميعاً، عكس "نكران الذات" - ليس مهماً بالنسبة لهم حفظ الأسماء والوجوه والحاجات والرغبات، لذا ربما يكتفون بأصدقائهم وعائلاتهم، مشكلين مجتمعات غنية لكن منفصلة داخل جماعتهم. مثل المجتمع الذي أشكّله أنا بنفسي.

حين وصلت للطابق العاشر، لم أكن متأكداً إلى أين أذهب، لكنني لمحت رأساً داكناً ينعطف عند زاوية أمامي. إريك. تبعته، جزئياً لأنه يعرف على الأرجح إلى أين يذهب، وجزئياً لأنني أريد معرفة ما يفعله حتى لو لم يكن ذاهباً لنفس المكان. لكن حين انعطفت عند الزاوية، رأيت ماكس يقف في غرفة اجتماعات ذات جدران زجاجية، محاطاً بشجعان صغار السن. أكبرهم ربما في العشرين، وأصغرهم ربما ليس أكبر مني بكثير. رآني ماكس عبر الزجاج وأشار لي بالدخول. جلس إريك قريباً منه - *متملق*، فكرت - لكنني جلست في الطرف الآخر من

الطاولة، بين فتاة تضع حلقة عبر فتحتي أنفها وفتى شعره بلون أخضر ساطع جداً لدرجة أنني لا أستطيع النظر إليه مباشرة. أشعر بأنني عادي بالمقارنة – ربما وسمتُ نفسي بنيران الشجاعة على جانبي أثناء التدريب، لكنها ليست معروضة للعيان.

قال ماكس:

– "أعتقد أن الجميع هنا، فلنبدأ."

أغلق باب غرفة الاجتماعات ووقف أمامنا. يبدو غريباً في بيئة عادية كهذه، وكأنه هنا ليحطم كل الزجاج ويسبب الفوضى بدلاً من قيادة هذا الاجتماع.

تابع:

– "أنتم جميعاً هنا لأنكم أظهرتم إمكانيات، أولاً، ولكن أيضاً لأنكم أبديتم حماساً لجماعتنا ومستقبلها."

لا أعرف كيف فعلت ذلك.

أضاف ماكس:

– "مدينتنا تتغير، أسرع الآن من أي وقت مضى، ولكي نواكبها، سيتعين علينا التغير أيضاً. سيتعين علينا أن نصبح أقوى، وأشجع، وأفضل مما نحن عليه الآن. وبينكم يوجد الأشخاص الذين يمكنهم إيصالنا لتلك النقطة، لكن سيتعين علينا معرفة من هم. سنقوم بمزيج من التعليم واختبارات المهارات للأشهر القليلة القادمة، لتعليمكم ما ستحتاجون لمعرفته إذا اجتزتم هذا البرنامج، وأيضاً لنرى مدى سرعة تعلمكم."

يبدو هذا شيئاً تقدره جماعة (المعرفة)، لا (الشجاعة) – غريب.

قال ماكس:

– "أول شيء ستفعلونه هو ملء ورقة المعلومات هذه."

كدت أضحك. هناك شيء سخيف بشأن محارب شجاع متصلب وقاسٍ يحمل كومة من الأوراق يسميها "ورقة معلومات"، لكن بالطبع بعض الأشياء يجب أن تكون عادية، لأنها أكثر كفاءة بتلك الطريقة. مرر الكومة حول الطاولة، مع حزمة من الأقلام.

- "كل ما سيفعله هذا هو إخبارنا المزيد عنكم وإعطاؤنا نقطة انطلاق نقيس بها تقدمكم. لذا من مصلحتكم أن تكونوا صادقين، وألا تجعلوا أنفسكم تبدون أفضل مما أنتم عليه."

شعرت بعدم الارتياح وأنا أحدق في الورقة. ملأت اسمي - وهو السؤال الأول - وعمري - الثاني. الثالث يسأل عن جماعتي الأصلية، والرابع عن عدد مخاوفي. الخامس يسأل ما هي تلك المخاوف.

لست متأكداً كيف أصفها. الأولان سهلان - المرتفعات، الأماكن الضيقة - لكن ماذا عن التالي؟ وماذا يُفترض بي أن أكتب عن أبي، أنني أخاف من ماركوس إيتون؟ في النهاية خربشتُ "فقدان السيطرة" لخوفي الثالث و"التهديدات الجسدية في الأماكن الضيقة" للرابع، عالماً أن ذلك بعيد عن الحقيقة.

لكن الأسئلة القليلة التالية غريبة، ومربكة. إنها عبارات، مصاغة بمكر، يفترض بي الموافقة عليها أو رفضها. *لا بأس بالسرقة إذا كانت لمساعدة شخص آخر.* حسناً، هذا سهل - أوافق. *بعض الناس يستحقون المكافآت أكثر من غيرهم.* ربما. يعتمد على المكافآت. *القوة يجب أن تعطى فقط لأولئك الذين يستحقونها. الظروف الصعبة تصنع أناساً أقوى. لا تعرف مدى قوة الشخص حقاً حتى يتم اختباره.* نظرت حولي في الطاولة نحو الآخرين. بدا البعض متحيراً، لكن لا أحد يبدو بالشكل الذي أشعر به - مضطرب، وخائف تقريباً من وضع دائرة حول إجابة تحت كل عبارة.

لم أعرف ماذا أفعل، لذا وضعت دائرة حول "أوافق" لكل واحدة ومررت ورقتي مع البقية.

***

زيك ومرافقته في الموعد، ماريا، ملتصقان بجدار في ممر بجانب "الحفرة". أستطيع رؤية ظليهما من هنا. يبدو أنهما لا يزالان ملتصقين ببعضهما تماماً كما كانا قبل خمس دقائق حين ذهبا هناك لأول مرة، يقهقهان كالحمقى طوال الوقت. عقدت ذراعي ونظرت لنيكول مجدداً.

قلت:

- "إذن..."

قالت وهي تتأرجح للأمام على مقدمة باطن قدميها وللخلف على كعبيها مجدداً:

- "إذن... الموقف محرج قليلاً، أليس كذلك؟"

قلت بارتياح:

- "أجل. إنه كذلك."

- "منذ متى وأنت صديق لزيك؟ لم أرك بالجوار كثيراً."

- "بضعة أسابيع. التقينا أثناء التدريب."

- "أوه. هل كنت منتقلاً؟"

- "ممم..."

لا أريد الاعتراف بأنني انتقلت من "نكران الذات"، جزئياً لأنه كلما اعترفت بذلك، يبدأ الناس بالظن أنني متزمت، وجزئياً لأنني لا أحب رمي تلميحات حول نسبي حين يمكنني تجنب ذلك. قررت الكذب.

- "لا، كنت فقط... منعزلاً قبل ذلك، على ما أظن."

- "أوه."

ضيقت عينيها قليلاً وتابعت:

- "لابد أنك كنت بارعاً جداً في ذلك."

- "أحد تخصصاتي. منذ متى وأنت صديقة لماريا؟"

قالت نيكول:

- "منذ كنا أطفالاً. يمكنها أن تتعثر وتسقط لتهبط في موعد غرامي مع شخص ما. البعض منا ليسوا موهوبين لتلك الدرجة."

قلت وأنا أهز رأسي:

- "أجل. اضطر زيك لدفعي لهذا الأمر قليلاً."

رفعت نيكول حاجبها وقالت:

- "حقاً. هل أراك على الأقل ما كنت مقدماً عليه؟"

أشارت لنفسها.

قلت:

- "ممم، أجل. لم أكن متأكداً إن كنتِ من النوع المفضل لي، لكنني ظننت أنه ربما..."

- "لست نوعك المفضل."

بدا صوتها بارداً فجأة. حاولت التراجع.

- "أعني، لا أعتقد أن ذلك مهم. الشخصية أهم بكثير من..."

- "من مظهري غير المرضي؟"

رفعت كلا حاجبيها.

قلت:

- "لم أقل ذلك. أنا... فظيع حقاً في هذا."

- "أجل. أنت كذلك."

أمسكت الحقيبة السوداء الصغيرة التي كانت تستقر عند قدميها وحشرتها تحت ذراعها.

- "أخبر ماريا أنني اضطررت للعودة للمنزل مبكراً."

مشيت مبتعدة عن السور واختفت في أحد الممرات بجانب "الحفرة". تنهدت ونظرت لزيك وماريا مجدداً. أستطيع أن أقول من الحركات الخافتة التي يمكنني رصدها أنهما لم يهدآ على الإطلاق. نقرت بأصابعي على السور. الآن وقد أصبح موعدنا المزدوج موعداً محرجاً ومثلث الشكل، لابد أنه لا بأس بأن أغادر.

لمحت شونا تخرج من الكافيتيريا فلوحت لها.

قالت:

- "أليست هذه ليلة موعدك الكبير مع إزكيال؟"

قلت وأنا أجفل:

- " إزكيال. نسيت أن هذا اسمه الكامل. أجل، رفيقتي في الموعد غادرت غاضبة للتو."

ضحكت وقالت:

- "أحسنت. كم صمدت، عشر دقائق؟"

- "خمسة. يبدو أنني عديم الإحساس."

وجدت نفسي أضحك أنا أيضاً.

قالت بمفاجأة مصطنعة:

- "لا. أنت؟ لكنك عاطفي ولطيف جداً!"

- "مضحك جداً. أين لين؟"

- "بدأت تتشاجر مع هيكتور. أخونا الصغير. وأنا أستمع لهما يفعلان ذلك منذ، أوه، حياتي كلها. لذا غادرت. فكرت في الذهاب لغرفة التدريب، لأتمرن قليلاً. تريد المجيء؟"

- "أجل. لنذهب."

اتجهنا نحو غرفة التدريب، لكنني أدركت حينها أن علينا المشي عبر الممر نفسه الذي يشغله زيك وماريا حالياً للوصول لهناك. حاولت إيقاف شونا بيدي، لكن الأوان كان قد فات - رأت جسديهما ملتصقين معاً، وعيناها واسعتان. توقفت للحظة، وسمعت أصوات تقبيل تمنيت لو لم أسمعها. ثم تحركت عبر الممر مجدداً، ماشية بسرعة كبيرة لدرجة أنني اضطررت للهرولة لألحق بها.

- "شونا..."

قالت باقتضاب:

- "غرفة التدريب."

حين وصلنا هناك، بدأت فوراً بضرب كيس الملاكمة، ولم يسبق لي أن رأيتها تضرب بتلك القوة من قبل.

***

قال ماكس:

- "رغم أن الأمر قد يبدو غريباً، إلا أنه من المهم لكبار الشجعان فهم كيفية عمل بعض البرامج. برنامج المراقبة في غرفة التحكم هو مثال واضح - سيضطر قائد الشجاعة أحياناً لمراقبة الأشياء التي تحدث في الجماعة. ثم هناك برامج المحاكاة، التي يجب أن تفهموها لتقييم مبتدئي الشجاعة. أيضاً برنامج تتبع العملة، الذي يبقي التجارة في جماعتنا تسير بسلاسة، وغيرها. بعض هذه

البرامج معقدة للغاية، مما يعني أنه يجب أن تكونوا قادرين على تعلم مهارات الكمبيوتر بسهولة، إن لم تكونوا تملكونها بالفعل. هذا ما سنفعله اليوم."

أشار للمرأة التي تقف عند كتفه الأيسر. عرفتها من لعبة "الجرأة". إنها شابة، بخصلات بنفسجية في شعرها القصير وثقوب أكثر مما يمكنني عده بسهولة.

تابع ماكس:

- "لورين هنا ستعلمكم بعض الأساسيات، ثم سنختبركم. لورين هي إحدى مدربي المبتدئين لدينا، لكن في وقت فراغها تعمل كفني كمبيوتر في مقر الشجاعة. إنه أمر ينم عن (المعرفة) قليلاً، لكننا سنتجاوز عنه من أجل المصلحة."

غمز لها ماكس، فابتسمت.

قال:

- "تفضلي. سأعود خلال ساعة."

غادر ماكس، وصفقت لورين بيديها معاً.

قالت:

- "حسناً. اليوم سنتحدث عن كيفية عمل البرمجة. أولئك منكم الذين لديهم خبرة سابقة بهذا، لا ترددوا في عدم الانتباه. البقية منكم، من الأفضل أن تركزوا لأنني لن أكرر كلامي. تعلم هذه الأشياء يشبه تعلم لغة - لا يكفي حفظ الكلمات؛ عليكم أيضاً فهم القواعد ولماذا تعمل بالطريقة التي تعمل بها."

حين كنت أصغر سناً، تطوعت في مختبرات الكمبيوتر في مبنى المستويات العليا لأستوفي ساعات التطوع التي تفرضها جماعتي - وللخروج من المنزل - وتعلمت كيف أفكك جهاز كمبيوتر وأعيد تجميعه. لكنني لم أتعلم هذا أبداً. مرت الساعة التالية كضباب من المصطلحات التقنية التي بالكاد أستطيع

مجاراتها. حاولت تدوين بعض الملاحظات على قصاصة ورق وجدتها على الأرض، لكنها كانت تتحرك بسرعة كبيرة لدرجة أنه كان من الصعب ليدي أن تجاري أذني، لذا تخليت عن الجهد بعد بضع دقائق وحاولت الانتباه وحسب. عرضت أمثلة لما تتحدث عنه على شاشة في مقدمة الغرفة، وكان من الصعب عدم التشتت بالمنظر من النوافذ خلفها - من هذه الزاوية، تعرض "المحرقة" أفق المدينة، وشعب "المحور" تخترق السماء، والمستنقع يطل من بين المباني المتلألئة.

لم أكن الوحيد الذي بدا عليه الارتباك - المرشحون الآخرون يميلون نحو بعضهم البعض ليهمسوا بهلع، سائلين عن تعريفات فاتتهم. إريك، مع ذلك، يجلس مرتاحاً في كرسيه، يرسم على ظهر يده. ويبتسم بتكلف. أنا أعرف تلك الابتسامة. بالطبع هو يعرف كل هذه الأشياء مسبقاً. لابد أنه تعلمها في "المعرفة"، على الأرجح حين كان طفلاً، وإلا لما بدا مغروراً لتلك الدرجة.

قبل أن أستوعب مرور الوقت حقاً، كانت لورين تضغط زراً لتسحب شاشة العرض للسقف.

قالت:

- "على سطح مكتب أجهزة الكمبيوتر الخاصة بكم، ستجدون ملفاً بعنوان (اختبار البرمجة). افتحوه. سيأخذكم لامتحان موقوت. ستمرون عبر سلسلة من البرامج الصغيرة وتحددون الأخطاء التي تجدونها والتي تسبب تعطلها. قد تكون أشياء كبيرة حقاً، كترتيب الكود، أو أشياء صغيرة حقاً، ككلمة أو علامة في غير موضعها. لا يجب عليكم إصلاحها الآن، لكن يجب أن تكونوا قادرين على رصدها. سيكون هناك خطأ واحد لكل برنامج. انطلقوا."

بدأ الجميع بالنقر بهلع على شاشاتهم. مال إريك نحوي وقال:

- "هل كان بيت المتزمتين الخاص بك يحتوي أصلاً على كمبيوتر يا فور؟"

قلت:

- "لا."

قال بنقرة مبالغ فيها على الملف في شاشته:

- "حسناً، انظر، هكذا تفتح ملفاً. انظر، إنه يشبه الورق، لكنه في الحقيقة مجرد صورة على شاشة - أنت تعرف ما هي الشاشة، صحيح؟"

قلت وأنا أفتح الاختبار:

- "اخرس."

حدقت في البرنامج الأول. *إنه كتعلم لغة جديدة*، قلتُ لنفسي. *كل شيء يجب أن يبدأ بالترتيب الصحيح وينتهي بالترتيب العكسي. فقط تأكد أن كل شيء في مكانه الصحيح.*

لم أبدأ من بداية الكود وأشق طريقي للأسفل - بدلاً من ذلك، بحثت عن النواة الأعمق للكود داخل كل الأغلفة. هناك، لاحظت أن سطر الكود ينتهي في المكان الخاطئ. حددت الموضع وضغطت زر السهم الذي سيسمح لي بإكمال الامتحان إذا كنت محقاً. تغيرت الشاشة، مقدمة لي برنامجاً جديداً.

رفعت حاجبيّ. لابد أنني استوعبت أكثر مما ظننت.

بدأت التالي بنفس الطريقة، متحركاً من مركز الكود للخارج، متفحصاً أعلى البرنامج مع أسفله، منتبهاً لعلامات التنصيص والنقاط والشرطات المائلة العكسية. البحث عن أخطاء الكود مهدئ بشكل غريب، مجرد طريقة للتأكد أن العالم لا يزال في نفس النظام الذي يفترض أن يكون عليه، وطالما هو كذلك، فكل شيء سيسير بسلاسة.

نسيت كل الناس حولي، وحتى الأفق خلفنا، وماذا سيعنيه إنهاء هذا الامتحان. ركزت فقط على ما هو أمامي، على تشابك الكلمات على شاشتي. لاحظت أن إريك أنهى أولاً، قبل وقت طويل من أن يبدو أي شخص آخر

مستعداً لإكمال امتحانه، لكنني حاولت ألا أدع ذلك يقلقني. حتى حين قرر البقاء بجانبي والنظر فوق كتفي وأنا أعمل.

أخيراً لمست زر السهم فقفزت صورة جديدة. اكتمل الامتحان، هكذا تقول.

قالت لورين حين مرت لتتفقد شاشتي:

- "عمل جيد. أنت الثالث في الترتيب."

التفتُّ نحو إريك وقلت:

- "مهلاً. ألم تكن على وشك شرح ماهية الشاشة لي؟ من الواضح أنني لا أملك أي مهارات حاسوبية على الإطلاق، لذا أنا في أمسّ الحاجة لمساعدتك."

يرمقني شذرًا، فأبتسم.

***

باب شقتي مفتوح حين عدت. شبر واحد فقط، لكنني أعلم أنني أغلقته قبل المغادرة. دفعته بطرف حذائي ليفتح ودخلت بقلب يخفق، متوقعاً أن أجد متسللاً يعبث بأغراضي، رغم أنني لست متأكداً من هويته - أحد أتباع جانيين، يبحث عن دليل يثبت أنني مختلف بنفس الطريقة التي كان عليها عمار، ربما، أو إريك، يبحث عن طريقة لنصب كمين لي. لكن الشقة فارغة ولم يمسسها تغيير.

لم يمسسها تغيير - باستثناء ورقة على الطاولة. اقتربت منها ببطء، وكأنها قد تشتعل فجأة، أو تذوب في الهواء. هناك رسالة مكتوبة عليها بخط صغير مائل:

في اليوم الذي كرهته أكثر من غيره

في الوقت الذي ماتت فيه

في المكان الذي قفزتَ عليه أول مرة.

في البداية بدت الكلمات بلا معنى لي، وظننتها مزحة، شيئاً تُرك هنا ليزعجني، وقد نجح، لأنني شعرت بعدم التوازن على قدمي. جلست على أحد الكراسي المتداعية، بقوة، دون أن أحرك عيني عن الورقة. قرأتها مراراً وتكراراً، وبدأت الرسالة تتخذ شكلاً في ذهني.

في المكان الذي قفزتَ عليه أول مرة. لابد أن ذلك يعني منصة القطار التي صعدتها بعد انضمامي لـ "الشجاعة" مباشرة.

في الوقت الذي ماتت فيه. هناك شخص واحد فقط يمكن أن تكون "هي" المقصودة هنا: أمي. ماتت أمي في منتصف الليل، بحيث أنه بحلول الوقت الذي استيقظت فيه، كان جسدها قد اختفى بالفعل، أخذه أبي وأصدقاؤه من "نكران الذات" بعيداً. قُدّر وقت وفاتها بحوالي الثانية صباحاً، هكذا قال.

في اليوم الذي كرهته أكثر من غيره. هذا هو الجزء الأصعب - هل يشير ليوم في السنة، عيد ميلاد أو عطلة؟ أياً من تلك الأيام ليس قريباً، ولا أرى لِمَ قد يترك أحدهم ملاحظة قبل الموعد بفترة طويلة كهذه. لابد أنه يشير ليوم من أيام الأسبوع، لكن ما هو اليوم الذي كرهته أكثر من غيره؟

هذا سهل - أيام اجتماعات المجلس، لأن أبي كان يبقى بالخارج لوقت متأخر ويعود للمنزل بمزاج سيء. الأربعاء.

الأربعاء، الثانية صباحاً، عند منصة القطار قرب "المحور". هذا الليلة. وهناك شخص واحد فقط في العالم يعرف كل تلك المعلومات: ماركوس ... أبي.

***

أنا أقبض على الورقة المطوية في يدي، لكنني لا أستطيع الشعور بها. يداي تنملان وهما شبه مخدرتين منذ فكرت في اسمه لأول مرة.

تركت باب شقتي مفتوحاً على مصراعيه، وحذائي غير مربوط. تحركت بمحاذاة جدران "الحفرة" دون أن ألاحظ كم أنا مرتفع، وركضت صاعداً الدرج إلى "المحرقة" دون أن أشعر حتى برغبة في النظر للأسفل. ذكر زيك موقع غرفة التحكم عرضاً قبل بضعة أيام. لا يسعني إلا أن آمل أنه لا يزال هناك الآن، لأنني سأحتاج لمساعدته إذا أردت الوصول لتسجيلات الممر خارج شقتي. أنا أعرف مكان الكاميرا، مخفية في الزاوية حيث يظنون أن لا أحد سيلاحظها.

حسناً، أنا لاحظتها.

كانت أمي تلاحظ أشياء كهذه أيضاً. حين كنا نمشي عبر قطاع "نكران الذات"، نحن الاثنان فقط، كانت تشير للكاميرات، مخفية في فقاعات من زجاج داكن أو مثبتة على حواف المباني. لم تقل شيئاً عنها أبداً، أو تبدو قلقة بشأنها، لكنها كانت تعرف مكانها دائماً، وحين تمر بها، كانت تتعمد النظر إليها مباشرة، وكأنها تقول: *أنا أراكِ أيضاً.* لذا نشأتُ وأنا أبحث، أمسح المكان، وأراقب التفاصيل في محيطي.

ركبت المصعد للطابق الرابع، ثم اتبعت اللافتات لغرفة التحكم. إنها أسفل ممر قصير وبعد منعطف، وبابها مفتوح على مصراعيه. استقبلني جدار من الشاشات – بضعة أشخاص يجلسون خلفه، على مكاتب، وهناك مكاتب أخرى بمحاذاة الجدران يجلس عليها المزيد من الناس، كل واحد بشاشة خاصة به. تتغير اللقطات كل خمس ثوانٍ، مظهرة أجزاء مختلفة من المدينة – حقول "الوئام"، الشوارع حول "المحور"، مجمع "الشجاعة"، وحتى "المتجر الرحيم"، بردهته الفخمة. لمحت قطاع "نكران الذات" على إحدى الشاشات، ثم انتزعت نفسي من الذهول، باحثاً عن زيك. إنه يجلس على مكتب بمحاذاة الجدار الأيمن، يطبع شيئاً في مربع حوار على النصف الأيسر من شاشته بينما لقطات "الحفرة"

تعرض على النصف الأيمن. الجميع في الغرفة يرتدون سماعات رأس – يستمعون، كما أفترض، لأي شيء يفترض بهم مراقبته.

قلت بصوت خافت:

- "زيك."

نظر إليّ بعض الآخرين، وكأنهم يوبخونني على التطفل، لكن لم يقل أحد شيئاً.

قال زيك:

- "أهلاً! أنا سعيد بقدومك، أنا أشعر بملل قاتل... ما الخطب؟"

نظر من وجهي ليدي، التي لا تزال تقبض على الورقة. لا أعرف كيف أشرح، لذا لم أحاول.

قلت:

- "أحتاج لرؤية تسجيلات الممر خارج شقتي. من الساعات الأربع الماضية أو نحو ذلك. هل يمكنك المساعدة؟"

سأل زيك:

- "لماذا؟ ماذا حدث؟"

- "شخص ما كان في مكاني. أريد أن أعرف من هو."

نظر حوله، متأكداً من عدم مراقبة أحد. أو استماعه.

- "اسمع، لا أستطيع فعل ذلك – حتى نحن غير مسموح لنا باستعراض أشياء محددة إلا إذا رأينا شيئاً غريباً، الأمر كله يسير وفق نظام تدوير..."

قلت:

- "أنت مدين لي بخدمة، أتذكر؟ ما كنت لأطلب لولا أن الأمر مهم."

- "أجل، أعرف."

نظر زيك حوله مجدداً، ثم أغلق مربع الحوار الذي كان مفتوحاً وفتح واحداً آخر. راقبت الكود الذي يطبعه لاستدعاء التسجيلات الصحيحة، وفوجئت بأنني أفهم بعضه، بعد درس اليوم. ظهرت صورة على الشاشة، لأحد ممرات "الشجاعة" قرب الكافيتيريا. نقر عليها، فاستبدلتها صورة أخرى، هذه لداخل الكافيتيريا؛ التالية لصالون الوشم، ثم المستشفى.

استمر في التمرير عبر مجمع "الشجاعة"، وراقبت الصور وهي تمر، مظهرة لمحات خاطفة لحياة الشجعان العادية، أناس يعبثون بثقوبهم وهم ينتظرون في طابور الملابس الجديدة، أناس يتدربون على اللكمات في غرفة التدريب. رأيت ومضة لماكس فيما يبدو أنه مكتبه، جالساً على أحد الكراسي، وتجلس امرأة قبالته. امرأة بشعر أشقر مشدود للخلف في عقدة محكمة. وضعت يدي على كتف زيك.

قلت:

- "انتظر."

بدت الورقة في يدي أقل إلحاحاً بقليل.

- "عُد للخلف."

فعل ذلك، وتأكدت مما اشتبهت به: جانيين ماثيوز في مكتب ماكس، ومجلد في حضنها. ملابسها مكوية بإتقان، وجلستها مستقيمة. أخذت السماعات من رأس زيك، فتجهم في وجهي لكنه لم يوقفني.

أصوات ماكس وجانيين هادئة، لكنني أستطيع سماعها.

يقول ماكس:

- "لقد قلصت القائمة إلى ستة. أقول إن هذا جيد جداً بالنسبة لـ ماذا؟ اليوم الثاني؟"

قالت جانيين:

- "هذا غير فعال. لدينا المرشح بالفعل. لقد ضمنتُ ذلك. كانت هذه الخطة دائماً."

قال ماكس بحدة:

- "لم تسأليني قط عن رأيي في الخطة، وهذه جماعتي. أنا لا أحبه، ولا أريد قضاء كل أيامي أعمل مع شخص لا أحبه. لذا سيتعين عليك السماح لي على الأقل بمحاولة إيجاد شخص آخر يستوفي جميع المعايير..."

قالت جانيين وهي تنهض، ضاغطة مجلدها على معدتها:

- "حسناً. لكن حين تفشل في ذلك، أتوقع منك الاعتراف بالأمر. ليس لدي صبر على كبرياء الشجعان."

قال ماكس بامتعاض:

- "أجل، لأن (المعرفة) هم مثال للتواضع."

همس زيك:

- "مهلاً. مشرفي ينظر إلينا. أعد لي السماعات."

انتزعها من رأسي، فارتطمت بأذنيّ أثناء العملية، مسببة لسعة ألم.

قال زيك:

- "عليك الخروج من هنا وإلا سأفقد وظيفتي."

يبدو جاداً، وقلقاً. لم أعترض، رغم أنني لم أكتشف ما احتجت لمعرفته - كان خطئي لتشتت انتباهي على أي حال. تسللت خارج غرفة التحكم، وعقلي يتسابق، نصفه لا يزال مرعوباً من فكرة أن والدي كان في شقتي، وأنه يريد مقابلتي وحيداً في شارع مهجور في منتصف الليل، والنصف الآخر مرتبك مما سمعته للتو. *لدينا المرشح بالفعل. لقد ضمنتُ ذلك.* لابد أنهما كانا يتحدثان عن المرشح لقيادة "الشجاعة".

لكن لماذا تهتم جانيين ماثيوز بمن يُعيَّن كقائد تالٍ للشجاعة؟

قطعت المسافة كاملة عائداً لشقتي دون أن ألاحظ، ثم جلست على حافة السرير أحدق في الجدار المقابل. أستمر في التفكير في أفكار منفصلة لكنها محمومة بنفس القدر. *لماذا* يريد ماركوس مقابلتي؟ لماذا (المعرفة) متورطون جداً في سياسات (الشجاعة)؟ هل يريد ماركوس قتلي دون شهود، أم يريد تحذيري من شيء ما، أم تهديدي...؟ من كان المرشح *الذي كانا يتحدثان عنه؟*

ضغطت بكعبي يديّ على جبهتي وحاولت أن أهدأ، رغم أنني أشعر بكل فكرة متوترة كوخزة في مؤخرة رأسي. لا أستطيع فعل شيء بشأن ماكس وجانيين الآن. ما علي أن أقرره الآن هو ما إذا كنت سأذهب لهذا الاجتماع الليلة.

في اليوم الذي كرهته أكثر من غيره. لم أعرف أبداً أن ماركوس يلاحظني أصلاً، يلاحظ الأشياء التي أحببتها أو كرهتها. بدا وكأنه يراني كمصدر إزعاج وحسب، كشيء منغص. لكن ألم أكتشف قبل بضعة أسابيع أنه كان يعلم أن المحاكاة لن تؤثر بي، وحاول مساعدتي للبقاء بعيداً عن الخطر؟ ربما، رغم كل الأشياء المريعة التي فعلها وقالها لي، هناك جزء منه هو والدي حقاً. ربما ذلك هو الجزء الذي يدعوني لهذا الاجتماع، وهو يحاول أن يظهر لي ذلك بإخباري أنه يعرفني، يعرف ما أكره، ما أحب، وما أخاف.

لست متأكداً لماذا يملأني ذلك الفكر بكل هذا الأمل وأنا أكرهه منذ زمن طويل. لكن ربما، تماماً كما أن هناك جزءاً منه هو والدي حقاً، هناك أيضاً جزء مني هو ابنه حقاً.

***

لا تزال حرارة الشمس تنبعث من الرصيف في الواحدة والنصف صباحاً حين غادرت مجمع "الشجاعة". أستطيع الشعور بها على أطراف أصابعي. القمر مغطى بالغيوم، فالشوارع أكثر ظلمة من المعتاد، لكنني لست خائفاً من الظلام،

أو الشوارع، ليس بعد الآن. هذا شيء تتعلمه من ضرب مجموعة من مبتدئي "الشجاعة".

تنفست رائحة الإسفلت الدافئ وانطلقت بجرية بطيئة، وحذائي يصفع الأرض. الشوارع المحيطة بقطاع "الشجاعة" في المدينة فارغة؛ جماعتي تعيش متجمعة معاً، كقطيع من الكلاب النائمة. لهذا السبب، كما أدركت، بدا ماكس قلقاً جداً بشأن عيشي وحيداً. إذا كنت شجاعاً حقاً، ألا يجب أن أرغب في أن تتداخل حياتي مع حياتهم قدر الإمكان، ألا يجب أن أبحث عن طرق لدمج نفسي في جماعتي حتى نصبح غير قابلين للفصل؟

فكرت في الأمر وأنا أركض. ربما هو محق. ربما لا أقوم بعمل جيد جداً في دمج نفسي؛ ربما لا أدفع نفسي بجدية كافية. وجدت إيقاعاً ثابتاً، محدقاً في لافتات الشوارع وأنا أمر بها، لأعرف إلى أين أذهب. عرفت أنني وصلت لحلقة المباني التي يسكنها المنبوذون لأنني أستطيع رؤية ظلالهم تتحرك خلف النوافذ المعتمة والمسدودة بالألواح. تحركت لأركض تحت سكك القطار، الخشب المتشابك يمتد بعيداً أمامي وينحني مبتعداً عن الشارع.

يكبر "المحور" في نظري أكثر فأكثر كلما اقتربت. قلبي يدق بقوة، لكنني لا أظن أن ذلك بسبب الركض. توقفت فجأة حين وصلت لمنصة القطار، وبينما أقف عند أسفل الدرج، ألتقط أنفاسي، تذكرت حين تسلقت هذه الدرجات لأول مرة، وبحر الشجعان يهتفون ويتحركون حولي، دافعين إياي للأمام. كان من السهل أن يحملني زخمهم حينها. علي أن أحمل نفسي للأمام الآن. بدأت بالتسلق، وخطواتي يتردد صداها على المعدن، وحين وصلت للأعلى، تفقدت ساعتي.

الثانية تماماً.

لكن المنصة فارغة.

مشيت جيئة وذهاباً فوقها، لأتأكد من عدم اختباء أي أشكال داكنة في الزوايا المظلمة. زمجر قطار من بعيد، فتوقفت لأبحث عن الضوء المثبت في مقدمته. لم أكن أعلم أن القطارات تعمل في هذا الوقت المتأخر - يفترض أن تنقطع كل الطاقة في المدينة بعد منتصف الليل، لتوفير الطاقة. أتساءل إن كان ماركوس قد طلب من المنبوذين خدمة خاصة. لكن لماذا قد يسافر بالقطار؟ ماركوس إيتون الذي أعرفه ما كان ليجرؤ أبداً على ربط نفسه بشكل وثيق هكذا بـ "الشجاعة". كان ليفضل المشي في الشوارع حافياً.

ومض ضوء القطار، مرة واحدة فقط، قبل أن يندفع ماراً بالمنصة. يضرب ويمخض الهواء، مبطئاً لكنه لا يتوقف، ورأيت شخصاً يقفز من العربة ما قبل الأخيرة، رشيقاً ونحيلاً.

ليس ماركوس.

امرأة.

عصرت الورقة في قبضتي بقوة أكبر، وأكبر، حتى آلمتني مفاصلي.

مشيت المرأة نحوي بخطوات واسعة، وحين صارت على بعد بضع أقدام، استطعت رؤيتها. شعر طويل ومجعد. أنف معقوف بارز. بنطال "شجاعة" أسود، قميص "نكران الذات" رمادي، وحذاء "وئام" بني. وجهها مجعد، ومنهك، ونحيل.

لكنني أعرفها، لا يمكنني نسيان وجهها أبداً، أمي، إيفلين إيتون.

قالت بصوت لاهث:

- "توبياس."

عيناها واسعتان، وكأنها مذهولة بي كما أنا مذهول بها، لكن ذلك مستحيل. هي كانت تعلم أنني حي، لكنني أتذكر كيف بدت الجرة التي تحتوي رمادها وهي تقف على رف مدفأة أبي، وعليها بصمات أصابعه.

أتذكر اليوم الذي استيقظت فيه على مجموعة من "نكران الذات" بوجوه واجمة في مطبخ أبي، وكيف نظروا جميعاً للأعلى حين دخلت، وكيف شرح لي ماركوس، بتعاطف كنت أعلم أنه لا يشعر به، أن أمي توفيت في منتصف الليل، مضاعفات ولادة مبكرة وإجهاض.

كانت حاملاً؟ أتذكر أنني سألت.

بالطبع كانت كذلك يا بني. التفت للآخرين في مطبخنا. مجرد صدمة، بالطبع. أمر لا مفر منه، مع *شيء كهذا*.

أتذكر الجلوس بطبق مليء بالطعام، في غرفة المعيشة، ومجموعة من "نكران الذات" يهمهمون حولي، والحي بأكمله يملأ منزلي حتى الحافة ولا أحد يقول شيئاً يهم بالنسبة لي.

قالت:

- "أعلم أن هذا لابد... مقلق بالنسبة لك."

بالكاد أتعرف على صوتها؛ إنه أكثر انخفاضاً وقوة وصلابة مما في ذكرياتي عنها، وبهذا أعرف أن السنوات قد غيرتها. أشعر بأشياء كثيرة جداً لا يمكن إدارتها، وبقوة أكبر مما يمكن التعامل معها، ثم فجأة لا أشعر بشيء على الإطلاق.

قلت بجمود:

- "يُفترض بك أن تكوني ميتة."

إنه شيء غبي لقوله. شيء غبي جداً لتقوله لأمك حين تعود من الموت، لكنه موقف غبي.

قالت، وأظن أن هناك دموعاً في عينيها، لكن الظلام حالك جداً لأتأكد:

- "أعرف. أنا لست كذلك."

قلت بصوت ساخر، غير مبالٍ:

- "بوضوح. هل كنت حاملاً أصلاً؟"
- "حاملاً؟ هل هذا ما قالوه لك، شيء عن الموت أثناء الولادة؟"
هزت رأسها وتابعت:
- "لا، لم أكن. كنت أخطط لخروجي منذ شهور - كنت بحاجة للاختفاء. ظننت أنه قد يخبرك حين تكون كبيراً بما يكفي."
أطلقت ضحكة قصيرة، كالنباح.
- "ظننتِ أن ماركوس إيتون سيعترف بأن زوجته تركته. لي أنا."
قالت إيفلين عابسة:
- "أنت ابنه. هو يحبك."
ثم كل توتر الساعة الماضية، الأسابيع القليلة الماضية، السنوات القليلة الماضية تراكم داخلي، أكثر من أن يحتوى، وضحكت حقاً، لكن الضحكة خرجت غريبة، ميكانيكية. لقد أخافتني حتى وأنا من يطلقها.
قالت:
- "لديك الحق في أن تغضب لأنه كذب عليك. أنا كنت سأغضب أيضاً. لكن يا توبياس، كان علي المغادرة، أعلم أنك تفهم لماذا..."
مدت يدها نحوي، فأمسكت معصمها، ودفعتها بعيداً.
- "لا تلمسيني."
رفعت كفيها وتراجعت للخلف قائلة:
- "حسناً، حسناً. لكنك تفهم، لابد أنك تفهم."
قلت:
- "ما أفهمه هو أنك تركتني وحيداً في منزل مع مهووس سادي."
بدا وكأن شيئاً بداخلها ينهار. سقطت يداها لجانبيها كثقلين. تهدلت كتفاها. حتى وجهها ارتخى، حين أدركت ما أعنيه، ما لابد أنني أعنيه. عقدت

ذراعيّ وأرجعت كتفيّ للخلف، محاولاً أن أبدو ضخماً وقوياً وقاسياً قدر الإمكان. الأمر أسهل الآن، في سواد "الشجاعة"، مما كان عليه يوماً في رمادي "نكران الذات"، وربما لهذا اخترت "الشجاعة" كملاذ. ليس نكاية، ليس لأؤذي ماركوس، بل لأنني علمت أن هذه الحياة ستعلمني طريقة لأكون أقوى.

بدأت تقول:

- "أنا..."

قاطعتها:

- "توقفي عن تضييع وقتي. ما الذي نفعله هنا؟"

رميت الورقة المجعدة على الأرض بيننا ورفعت حاجبيّ نحوها.

- "لقد مرت سبع سنوات منذ متِّ، ولم تحاولي أبداً القيام بهذا الكشف الدرامي من قبل، فما الذي اختلف الآن؟"

في البداية لم تجب. ثم تمالكت نفسها، بوضوح، وقالت:

- "نحن - المنبوذون - نحب إبقاء عين على الأمور. أمور مثل حفل الاختيار. هذه المرة، أخبرتني عيننا أنك اخترت (الشجاعة). كنت سأذهب بنفسي، لكنني لم أرد المخاطرة بالاصطدام به. لقد أصبحتُ... نوعاً ما القائدة للمنبوذين، ومن المهم ألا أكشف نفسي."

شعرت بطعم حامض في فمي.

قلت:

- "حسناً، حسناً. يا لي من والدين مهمين أملك. أنا محظوظ جداً."

قالت:

- "هذا لا يشبهك. أليس هناك ولو جزء منك سعيد لرؤيتي مجدداً؟"

قلت:

- "سعيد لرؤيتك مجدداً؟ أنا بالكاد أتذكرك يا إيفلين. لقد عشت بدونك تقريباً بقدر ما عشت معك."

تقلص وجهها. جرحتها. أنا سعيد بذلك.

تابعت ببطء:

- "حين اخترت (الشجاعة)، عرفت أنه حان الوقت للتواصل معك. كنت أخطط دائماً لإيجادك، بعد أن تختار وتصبح مستقلاً، كي أتمكن من دعوتك للانضمام إلينا."

قلت:

- "الانضمام إليكم؟ أصبح بلا جماعة؟ لماذا قد أرغب في فعل ذلك؟"

- "مدينتنا تتغير يا توبياس."

هذا نفس ما قاله ماكس بالأمس.

- "المنبوذون يجتمعون معاً، وكذلك (الشجاعة) و(المعرفة). في وقت قريب، سيتعين على الجميع اختيار جانب، وأنا أعرف أي جانب تفضل أن تكون فيه. أعتقد أنك تستطيع حقاً إحداث فرق معنا."

قلت:

- "تعرفين أي جانب أفضل أن أكون فيه. حقاً. أنا لست خائناً للجماعة. اخترت (الشجاعة)؛ وهناك أنتمي."

قالت بحدة:

- "أنت لست واحداً من أولئك الحمقى الطائشين الباحثين عن الخطر. تماماً كما لم تكن طائرة مسيرة مخنوقة من (المتزمتين). يمكنك أن تكون أكثر من أي منهما، أكثر من أي جماعة."

قلت:

- "ليس لديك أي فكرة عما أنا عليه أو من يمكن أن أكون. لقد كنت المبتدئ صاحب المرتبة الأولى. إنهم يريدونني أن أكون قائداً في (الشجاعة)."

ضيقت عينيها نحوي وقالت:

- "لا تكن ساذجاً. إنهم لا يريدون قائداً جديداً؛ يريدون بيدقاً يمكنهم التلاعب به. لهذا تتردد جانيين ماثيوز كثيراً على مقر (الشجاعة)، ولهذا تستمر في زرع أتباع في جماعتك للإبلاغ عن سلوكهم. ألم تلاحظ أنها تبدو على علم بأشياء لا يحق لها معرفتها، وأنهم يستمرون في تغيير تدريب (الشجاعة)، وتجريبه؟ وكأن الشجعان قد يغيرون شيئاً كهذا من تلقاء أنفسهم."

أخبرنا عمار أن سيناريو المخاوف لم يكن يأتي عادة في بداية تدريب "الشجاعة"، وأنه شيء جديد يجربونه. *تجربة*. لكنها محقة؛ الشجعان لا يقومون بالتجارب. لو كانوا مهتمين حقاً بالعملية والكفاءة، لما تكبدوا عناء تعليمنا رمي السكاكين.

ثم هناك عمار، الذي وُجد ميتاً. ألم أكن أنا من اتهم إريك بكونه مخبراً؟ ألم أكن أشك لأسابيع أنه لا يزال على اتصال بـ "المعرفة"؟

قلت، وقد غادرتني كل الطاقة الخبيثة:

- "حتى لو كنتِ محقة..."

تحركت أقرب إليها.

- "حتى لو كنتِ محقة بشأن (الشجاعة)، فلن أنضم إليكم أبداً."

حاولت منع صوتي من الارتجاف وأنا أضيف:

- "لا أريد رؤيتكِ مرة أخرى أبداً."

قالت بهدوء:

- "أنا لا أصدقك."

- "لا يهمني ما تصدقينه."

تجاوزتها، نحو الدرج الذي صعدته للوصول للمنصة.

نادت خلفي:

- "إذا غيرت رأيك، أي رسالة تعطى لأحد المنبوذين ستصل إليّ."

لم أنظر للخلف. ركضت نازلاً الدرج وانطلقت في الشارع، مبتعداً عن المنصة. لم أكن أعرف حتى ما إذا كنت أتحرك في الاتجاه الصحيح، أردت فقط أن أكون بعيداً عنها قدر الإمكان.

***

لم أنم.

ذرعتُ شقتي جيئة وذهاباً، بجنون. سحبت بقايا حياتي في "نكران الذات" من أدراجي وألقيت بها في القمامة، القميص الممزق، السراويل، الأحذية، الجوارب، وحتى ساعتي. في مرحلة ما، قرب الشروق، قذفت ماكينة الحلاقة الكهربائية ضد جدار الحمام، فتحطمت لعدة قطع.

بعد ساعة من بزوغ الفجر، مشيت لصالون الوشم. كانت توري هناك بالفعل - حسناً، "هناك" قد تكون كلمة قوية جداً، لأن عينيها كانتا متورمتين من النوم وغير مركزتين، وكانت قد بدأت لتوها في شرب قهوتها.

قالت:

- "خطب ما؟ أنا لست هنا حقاً. يُفترض بي الذهاب للركض مع باد، ذلك المهووس."

قلت:

- "آمل أن تقومي باستثناء."

- "لا يأتي الكثير من الناس هنا بطلبات وشم عاجلة. هناك مرة أولى لكل شيء."

- "حسناً."

اعتدلت في جلستها، وبدت أكثر يقظة الآن.

- "هل في ذهنك شيء معين؟"

- "كان لديك رسمة في شقتك حين مشينا خلالها قبل بضعة أسابيع. كانت لكل رموز الجماعات معاً. ألا تزالين تملكينها؟"

تصلبت وقالت:

- "لم يكن يفترض بك رؤية ذلك."

أعلم لماذا لم يكن يفترض بي رؤيتها، ولماذا تلك الرسمة ليست شيئاً تريد إشهاره. إنها توحي بميول نحو جماعات أخرى بدلاً من تأكيد تفوق "الشجاعة"، كما يفترض بأوشامها أن تفعل. حتى أعضاء "الشجاعة" الراسخون قلقون بشأن الظهور بمظهر "شجاع" بما يكفي، ولا أعلم لماذا، أو أي نوع من التهديدات يوجه لأناس قد يسمون "خونة للجماعة"، لكن هذا بالضبط هو سبب وجودي هنا.

قلت:

- "هذا هو المغزى نوعاً ما. أريد ذلك الوشم."

فكرت في الأمر في طريقي للمنزل، بينما كنت أستعيد ما قالته أمي، مراراً وتكراراً. *يمكنك أن تكون أكثر من أي منهما، أكثر من أي جماعة.* كانت تظن أنه لكي أكون أكثر من أي جماعة، سيتوجب علي التخلي عن هذا المكان والناس الذين احتضنوني كواحد منهم؛ سيتوجب علي مسامحتها والسماح لنفسي بأن تبتلعني معتقداتها وأسلوب حياتها. لكنني لست مضطراً للمغادرة، ولست مضطراً لفعل أي شيء لا أريد فعله. يمكنني أن أكون أكثر من أي جماعة هنا تماماً في "الشجاعة"؛ ربما أنا "أكثر" بالفعل، وحان الوقت لإظهار ذلك.

نظرت توري حولها، وقفزت عيناها للكاميرا في الزاوية، تلك التي لاحظتها حين دخلت. هي من النوع الذي يلاحظ الكاميرات أيضاً.

قالت بصوت عالٍ:

- "كانت مجرد خربشة غبية. تعال، من الواضح أنك منزعج - يمكننا التحدث عن الأمر، وإيجاد شيء أفضل لتحصل عليه."

أشارت لي نحو الجزء الخلفي من الصالون، عبر غرفة التخزين خلفه، وإلى شقتها مجدداً. مشينا عبر المطبخ المتداعي لغرفة المعيشة، حيث لا تزال رسوماتها مكدسة على طاولة القهوة.

قلبت الصفحات حتى وجدت رسمة تشبه تلك التي كنت أتحدث عنها، نيران "الشجاعة" تحتضنها أيادي "نكران الذات"، وجذور شجرة "الوئام" تنمو تحت عين "المعرفة"، والتي تتوازن تحت ميزان "النزاهة". كل رموز الجماعات مكدسة فوق بعضها البعض. رفعتها، فأومأت.

قالت:

- "لا يمكنني فعل هذا في مكان سيراه الناس طوال الوقت. ذلك سيجعلك هدفاً متحركاً. خائناً مشتبهاً به للجماعة."

قلت:

- "أريده على ظهري. يغطي عمودي الفقري."

الجروح من يومي الأخير مع والدي شفيت الآن، لكنني أريد أن أتذكر أين كانت؛ أريد أن أتذكر ما هربت منه طوال حياتي.

تنهدت وقالت:

- "أنت حقاً لا تفعل الأمور بأنصاف الحلول، أليس كذلك. سيستغرق وقتاً طويلاً. عدة جلسات. سيتعين علينا فعلها هنا، بعد ساعات العمل، لأنني لن أدع تلك الكاميرات تلتقطه، حتى لو لم يكلفوا أنفسهم عناء النظر هنا معظم الوقت."

قلت:

- "حسناً."

نظرت لي من زاوية عينها وقالت:

- "أتعلم، نوع الشخص الذي يحصل على هذا الوشم هو على الأرجح النوع الذي يجب أن يبقيه سراً دفيناً. وإلا سيبدأ أحدهم بالتفكير في أنهم (جامحون). أو دايفرجنت"

- "(جامحون)؟"

- "تلك كلمة نطلقها على الناس الذين يكونون واعين أثناء المحاكاة، الذين يرفضون التصنيف. كلمة لا تنطقها دون حذر، لأن أولئك الناس غالباً ما يموتون في ظروف غامضة."

كانت تضع مرفقيها على ركبتيها، بعفوية، وهي ترسم الوشم الذي أريده على ورقة النقل. التقت عيوننا، وأدركت: *عمار. عمار كان واعياً أثناء المحاكاة، والآن هو ميت.*

عمار كان جامحاً.

وكذلك أنا.

قلت:

- "شكراً لدرس المفردات."

- "لا شكر على واجب."

عادت لرسمها وتابعت:

- "بدأ يراودني شعور بأنك تستمتع بوضع نفسك في مواقف عصيبة."

قلت:

- "وماذا في ذلك؟"

- "لا شيء، إنها فقط صفة شجاعة جداً لشخص حصل على نتيجة نكران الذات."

اختلج فمها بابتسامة وتابعت:

- "لنبدأ. سأترك رسالة لباد؛ يمكنه الركض وحيداً هذه المرة فقط."

***

ربما توري محقة. ربما أستمتع بوضع نفسي في "مواقف عصيبة"؛ ربما هناك نزعة مازوخية بداخلي تستخدم الألم للتعامل مع الألم. الحرقة الخافتة التي تتبعني ليومي التالي من تدريب القيادة تجعل من الأسهل بالتأكيد التركيز على ما أنا مقبل على فعله، بدلاً من التركيز على صوت أمي البارد والمنخفض والطريقة التي دفعتها بها بعيداً حين حاولت مواساتي.

في السنوات التي تلت موتها، اعتدت أن أحلم بأنها تعود للحياة في منتصف الليل وتمرر يدها على شعري وتقول شيئاً مريحاً لكنه غير منطقي، مثل "سيكون كل شيء على ما يرام" أو "سيتحسن الأمر يوماً ما". لكنني توقفت عن السماح لنفسي بالحلم، لأنه كان أكثر إيلاماً أن أشتاق لأشياء ولا أحصل عليها أبداً من التعامل مع ما هو أمامي. حتى الآن لا أريد تخيل كيف ستكون المصالحة معها، كيف سيكون امتلاك أم. أنا أكبر من أن أستمع لترهات مريحة بعد الآن. أكبر من أن أصدق أن كل شيء سيكون على ما يرام.

تفقدت أعلى الضمادة التي تبرز فوق ياقتي لأتأكد من ثباتها. رسمت توري حدود الرمزين الأولين هذا الصباح، "الشجاعة" و"نكران الذات"، واللذين سيكونان أكبر من البقية، لأنهما الجماعة التي اخترتها والجماعة التي أملك جدارة لها فعلياً، على التوالي - على الأقل، أظن أنني أملك جدارة لـ "نكران الذات"، لكن من الصعب التأكد. أخبرتني أن أبقيهما مغطيين. شعلة "الشجاعة" هي الرمز الوحيد الذي يظهر مع ارتداء قميصي، ولست في وضع يسمح بخلع قميصي في العلن كثيراً، لذا أشك أن ذلك سيكون مشكلة.

الجميع موجودون بالفعل في غرفة الاجتماعات، وماكس يتحدث إليهم. أشعر بنوع من الإرهاق المتهور وأنا أدخل من الباب وآخذ مقعدي. كانت إيفلين مخطئة بشأن بضعة أشياء، لكنها لم تكن مخطئة بشأن "الشجاعة" - جانيين وماكس لا يريدان قائداً للشجاعة، يريدان بيدقاً، ولهذا يختارون من أصغرنا سناً، لأن الشباب أسهل في التشكيل والقولبة. *لن* يتم قولبتي وتشكيل بواسطة جانيين ماثيوز. لن أكون بيدقاً، لا لهم ولا لأمي ولا لأبي؛ لن *أنتمي لأحد غير نفسي.*

قال ماكس:

- "لطف منك أن تنضم إلينا. هل قاطع هذا الاجتماع نومك؟"

ضحك الآخرون بخفوت، وتابع ماكس:

- "كما كنت أقول، اليوم أود سماع أفكاركم حول كيفية تحسين الشجاعة - الرؤية التي لديكم لجماعتنا في السنوات القادمة. سأجتمع بكم في مجموعات حسب العمر، الأكبر أولاً. البقية منكم، فكروا في شيء جيد لقوله."

غادر مع المرشحين الثلاثة الأكبر سناً. إريك يجلس في المقابل تماماً، ولاحظت أن لديه معدناً أكثر في وجهه مما كان عليه في آخر مرة رأيته - الآن هناك حلقات عبر حاجبيه. قريباً سيبدو كوسادة دبابيس أكثر منه كائناً بشرياً. ربما هذا هو الهدف - استراتيجية. لا أحد ينظر إليه الآن يمكن أن يخطئ ويظنه من "المعرفة".

أشار لطرف الضمادة الظاهر فوق كتفي وقال:

- "هل تخدعني عيناي، أم أنك تأخرت حقاً لأنك كنت تحصل على وشم؟"

قلت:

- "فقدت الإحساس بالوقت. يبدو أن الكثير من المعدن قد التصق بوجهك مؤخراً. قد ترغب في فحص ذلك."

قال إريك:

- "مضحك. لم أكن واثقاً أن شخصاً بخلفيتك يمكنه تطوير حس دعابة. والدك لا يبدو من النوع الذي يسمح بذلك."

شعرت بطعنة خوف. إنه يرقص قريباً بشكل مخيف من نطق اسمي أمام هذه الغرفة المليئة بالناس، ويريدني أن أعرف ذلك - يريدني أن أتذكر أنه يعرف من أكون، وأنه يستطيع استخدام ذلك ضدي متى شاء.

لا أستطيع التظاهر بأن الأمر لا يهمني. ميزان القوى قد تحول، ولا أستطيع إعادته.

قلت:

- "أعتقد أنني أعرف من أخبرك بذلك."

جانيين ماثيوز تعرف اسمي واسمي المستعار. لابد أنها أعطته الاثنين.

قال بصوت منخفض:

- "كنت متأكداً إلى حد كبير بالفعل. لكن شكوكي تأكدت من مصدر موثوق، نعم. أنت لست جيداً في حفظ الأسرار كما تظن يا فور."

كنت لأهدده، لأخبره أنني إذا كشف اسمي لجماعة (الشجاعة)، سأكشف صلاته المستمرة بـ "المعرفة". لكنني لا أملك أي دليل، والشجعان يكرهون "نكران الذات" أكثر من "المعرفة" على أي حال. أسندت ظهري للكرسي للانتظار.

خرج الآخرون تباعاً حين تم استدعاؤهم، وقريباً أصبحنا الوحيدين المتبقيين. شق ماكس طريقه في الممر، ثم أشار لنا من الباب، دون كلمة. تبعناه لمكتبه، الذي عرفته من تسجيلات الأمس لاجتماعه مع جانيين ماثيوز.

استخدمت ذكرى تلك المحادثة لأحصن نفسي ضد ما سيأتي.

قال ماكس وهو يشبك يديه على مكتبه:

- "إذن."

مجدداً تذهلني غرابة رؤيته في بيئة نظيفة ورسمية كهذا. هو ينتمي لغرفة تدريب، يضرب كيساً، أو بجانب "الحفرة"، متكئاً على السور. لا جالساً على طاولة خشبية منخفضة محاطاً بالورق.

نظرت من نوافذ "المحرقة" نحو قطاع "الشجاعة" في المدينة. على بعد بضع ياردات أستطيع رؤية حافة الحفرة التي قفزت فيها حين اخترت "الشجاعة" لأول مرة، والسطح الذي وقفت عليه قبل ذلك مباشرة. *اخترت الشجاعة*، قلت لأمي بالأمس. *هناك أنتمي.*

هل هذا صحيح حقاً؟

قال ماكس:

- "إريك، لنبدأ بك. هل لديك أفكار لما قد يكون جيداً للشجاعة، للمضي قدماً؟"

اعتدل إريك في جلسته وقال:

- "لدي. أعتقد أننا بحاجة لإجراء بعض التغييرات، وأعتقد أنها يجب أن تبدأ أثناء تدريب المبتدئين."

- "أي نوع من التغييرات في ذهنك؟"

قال إريك:

- "الشجاعة لطالما تبنت روح المنافسة. المنافسة تجعلنا أفضل؛ تخرج أفضل وأقوى الأجزاء فينا. أعتقد أن التدريب يجب أن يعزز حس المنافسة ذاك أكثر مما يفعل حالياً، لكي ينتج أفضل مبتدئين ممكنين. حالياً يتنافس المبتدئون فقط ضد النظام، ساعين لدرجة معينة للمضي قدماً. أعتقد أنه يجب عليهم التنافس ضد بعضهم البعض من أجل أماكن في الشجاعة."

لم أستطع تمالك نفسي؛ التفت وحدقت فيه. عدد محدود من *الأماكن؟ في جماعة؟ بعد أسبوعين فقط من التدريب التمهيدي؟*

- "وإذا لم يحصلوا على مكان؟"

قال إريك:

- "يصبحون بلا جماعة."

ابتلعت ضحكة ساخرة.

تابع إريك:

- "إذا كنا نؤمن أن الشجاعة هي حقاً الجماعة المتفوقة للانضمام إليها، وأن أهدافها أهم من أهداف الجماعات الأخرى، فإن الانتماء إلينا يجب أن يكون شرفاً وامتيازاً، لا حقاً."

قلت، غير قادر على كبح نفسي أكثر:

- "أتمزح معي؟ الناس يختارون جماعة لأنهم يقدرون نفس الأشياء التي تقدرها تلك الجماعة، لا لأنهم بارعون بالفعل فيما تعلمه الجماعة. ستطرد الناس من الشجاعة فقط لعدم كونهم أقوياء بما يكفي للقفز على قطار أو الفوز بقتال. ستفضل الضخم والقوي والمتهور أكثر من الصغير والذكي والشجاع – لن تحسن الشجاعة على الإطلاق."

قال إريك بابتسامة ملتوية:

- "أنا متأكد أن الصغار والأذكياء سيكونون أفضل حالاً في (المعرفة)، أو كمتزمتين صغار بملابس رمادية. ولا أعتقد أنك تعطي أعضاء الشجاعة المحتملين الجدد التقدير الكافي يا فور. هذا النظام سيفضل الأكثر تصميماً فقط."

ألقيت نظرة على ماكس. توقعت أن يبدو غير معجب بخطة إريك، لكنه لم يكن كذلك. كان يميل للأمام، مركزاً على وجه إريك المثقوب وكأن شيئاً فيه قد ألهمه.

قال ماكس:

- "هذا نقاش مثير للاهتمام. فور، كيف ستحسن الشجاعة، إن لم يكن بجعل التدريب أكثر تنافسية؟"

هززت رأسي، ناظراً من النافذة مجدداً. *أنت* لست واحداً من أولئك الحمقى الطائشين الباحثين عن *الخطر*، قالت لي أمي. لكن هؤلاء هم الناس الذين يريدهم إريك في الشجاعة: حمقى طائشون باحثون عن الخطر. إذا كان إريك أحد أتباع جانيين ماثيوز، فلماذا تشجعه جانيين على اقتراح هذا النوع من الخطط؟

أوه. *لأن الحمقى الطائشين الباحثين عن الخطر أسهل في السيطرة عليهم، وأسهل في التلاعب بهم. بوضوح.*

قلت:

- "سأحسن الشجاعة بتعزيز الشجاعة الحقيقية بدلاً من الغباء والوحشية. أزل رمي السكاكين. جهز الناس جسدياً وذهنياً للدفاع عن الضعيف ضد القوي. هذا ما يشجعه بيان جماعتنا - أعمال الشجاعة العادية. أعتقد أننا يجب أن نعود لذلك."

قلب إريك عينيه وقال:

- "وبعدها يمكننا جميعاً إمساك أيدي بعضنا وغناء أغنية معاً، صحيح؟ أنت تريد تحويل الشجاعة إلى (وئام)."

قلت:

- "لا. أريد التأكد من أننا لا نزال نعرف كيف نفكر بأنفسنا، نفكر بأكثر من دفق الأدرينالين التالي. أو نفكر وحسب. بتلك الطريقة لا يمكن الاستيلاء علينا أو... السيطرة علينا من الخارج."

قال إريك:

- "يبدو كلامك شبيهاً بـ (المعرفة) قليلاً بالنسبة لي."

قلت بحدة:

- "القدرة على التفكير ليست حكراً على (المعرفة). القدرة على التفكير في المواقف العصيبة هي ما يُفترض بمحاكاة الخوف أن تطوره."

قال ماكس رافعاً يديه:

- "حسناً، حسناً."

بدا مضطرباً.

- "فور، آسف لقول هذا، لكنك تبدو مصاباً بجنون الارتياب قليلاً. من سيستولي علينا، أو يحاول السيطرة علينا؟ الجماعات تعايشت بسلام لفترة أطول من عمرك، لا يوجد سبب ليتغير ذلك الآن."

فتحت فمي لأخبره أنه مخطئ، أنه في اللحظة التي سمح فيها لجانيين ماثيوز بالتدخل في شؤون جماعتنا، في اللحظة التي سمح لها بزرع منتقلين موالين لـ "المعرفة" في برنامج تدريبنا، في اللحظة التي بدأ يستشيرها فيمن يُعيَّن كقائد تالٍ للشجاعة، فقد عرض للخطر نظام الضوابط والتوازنات الذي سمح لنا بالتعايش بسلام لفترة طويلة. لكنني أدركت حينها أن إخباره بتلك الأشياء سيكون اتهاماً له بالخيانة، وسيكشف كم أعرف بالضبط.

نظر ماكس إليّ، وقرأت خيبة الأمل في وجهه. أعرف أنه يحبني - يحبني أكثر من إريك، على الأقل. لكن أمي كانت محقة بالأمس - ماكس لا يريد شخصاً مثلي، شخصاً يستطيع التفكير بنفسه، وتطوير أجندته الخاصة. هو يريد شخصاً مثل إريك، يساعده في ترسيخ أجندة الشجاعة الجديدة، وسيكون من السهل التلاعب به ببساطة لأنه لا يزال تحت سيطرة جانيين ماثيوز، التي يتحالف ماكس معها بشكل وثيق.

أمي عرضت علي خيارين بالأمس: أن أكون بيدقاً للشجاعة، أو أصبح بلا جماعة. لكن هناك خيار ثالث: ألا أكون أياً منهما. ألا أتحالف مع أحد بعينه. أن

أعيش تحت الرادار، وحراً. هذا ما أريده حقاً - أن أتخلص من كل الناس الذين يريدون تشكيلي وقولبتي، واحداً تلو الآخر، وأتعلم بدلاً من ذلك تشكيل وقولبة نفسي.

قلت بهدوء:

- "لأكون صادقاً يا سيدي، لا أعتقد أن هذا هو المكان المناسب لي. أخبرتك حين سألتني أول مرة أنني أود أن أكون مدرباً، وأظن أنني أدرك أكثر فأكثر أن هذا هو المكان الذي أنتمي إليه."

قال ماكس:

- "إريك، هل تعذرنا، رجاءً؟"

أومأ إريك، وبالكاد استطاع كبح فرحته، وغادر. لم أراقب ذهابه، لكنني أراهن بكل رصيدي في "الشجاعة" أن هناك قفزة صغيرة في خطواته وهو يمشي في الممر.

نهض ماكس وجلس بجانبي، في الكرسي الذي أخلاه إريك للتو.

قال:

- "آمل أنك لا تقول هذا لأنني اتهمتك بجنون الارتياب. كنتُ قلقاً عليك فقط. خشيت أن الضغط بدأ يؤثر عليك، ويجعلك تتوقف عن التفكير السليم. ما زلت أظن أنك مرشح قوي للقيادة. أنت تناسب الملف الصحيح، وأظهرت كفاءة في كل شيء علمناك إياه - وأبعد من ذلك، بصراحة تامة، أنت محبوب أكثر من بعض مرشحينا الواعدين الآخرين، وهو أمر مهم في بيئة عمل وثيقة."

قلت:

- "شكراً لك. لكنك محق، الضغط يؤثر علي. والضغط لو كنت قائداً فعلياً سيكون أسوأ بكثير."

أومأ ماكس بحزن.

- "حسناً."

أومأ مجدداً.

- "إذا كنت تود أن تكون مدرب مبتدئين، سأرتب ذلك لك. لكن هذا عمل موسمي - أين تود أن توضع لبقية العام؟"

قلت:

- "كنت أفكر ربما في غرفة التحكم. اكتشفت أنني أستمتع بالعمل مع أجهزة الكمبيوتر. لا أعتقد أنني سأستمتع بالدوريات بنفس القدر تقريباً."

قال ماكس:

- "حسناً. اعتبر الأمر منتهياً. شكراً لصدقك معي."

نهضتُ، وكل ما شعرت به هو الارتياح. بدا قلقاً، ومتعاطفاً. غير مرتاب بي أو بدوافعي أو بجنون ارتيابي.

قال:

- "إذا غيرت رأيك يوماً، رجاء لا تتردد في إخباري. يمكننا دائماً الاستفادة من شخص مثلك."

قلت:

- "شكراً لك."

ورغم أنه أسوأ خائن للجماعة قابلته، وربما مسؤول جزئياً على الأقل عن موت عمار، لم أستطع إلا أن أشعر ببعض الامتنان له لتركي أذهب بهذه السهولة.

***

كان إريك ينتظرني عند الزاوية. وحين حاولت تجاوزه، أمسك ذراعي.

همس قائلاً:

- "احذر يا إيتون. إذا تسرب أي شيء عن تورطي مع (المعرفة) منك، فلن يعجبك ما سيحدث لك."

- "لن يعجبك ما سيحدث لك أنت أيضاً، إذا ناديتني بذلك الاسم مرة أخرى."

قال إريك بابتسامة ساخرة:

- "قريباً سأكون أحد قادتك. وصدقني، سأبقي عيناً قريبة جداً، جداً عليك وعلى مدى جودة تطبيقك لأساليب تدريبي الجديدة."

قلت:

- "هو لا يحبك، أتعلم ذلك؟ ماكس، أعني. إنه يفضل أي شخص آخر غيرك. لن يعطيك مساحة أكثر من بوصة في أي اتجاه. لذا حظاً موفقاً مع زمامك القصير."

انتزعت ذراعي من قبضته ومشيت نحو المصاعد.

قالت شونا:

- "يا رجل. هذا يوم سيء."

- "أجل."

أجلس أنا وهي بجانب الهاوية وقد دلينا أقدامنا فوق الحافة. أسندت رأسي لقضبان الحاجز المعدني الذي يمنعنا من السقوط لموتنا، وشعرت برذاذ الماء على كاحلي حين ضربت موجة كبيرة الجدار.

أخبرتها عن انسحابي من تدريب القيادة، وتهديد إريك، لكنني لم أخبرها عن أمي. *كيف تخبر شخصاً أن أمك عادت من الموت؟*

طوال حياتي، كان شخص ما يحاول السيطرة علي. ماركوس كان طاغية منزلنا، ولا شيء يحدث دون إذنه. ثم أراد ماكس تجنيدي لأكون الرجل المطيع له في "الشجاعة". وحتى أمي كانت لديها خطة لي، لأنضم إليها حين أبلغ سناً

معيناً للعمل ضد نظام الجماعات الذي تكن له ضغينة، لأي سبب كان. وحين ظننت أنني هربت من السيطرة تماماً، انقض إريك ليذكرني أنه إذا أصبح قائداً في "الشجاعة"، فسيكون مراقباً لي.

أدركت أن كل ما أملكه هو لحظات التمرد الصغيرة التي أتمكن من تدبيرها، تماماً كما حين كنت في "نكران الذات"، أجمع أشياء وجدتها في الشارع. الوشم الذي ترسمه توري على ظهري، والذي قد يعلن أنني "جامح"، هو إحدى تلك اللحظات. سيتوجب علي الاستمرار في البحث عن المزيد منها، المزيد من لحظات الحرية الوجيزة في عالم يرفض السماح بها.

قلت:

- "أين زيك؟"

قالت:

- "لا أدري. لم أرغب في التسكع معه كثيراً مؤخراً."

نظرت إليها بطرف عيني.

- "يمكنك فقط إخباره أنك معجبة به، كما تعلمين. بصراحة لا أظن أن لديه أدنى فكرة."

قالت مع ضحكة ساخرة:

- "هذا واضح. لكن ماذا لو كان هذا ما يريده – أن يقفز من فتاة لأخرى لفترة؟ لا أريد أن أكون إحدى الفتيات اللواتي يقفز إليهن."

قلت:

- "أشك بجدية أن تكوني كذلك، لكن، كلام عادل."

جلسنا بهدوء لبضع ثوان، كلانا يحدق في الماء الهائج بالأسفل.

قالت:

- "ستكون مدرباً جيداً. كنت جيداً حقاً في تعليمي."

- "شكراً."

قال زيك من خلفنا:

- "ها أنتما ذا."

كان يحمل زجاجة كبيرة مليئة بنوع من السائل البني، ممسكاً بها من عنقها.

تابع:

- "تعاليا. وجدت شيئاً."

نظرت أنا وشونا لبعضنا وهززنا أكتافنا، ثم تبعناه للأبواب على الجانب الآخر من "الحفرة"، تلك التي عبرناها أول مرة بعد القفز في الشبكة. لكن بدلاً من قيادتنا نحو الشبكة، أخذنا عبر باب آخر - قفله مثبت بشريط لاصق - ونزولاً في ممر حالك السواد ودرج.

- "يجب أن نكون قد وصلنا... آخ!"

قالت شونا:

- "آسفة، لم أعرف أنك توقفت."

- "انتظرا، كدت أصل..."

فتح باباً، سامحاً لضوء خافت بالدخول لنرى أين نحن. نحن على الجانب الآخر من الهاوية، على ارتفاع عدة أقدام فوق الماء. فوقنا، تبدو "الحفرة" ممتدة للأبد، والناس الذين يتحركون قرب السور صغار وداكنون، يستحيل تمييزهم من هذه المسافة.

ضحكت. لقد قادنا زيك للتو إلى لحظة تمرد صغيرة أخرى، ربما دون أن يقصد.

قالت شونا بدهشة واضحة وهي تقفز لأسفل على إحدى الصخور المنخفضة:

- "كيف وجدت هذا المكان؟"
الآن وأنا هنا، أرى مساراً يمكن أن يحملنا للأعلى وعبر الجدار، إذا أردنا المشي للجانب الآخر من الهاوية.
قال زيك:
- "تلك الفتاة ماريا. أمها تعمل في صيانة الهاوية. لم أكن أعلم بوجود شيء كهذا، لكن يبدو أنه موجود."
سألته شونا، محاولة أن تبدو غير مبالية:
- "ألا تزال تواعدها؟"
قال زيك:
- "لا. كل مرة كنت معها كنت أشعر برغبة ملحة في أن أكون مع أصدقائي بدلاً منها. هذه ليست علامة جيدة، صحيح؟"
وافقت شونا:
- "لا."
وبدت أكثر مرحاً من ذي قبل.
أنزلت نفسي بحذر أكبر للصخرة التي تقف عليها شونا. جلس زيك بجانبها، وفتح زجاجته ومررها.
قال زيك حين مررها لي:
- "سمعت أنك خارج السباق. ظننت أنك قد تحتاج لمشروب."
قلت:
- "أجل."
ثم أخذت رشفة كبيرة.
قال وهو يقوم بحركة بذيئة بيده نحو السقف الزجاجي فوق "الحفرة":
- "اعتبر هذا الفعل من السكْر العلني... إهداءً كبيراً لماكس وإريك."

وإيفلين، فكرت، وأنا آخذ جرعة أخرى.

قلت:

- "سأعمل في غرفة التحكم حين لا أكون أدرب المبتدئين."

قال زيك:

- "رائع. سيكون جيداً أن أحظى بصديق هناك. حالياً لا أحد يتحدث معي."

قلت ضاحكاً:

- "يبدو هذا مثلي في جماعتي القديمة. تخيل فترة غداء كاملة لا ينظر إليك فيها أحد حتى."

قال زيك:

- "أوخ. حسناً، أراهن أنك سعيد بوجودك هنا الآن، إذن."

أخذت الزجاجة منه مجدداً، وشربت ملء فمي آخر من الكحول اللاسع والحارق، ومسحت فمي بظهر يدي.

قلت:

- "أجل. أنا كذلك."

إذا كانت الجماعات تتدهور، كما تريدني أمي أن أصدق، فهذا ليس مكاناً سيئاً لمشاهدتها تنهار. على الأقل هنا لدي أصدقاء يؤنسون وحدتي بينما يحدث ذلك.

***

حل الظلام للتو، وأنا أرفع غطاء رأسي لأخفي وجهي بينما أركض عبر منطقة المنبوذين في المدينة، بمحاذاة الحدود التي تشاركها مع قطاع "نكران الذات". اضطررت للذهاب للمدرسة لأحدد موقعي، لكنني الآن أتذكر أين أنا،

وإلى أين ركضت، في ذلك اليوم الذي اقتحمت فيه مستودعاً للمنبوذين بحثاً عن جمرة تحتضر.

وصلت للباب الذي مشيت عبره حين خرجت، وطرقت عليه بمفصل إصبعي الأول. أستطيع سماع أصوات خلفه مباشرة وشم رائحة طعام قادمة من إحدى النوافذ المفتوحة، حيث يتسرب الدخان من النار بالداخل إلى الزقاق. وقع خطوات، بينما يأتي شخص ليرى سبب الطرق.

هذه المرة يرتدي الرجل قميص "وئام" أحمر وبنطال "شجاعة" أسود. لا تزال لديه منشفة محشورة في جيبه الخلفي، تماماً كآخر مرة تحدثت فيها إليه. فتح الباب بما يكفي فقط لينظر إلي، وليس أكثر.

قال وهو يتفحص ملابس "الشجاعة" التي أرتديها:

- "حسناً، انظروا من قام بتغيير. إلامَ أدين بهذه الزيارة؟ هل اشتقت لرفقتي الساحرة؟"

قلت:

- "كنت تعلم أن أمي حية حين قابلتني. هكذا عرفتني، لأنك قضيت وقتاً معها. هكذا عرفت ما قالته عن القصور الذاتي الذي يحملها لـ (نكران الذات)."

قال الرجل:

- "أجل. لم أظن أنه من شأني أن أكون الشخص الذي يخبرك أنها لا تزال حية. هل أنت هنا لتطلب اعتذاراً، أو شيئاً كهذا؟"

قلت:

- "لا. أنا هنا لتسليم رسالة. هل ستعطيها لها؟"

- "أجل، بالتأكيد. سأراها في اليومين القادمين."

مددت يدي في جيبي وأخرجت ورقة مطوية. قدمتها له.

قلت:

- "تفضل واقرأها، لا أهتم. وشكراً."

قال:

- "لا مشكلة. هل تريد الدخول؟ بدأت تبدو كواحد منا أكثر من كونك واحدًا منهم، يا إيتون."

أهز رأسي نفيًا.

أعود أدراجي عبر الزقاق، وقبل أن أنعطف عند الزاوية، ألمحه يفتح الورقة ليقرأ ما كُتب فيها.

إلي إيفلين،

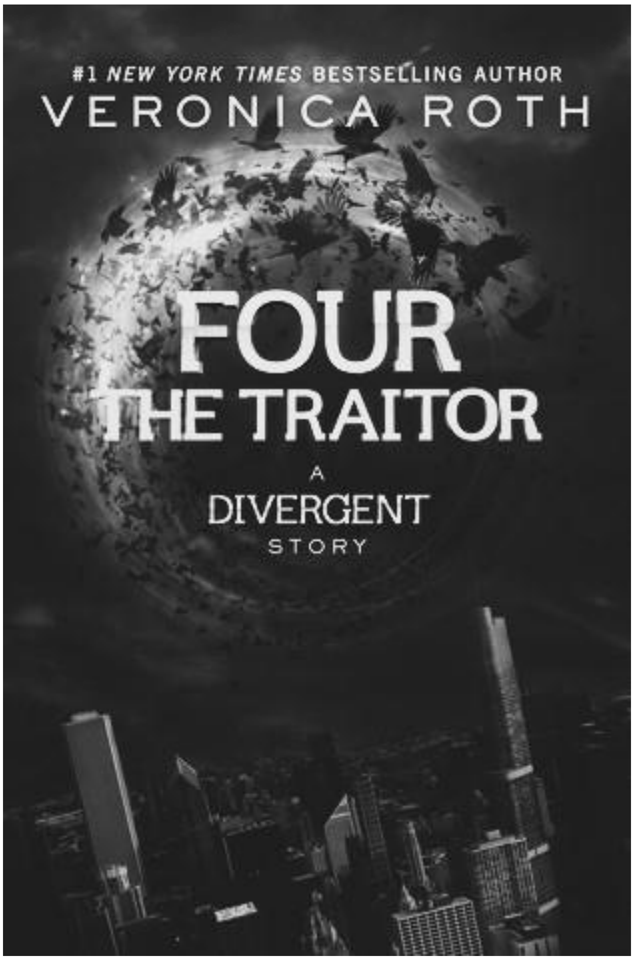
يومًا ما. لم يأتِ بعد.

ـــــ فور

ملاحظة: يسعدني أنكِ ما زلتِ على قيد الحياة.

القصة الرابعة:

الخائن



عام آخر، ويوم زيارة آخر.

قبل عامين، حين كنت مبتدئاً، تظاهرت بأن يوم الزيارة الخاص بي غير موجود، معتكفاً في غرفة التدريب مع كيس ملاكمة. بقيت هناك لفترة طويلة لدرجة أنني كنت أشم رائحة غبار العرق لأيام بعدها. في العام الماضي، وهو عامي الأول كمدرب للمبتدئين، فعلت الشيء نفسه، رغم أن زيك وشونا دعواني لقضاء اليوم مع عائلتيهما بدلاً من ذلك.

هذا العام لدي أشياء أهم لأفعلها من لكم كيس والتنكد بشأن خلل عائلتي الوظيفي. أنا ذاهب لغرفة التحكم.

مشيت عبر "الحفرة"، متفادياً لم شمل العائلات الدامع وصرخات الضحك. يمكن للعائلات دائماً أن تجتمع في يوم الزيارة، حتى لو كانوا من جماعات مختلفة، لكن بمرور الوقت، عادة ما يتوقفون عن المجيء. "الجماعة قبل الدم"، في نهاية المطاف. معظم الملابس المختلطة التي أراها تعود لعائلات المنتقلين: أخت ويل من "المعرفة" ترتدي الأزرق الفاتح، ووالدا بيتر من "النزاهة" يرتديان الأسود والأبيض. راقبت والديه للحظة، وتساءلت إن كانا هما من جعلاه الشخص الذي هو عليه. لكن في معظم الأحيان، تخميني هو أن تفسير طبائع الناس ليس بتلك السهولة.

يُفترض بي أنني في مهمة، لكنني توقفت بجانب الهاوية، ضاغطاً جسدي على السور. قصاصات من الورق تطفو في الماء. الآن وقد عرفت مكان الدرجات المنحوتة في الحجر بالجدار المقابل، أستطيع رؤيتها فوراً، وكذلك المدخل الخفي

الذي يؤدي إليها. ابتسمت قليلاً، مفكراً في الليالي التي قضيتها على تلك الصخور مع زيك أو شونا، نتحدث أحياناً، وأحياناً نجلس وحسب ونستمع لحركة الماء.

سمعت وقع خطوات تقترب، فنظرت فوق كتفي. كانت تريس تمشي نحوي، محشورة تحت ذراع امرأة من "نكران الذات" ترتدي الرمادي.

ناتالي بريور. تصلب جسدي، وشعرت برغبة يائسة ومفاجئة في الهرب - *ماذا لو عرفت ناتالي من أكون، ومن أين جئت؟ ماذا لو زلت بكلمة، هنا، محاطاً بكل هؤلاء الناس؟*

لا يمكن أن تتعرف علي. أنا لا أشبه في شيء ذلك الصبي الذي عرفته، النحيل والمحدب والمدفون في القماش.

حين أصبحت قريبة بما يكفي، مدت يدها.

قالت:

- "مرحباً، اسمي ناتالي. أنا والدة بياتريس."

بياتريس. ذلك الاسم خاطئ جداً لها.

أمسكت يد ناتالي وصافحتها. لم أكن يوماً مولعاً بمصافحة الشجعان. إنها غير متوقعة جداً - لا تعرف أبداً كم يجب أن تضغط بقوة، أو كم مرة يجب أن تهز اليد.

قلت:

- "فور. سرني لقاؤك."

قالت ناتالي وهي تبتسم:

- "فور. هل هذا لقب؟"

- "أجل."

غيرت الموضوع:

- "ابنتك تبلي حسناً هنا. لقد كنت أشرف على تدريبها."

- "جيد أن أسمع ذلك. أنا أعرف بضعة أشياء عن تدريب الشجاعة، وكنت قلقة عليها."

اختلست النظر لتريس. هناك لون في وجنتيها - تبدو سعيدة، وكأن رؤية والدتها تفيدها. لأول مرة أقدر تماماً كم تغيرت منذ رأيتها لأول مرة، تتدحرج على المنصة الخشبية، بمظهر هش، وكأن الارتطام بالشبكة كان كفيلاً بتحطيمها. لم تعد تبدو هشة، مع ظلال الكدمات على وجهها وثبات جديد في وقفتها، وكأنها مستعدة لأي شيء.

قلت لناتالي:

- "لا يجب أن تقلقي."

أشاحت تريس بنظرها. أظن أنها لا تزال غاضبة مني للطريقة التي جرحت بها أذنها بذلك السكين. أخمن أنني لا ألومها حقاً.

قالت ناتالي:

- "تبدو مألوفاً لسبب ما يا فور."

كنت لأظن تعليقها عابراً لولا الطريقة التي تنظر بها إلي، وكأنها تحاصرني بنظراتها.

قلت، بأقصى برود استطعت استحضاره:

- "لا أستطيع تخيل السبب. ليست من عادتي مخالطة نكران الذات."

لم تبدِ رد الفعل الذي توقعته، لا مفاجأة ولا خوف ولا غضب. اكتفت بالضحك.

قالت:

- "قليلون يفعلون، هذه الأيام. أنا لا آخذ الأمر على محمل شخصي."

إذا كانت قد عرفتني، فهي لا تبدو متلهفة لقول ذلك. حاولت الاسترخاء.

قلت:

- "حسناً، سأترككما للم شملكما."

***

على شاشتي، تحول تسجيل الأمن من ردهة "المحرقة" إلى الحفرة المحاطة بأربعة مبانٍ، مدخل المبتدئين لـ "الشجاعة". حشد متجمع حول الحفرة، يتسلقون داخلين وخارجين منها، أفترض لاختبار الشبكة.

قال غاس، مشرفي، وهو يقف عند كتفي يرتشف من كوب قهوة:

- "لست مهتماً بيوم الزيارة؟"

هو ليس كبيراً في السن، لكن هناك بقعة صلعاء في قمة رأسه. يبقي بقية شعره قصيراً، أقصر حتى من شعري. شحمتي أذنيه ممدودتان حول أقراص واسعة.

تابع:

- "لم أظن أنني سأراك مجدداً حتى ينتهي التدريب."

- "خمنت أنه من الأفضل أن أقوم بشيء منتج."

على شاشتي، زحف الجميع خارج الحفرة ووقفوا جانباً، ظهورهم مسندة لأحد المباني. شكل داكن يزحف نحو حافة السطح عالياً فوق الحفرة، يركض بضع خطوات، ويقفز. سقطت معدتي وكأنني أنا من يسقط، واختفى الشكل تحت الرصيف. لن أعتاد أبداً على رؤية ذلك.

قال غاس وهو يرتشف قهوته مجدداً:

- "يبدو أنهم يقضون وقتاً ممتعاً. حسناً، أهلاً بك دائماً لتعمل حين لا يكون مجدولاً لك ذلك، لكنها ليست جريمة أن تذهب وتحظى ببعض المرح الطائش يا فور."

مشى مبتعداً، فتمتمت:

- "هذا ما قيل لي."

نظرت عبر غرفة التحكم. إنها شبه فارغة - في يوم الزيارة، يُطلب من عدد قليل فقط من الناس العمل، وعادة ما يكونون الأكبر سناً. غاس منكب على شاشته. اثنان آخران يحيطان به، يمسحان التسجيلات وسماعاتهم نصف موضوعة ونصف مخلوعة. وهناك أنا.

طبعت أمراً، مستدعياً التسجيل الذي حفظته الأسبوع الماضي. يظهر ماكس في مكتبه، جالساً على كمبيوتره. ينقر المفاتيح بسبابتيه، باحثاً عن المفاتيح الصحيحة لعدة ثوانٍ بين كل نقرة وأخرى. لا يعرف الكثير من الشجعان كيف يطبعون بشكل صحيح، خصوصاً ماكس، الذي قيل لي إنه قضى معظم وقته في الشجاعة يقوم بدوريات في قطاع المنبوذين ومسدس بجانبه - لابد أنه لم يتوقع أبداً أن يحتاج لاستخدام كمبيوتر. ملت قريباً من الشاشة لأتأكد أن الأرقام التي دونتها سابقاً دقيقة. إذا كانت كذلك، فأنا أملك كلمة مرور حساب ماكس مكتوبة على ورقة في جيبي.

منذ أدركت أن ماكس يعمل بشكل وثيق مع جانيين ماثيوز، وبدأت أشك أن لهما علاقة بموت عمار، وأنا أبحث عن طريقة للتحقيق أكثر. حين رأيته يطبع كلمة مروره في ذلك اليوم، وجدت واحدة.

084628. أجل، الأرقام تبدو صحيحة. استدعيت تسجيل الأمن المباشر مجدداً، وقلبت بين تسجيلات الكاميرا حتى وجدت تلك التي تظهر مكتب ماكس والممر خلفه. ثم طبعت الأمر لأخذ تسجيل مكتب ماكس خارج التدوير، حتى لا يراه غاس والآخرون؛ سيعرض فقط على شاشتي. التسجيلات من المدينة بأكملها مقسمة دائماً على عدد الأشخاص الموجودين في غرفة التحكم، لذا نحن لا ننظر جميعاً لنفس التسجيلات. يفترض بنا فقط سحب التسجيلات من التدوير العام بهذه الطريقة لبضع ثوانٍ في المرة الواحدة، إذا احتجنا لنظرة أقرب

على شيء ما، لكن آمل ألا يستغرقني هذا وقتاً طويلاً. تسللت خارج الغرفة ومشيت نحو المصاعد.

هذا المستوى من "المحرقة" شبه فارغ – الجميع ذهبوا. ذلك سيجعل من الأسهل علي فعل ما يتوجب علي فعله. ركبت المصعد للطابق العاشر، ومشيت بتصميم نحو مكتب ماكس. اكتشفت أنه حين تتسلل، من الأفضل ألا تبدو وكأنك تتسلل. نقرت على وحدة التخزين في جيبي وأنا أمشي، وانعطفت عند الزاوية نحو مكتب ماكس.

دفعت الباب بحذائي ليفتح – في وقت سابق من اليوم، بعد أن تأكدت من ذهابه لـ "الحفرة" لبدء تحضيرات يوم الزيارة، تسللت لهنا ووضعت شريطاً لاصقاً على القفل. أغلقت الباب بهدوء خلفي، دون إشعال الأضواء، وجثمت بجانب مكتبه. لا أريد تحريك الكرسي لأجلس عليه؛ لا أريده أن يرى أن أي شيء في هذه الغرفة قد تغير حين يعود.

طلبت مني الشاشة كلمة مرور. شعرت بجفاف في حلقي. أخرجت الورقة من جيبي وضغطتها لتستوي على سطح المكتب بينما أطبع الأرقام.

084628.

تغيرت الشاشة. لا أصدق أن ذلك نجح.

أسرع. إذا اكتشف غاس أنني غائب، وأنني هنا، لا أعرف ماذا سأقول، أي عذر يمكنني تقديمه ليبدو منطقياً. أدخلت وحدة التخزين ونقلت البرنامج الذي وضعته هناك سابقاً. طلبت من لورين، إحدى الطاقم التقني للشجاعة وزميلتي في تدريب المبتدئين، برنامجاً يجعل حاسوباً ينسخ شاشة آخر بشكل متطابق، بحجة أنني أريد عمل مقلب في زيك ونحن في العمل. كانت سعيدة بالمساعدة – شيء آخر اكتشفته هو أن الشجعان دائماً مستعدون للمقالب، ونادراً ما يبحثون عن كذبة.

ببضع نقرات بسيطة، تم تثبيت البرنامج ودفنه في مكان ما في كمبيوتر ماكس أنا واثق أنه لن يكلف نفسه عناء الدخول إليه. أعدت وحدة التخزين لجيبي، مع الورقة التي تحمل كلمة مروره، وغادرت المكتب دون أن أترك بصماتي على الجزء الزجاجي من الباب.

كان ذلك سهلاً، فكرتُ وأنا أمشي نحو المصاعد مجدداً. وفقاً لساعتي، استغرق الأمر خمس دقائق فقط. يمكنني الادعاء أنني كنت في استراحة حمام إذا سأل أحد.

لكن حين عدت لغرفة التحكم، كان غاس يقف عند حاسوبي، يحدق في شاشتي.

تجمدت. *منذ متى وهو هناك؟ هل رآني أقتحم مكتب ماكس؟*

قال غاس بصوت جاد:

- "فور. لماذا عزلت هذا التسجيل؟ لا يفترض بك أخذ التسجيلات خارج التدوير، أنت تعرف ذلك."

- "أنا..."

اكذب! اكذب الآن!

أنهيت جملتي بضعف:

- "ظننت أنني رأيت شيئاً. مسموح لنا بعزل التسجيل إذا رأينا شيئاً غير مألوف."

تحرك غاس نحوي.

- "إذن، لماذا رأيتك للتو على هذه الشاشة تخرج من نفس الممر؟"

أشار للممر على شاشتي. ضاق حلقي.

قلت:

- "ظننت أنني رأيت شيئاً، وذهبت للطابق العلوي للتحقق منه. أنا آسف، أردت فقط التحرك قليلاً."

حدق بي، عاضاً باطن خده. لم أتحرك. لم أشح بنظري.

قال:

- "إذا رأيت شيئاً غير مألوف مرة أخرى، اتبع البروتوكول. أبلغ مشرفك، الذي هو... من، مجدداً؟"

قلت مع تنهيدة صغيرة:

- "أنت."

أكره أن يتم التعامل معي بفوقية.

قال:

- "صحيح. أرى أنك تستوعب. بصراحة يا فور، بعد أكثر من عام من العمل هنا لا يجب أن يكون هناك كل هذه المخالفات في أدائك الوظيفي. لدينا قواعد واضحة جداً، وكل ما عليك فعله هو اتباعها. هذا تحذيرك الأخير. حسناً؟"

قلت:

- "حسناً."

لقد وُبخت بضع مرات لسحب تسجيلات من الكاميرات لمشاهدة اجتماعات مع جانيين ماثيوز وماكس، أو مع ماكس وإريك. لم يعطني ذلك أي معلومات مفيدة أبداً، وتقريباً دائماً ما كنت أُضبط.

خفّت حدة صوته قليلاً وقال:

- "جيد. حظاً موفقاً مع المبتدئين. حصلت على منتقلين مجدداً هذا العام؟"

- "أجل. لورين تأخذ أبناء الشجاعة."

- "آه، مؤسف. كنت آمل أن تتعرف على أختي الصغيرة. لو كنت مكانك، لذهبت لفعل شيء للاسترخاء. نحن بخير هنا. فقط أعد إطلاق ذلك التسجيل قبل أن تذهب."

عاد لكمبيوتره، وأرخيت فكي. لم أكن أدرك حتى أنني كنت أطبق عليه. ووجهي ينبض، أغلقت حاسوبي وغادرت غرفة التحكم. لا أصدق أنني نجوت بفعلتي.

الآن، ومع تثبيت هذا البرنامج على كمبيوتر ماكس، أستطيع تصفح كل ملف من ملفاته من الخصوصية النسبية لغرفة التحكم. أستطيع معرفة ما يخطط له هو وجانيين ماثيوز بالضبط.

***

تلك الليلة حلمت أنني أمشي عبر ممرات "المحرقة"، وكنت وحيداً، لكن الممرات لا تنتهي، والمنظر من النوافذ لا يتغير، سكك قطار مرتفعة تنحني داخل مبانٍ طويلة، والشمس مدفونة في الغيوم. أشعر وكأنني أمشي لساعات، وحين استيقظت بانتفاضة، كان الأمر وكأنني لم أنم على الإطلاق.

ثم سمعت طرقاً، وصوتاً يصرخ: "افتح!"

هذا يشبه كابوساً أكثر من الملل الذي هربت منه للتو - أنا واثق أنهم جنود الشجاعة قادمون لبابي لأنهم اكتشفوا أنني "جامح"، أو أنني أتجسس على ماكس، أو أنني كنت على تواصل مع أمي المنبوذة في العام الماضي. كلها أشياء تقول "خائن للجماعة". جنود شجاعة قادمون لقتلي - لكن وأنا أمشي للباب، أدركت أنهم لو كانوا سيفعلون ذلك، لما أحدثوا كل هذه الجلبة في الممر. وبجانب ذلك، هذا صوت زيك.

قلت حين فتحت الباب:

- "زيك. ما مشكلتك؟ نحن في منتصف الليل."

هناك خط من العرق على جبهته، وهو يلهث. لابد أنه ركض إلى هنا.

قال زيك:

- "كنت أعمل في المناوبة الليلية في غرفة التحكم. حدث شيء في عنبر المنتقلين."

لسبب ما، كانت فكرتي الأولى هي، عيناها الواسعتان تحدقان بي من أعماق ذاكرتي.

- "ماذا؟ لمن؟"

- "امشِ وتحدث."

ارتديت حذائي وسحبت سترتي وتبعته عبر الممر.

قال زيك:

- "فتى المعرفة. الأشقر."

اضطررت لكبت تنهيدة ارتياح. إنها ليست هي. لم يحدث لها شيء.

- "ويل؟"

- "لا، الآخر."

- "إدوارد."

- "أجل، إدوارد. تعرض للهجوم. طُعن."

- "مات؟"

- "بل حي. لكنه أصيب في عينه."

توقفت.

- "في عينه؟"

أومأ زيك.

- "من أخبرت؟"

- "مشرف الليل. ذهب ليخبر إريك، وإريك قال إنه سيتعامل مع الأمر."

- "بالتأكيد سيفعل."

انحرفت لليمين، مبتعداً عن عنبر المنتقلين.

سأل زيك:

- "إلى أين أنت ذاهب؟"

قلت وأنا أمشي بظهري:

- "إدوارد في المشفى بالفعل؟"

أومأ زيك.

قلت:

- "إذن أنا ذاهب لرؤية ماكس."

***

مجمع "الشجاعة" ليس كبيراً لدرجة أنني لا أعرف أين يعيش الناس. شقة ماكس مدفونة عميقاً في الممرات تحت الأرضية للمجمع، قرب باب خلفي يفتح مباشرة بجانب سكك القطار بالخارج. سرت نحوه، متبعاً مصابيح الطوارئ الزرقاء التي تعمل بمولدنا الشمسي.

طرقت على الباب المعدني بقبضتي، موقظاً ماكس بنفس الطريقة التي أيقظني بها زيك. سحب الباب ليفتح بعد بضعة ثوانٍ، قدماه حافيتان وعيناه زائغتان.

قال:

- "ماذا حدث؟"

- "أحد المبتدئين لدي طعن في عينه."

- "وجئت إلى هنا؟ ألم يبلغ أحد إريك؟"

- "أجل. هذا ما أريد التحدث معك بشأنه. أتمانع إن دخلت؟"

لم أنتظر إجابة - تجاوزته ومشيت لغرفة معيشته. أشعل الأضواء، كاشفاً عن أكثر مساحة معيشة فوضوية رأيتها في حياتي، أكواب وأطباق مستعملة متناثرة عبر طاولة القهوة، كل وسائد الأريكة مبعثرة، والأرضية رمادية بالغبار. قلت:

- "أريد للتدريب أن يعود لما كان عليه قبل أن يجعله إريك أكثر تنافسية، وأريده خارج غرفة تدريبي."

عقد ماكس ذراعيه وقال:

- "أنت لا تظن حقاً أنه خطأ إريك أن مبتدئاً أصيب. أو أنك في أي وضع يسمح لك بتقديم مطالب."

قلت بصوت أعلى مما قصدت:

- "بلى، إنه خطؤه، بالطبع هو خطؤه! لو لم يكونوا جميعاً يتقاتلون لأجل واحد من عشرة أماكن، لما كانوا يائسين لدرجة الاستعداد لمهاجمة بعضهم البعض! لقد شد أعصابهم لدرجة التوتر القصوى، بالطبع كان محتماً أن ينفجروا في النهاية!"

صمت ماكس. بدا منزعجاً، لكنه لم يصفني بالسخف، وتلك بداية.

قال ماكس:

- "ألا تظن أن المبتدئ الذي قام بالهجوم يجب أن يحمل المسؤولية؟ ألا تظن أنه أو أنها هو من يُلام، بدلاً من إريك؟"

- "بالطبع هو - هي - أياً كان - يجب أن يحمل المسؤولية. لكن هذا ما كان ليحدث أبداً لو أن إريك..."

قاطعني ماكس:

- "لا يمكنك قول ذلك بأي يقين."

- "يمكنني قوله بيقين الشخص العاقل."
- "أتقصد أنني لست عاقلاً؟"

صوته منخفض، وخطير، وفجأة تذكرت أن ماكس ليس مجرد قائد الشجاعة الذي يحبني لسبب لا يمكن تفسيره - هو قائد الشجاعة الذي يعمل عن كثب مع جانيين ماثيوز، الذي عين إريك، والذي على الأرجح كان له يد في موت عمار.

قلت محاولاً البقاء هادئاً:

- "ليس هذا ما عنيته."

تحرك ماكس نحوي وقال:

- "يجب أن تكون حذراً لتوصيل ما تعنيه بالضبط. وإلا سيبدأ أحدهم بالظن أنك تهين رؤساءك."

لم أجب. تحرك أقرب.

قال وعيناه المحتقنتان بالدم تنجرفان لكتفي، حيث تبرز نيران الشجاعة في وشمي فوق ياقة قميصي:

- "أو تشكك في قيم جماعتك."

لقد أخفيت رموز الجماعات الخمسة التي تغطي عمودي الفقري منذ حصلت عليها، لكن لسبب ما، في هذه اللحظة، أنا مرعوب من أن ماكس يعرف بشأنها. يعرف ماذا تعني، وهو أنني لست عضواً مثالياً في الشجاعة؛ أنا شخص يؤمن بأن أكثر من فضيلة واحدة يجب أن تُقدّر؛ أنا جامح.

تابع ماكس:

- "كانت لديك فرصتك لتصبح قائداً في الشجاعة. ربما كان بإمكانك تجنب هذه الحادثة لو لم تتراجع كجبان. لكنك فعلت. لذا الآن عليك التعامل مع العواقب."

وجهه يظهر عليه عمره. فيه خطوط لم تكن موجودة العام الماضي، أو العام الذي قبله، وجلده بني مائل للرمادي، وكأنه مغبر بالرماد.

- "إريك متورط في التدريب بقدر ما هو عليه لأنك رفضت اتباع الأوامر العام الماضي..."

العام الماضي، في غرفة التدريب، أوقفت كل القتالات قبل أن تصبح الإصابات خطيرة جداً، ضد أمر إريك بأن القتال يتوقف فقط حين يعجز شخص عن الاستمرار. كدت أفقد منصبي كمدرب للمبتدئين نتيجة لذلك؛ وكنت سأفقده، لولا أن ماكس تدخل.

تابع ماكس:

- "... وأردت أن أعطيك فرصة أخرى لتصحيح الأمر، مع مراقبة أقرب. أنت تفشل في فعل ذلك. لقد تماديت كثيراً."

العرق الذي تصبب مني في طريقي لهنا تحول لبرودة. تراجع للخلف وفتح بابه مجدداً.

- "اخرج من شقتي وتعامل مع مبتدئيك. لا تدعني أراك تخرج عن الصف مجدداً."

قلت بهدوء:

- "حاضر يا سيدي."

وغادرت.

ذهبت لرؤية إدوارد في المستشفى في الصباح الباكر، حين كانت الشمس تشرق، ساطعة عبر السقف الزجاجي لـ "الحفرة". رأسه ملفوف بضمادات بيضاء، وهو لا يتحرك، ولا يتكلم. لم أقل شيئاً له، اكتفيت بالجلوس عند رأسه ومراقبة الدقائق تمر على ساعة الحائط.

لقد كنت أحمق. ظننت أنني لا أقهر، أن رغبة ماكس في وجودي كقائد زميل لن تهتز أبداً، وأنه على مستوى ما يثق بي. كان يجدر بي أن أكون أذكى من ذلك. كل ما أراده ماكس يوماً هو بيدق - هذا ما قالته أمي.

لا يمكنني أن أكون بيدقاً. لكنني لست متأكداً مما يجب أن أكونه بدلاً من ذلك.

***

الإعداد الذي تبتدعه بياتريس بريور موحش ويكاد يكون جميلاً؛ السماء بلون أصفر يميل للخضرة، وعشب أصفر يمتد لأميال في كل اتجاه.

مشاهدة محاكاة خوف شخص آخر أمر غريب. وحميمي. لا أشعر بالارتياح لإجبار أشخاص آخرين على أن يكونوا مكشوفين، حتى لو لم أكن أحبهم. لكل كائن بشري الحق في أسراره. مشاهدة مخاوف المبتدئين لدي، واحداً تلو الآخر، تجعلني أشعر وكأن جلدي قد كُشط بورق صنفرة حتى التهب.

في محاكاة تريس، العشب الأصفر ساكن تماماً. لو لم يكن الهواء راكداً، لقلت إن هذا حلم، لا كابوس - لكن الهواء الساكن يعني شيئاً واحداً فقط لي، وهو عاصفة قادمة.

تحرك ظل عبر العشب، وهبط طائر أسود كبير على كتفها، غارزاً مخالبه في قميصها. وخزتني أطراف أصابعي، متذكرة كيف لمست كتفها حين دخلت لغرفة المحاكاة، وكيف أزحت شعرها عن عنقها لأحقنها. غبي. متهور.

ضربت الطائر الأسود، بقوة، ثم حدث كل شيء دفعة واحدة. زمجر الرعد؛ وأظلمت السماء، ليس بغيوم العاصفة، بل بالطيور، سرب ضخم بشكل مستحيل منها، يتحرك بانسجام كأجزاء عديدة لنفس العقل.

صوت صراخها هو أسوأ صوت في العالم، يائس - هي يائسة طلباً للمساعدة وأنا يائس لمساعدتها، رغم أنني أعلم أن ما أراه ليس حقيقياً، أعلم ذلك. الغربان تستمر في القدوم، بلا هوادة، تحيط بها، تدفنها حية في ريش أسود. تصرخ طلباً للمساعدة ولا أستطيع مساعدتها ولا أريد مشاهدة هذا، لا أريد مشاهدة ثانية أخرى.

لكن بعد ذلك، بدأت تتحرك، مغيرة وضعيتها لتستلقي في العشب، مستكينة، ومرتاحة. إذا كانت تتألم الآن فهي لا تظهر ذلك؛ أغلقت عينيها واستسلمت وحسب، وكان ذلك أسوأ من صراخها طلباً للمساعدة، بطريقة ما.

ثم انتهى الأمر.

انتفضت للأمام في الكرسي المعدني، تضرب جسدها لتبعد الطيور عنها، رغم أنها اختفت. ثم تكورت في كرة وأخفت وجهها.

مددت يدي لألمس كتفها، لأطمئنها، فضربت ذراعي بقوة.

- "لا تلمسني!"

قلت وأنا أجفل - هي تلكم بقوة أكبر مما تدرك:

- "لقد انتهى الأمر."

تجاهلت الألم ومررت يدي على شعرها، لأنني غبي، وغير لائق، وغبي...

- "تريس."

ظلت تتحرك جيئة وذهاباً، مهدئة نفسها.

- "تريس، سأعيدك للعنبر، حسناً؟"

- "لا! لا يمكنهم رؤيتي... ليس هكذا..."

هذا ما يخلقه نظام إريك الجديد: كائن بشري شجاع هزم للتو واحداً من أسوأ مخاوفه في أقل من خمس دقائق، وهي محنة تستغرق من معظم الناس ضعف ذلك الوقت على الأقل، لكنها مرعوبة من العودة للممر، من أن ينظر

إليها كشخص ضعيف أو مكشوف بأي شكل. تريس "شجاعة"، ببساطة ووضوح، لكن هذه الجماعة لم تعد "شجاعة" حقاً بعد الآن.

قلت، بحدة أكثر مما قصدت:

- "أوه، اهدئي. سأخرجك من الباب الخلفي."

- "لا أحتاج منك أن..."

أستطيع رؤية يديها ترتجفان حتى وهي ترفض عرضي بلامبالاة.

- "هراء."

أمسكت ذراعها وساعدتها على النهوض. مسحت عينيها وأنا أتحرك نحو الباب الخلفي. عمار أخذني ذات مرة عبر هذا الباب، حاول إعادتي للعنبر حتى حين لم أكن أريده أن يفعل، بالطريقة التي ربما لا تريدني هي أن أفعل الآن.

كيف يمكن عيش القصة نفسها مرتين، من وجهتي نظر مختلفتين؟

انتزعت ذراعها من ذراعي، واستدارت نحوي.

- "لماذا فعلت ذلك بي؟ ما الفائدة من ذلك، هاه؟ لم أكن أعلم حين اخترت الشجاعة أنني كنت أسجل من أجل أسابيع من التعذيب!"

لو كانت أي شخص آخر، أياً من المبتدئين الآخرين، لكنت صرخت فيها لعصيانها عشرات المرات الآن. لكنت شعرت بالتهديد من هجماتها المستمرة ضد شخصيتي، وحاولت سحق تمردها بقسوة، بالطريقة التي فعلتها مع كريستينا في اليوم الأول من التدريب. لكن تريس اكتسبت احترامي حين قفزت أولاً، في الشبكة؛ حين تحدتني في وجبتها الأولى؛ حين لم تردعها ردودي غير السارة على الأسئلة؛ حين دافعت عن آل وحدقت في عيني مباشرة وأنا أرمي السكاكين عليها. هي ليست تابعة لي، ولا يمكن أن تكون.

قلت:

- "هل ظننتِ أن التغلب على الجبن سيكون سهلاً؟"

- "هذا ليس تغلباً على الجبن! الجبن هو كيف تقرر أن تكون في الحياة الواقعية، وفي الحياة الواقعية، أنا لا أتعرض للنقر حتى الموت من قبل الغربان يا فور!"

بدأت تبكي، لكنني كنت مذهولاً جداً بما قالته للتو لأشعر بعدم الارتياح مع دموعها. هي لا تتعلم الدروس التي يريدها إريك أن تتعلمها. هي تتعلم أشياء مختلفة، أكثر حكمة.

قالت:

- "أريد العودة للمنزل."

أعرف أين توجد الكاميرات في هذا الممر. آمل ألا يكون أي منها قد التقط ما قالته للتو.

قلت:

- "تعلم كيفية التفكير في خضم الخوف هو درس يحتاج الجميع، حتى عائلتك (المتزمتة)، لتعلمه."

أنا أشك في الكثير من الأشياء بخصوص تدريب الشجاعة، لكن محاكاة الخوف ليست واحدة منها؛ إنها الطريقة الأكثر مباشرة ليواجه الشخص مخاوفه ويقهرها، أكثر مباشرة بكثير من رمي السكاكين أو القتال.

- "هذا ما نحاول تعليمه لكِ. إذا لم تستطيعي تعلمه، فسيتوجب عليك الخروج من هنا، لأننا لن نريد وجودك."

أنا قاسٍ عليها لأنني أعلم أنها تستطيع احتمال الأمر. وأيضاً لأنني لا أعرف أي طريقة أخرى.

قالت:

- "أنا أحاول. لكنني فشلت. أنا أفشل."

كدت أشعر بالرغبة في الضحك.

- "كم من الوقت تظنين أنك قضيتِه في تلك الهلوسة يا تريس؟"
- "لا أدري. نصف ساعة؟"
- "ثلاث دقائق. خرجتِ أسرع بثلاث مرات من أي من المبتدئين الآخرين. أياً ما كنتِ، فأنت لستِ فاشلة."

قد تكونين جامحة، فكرت. لكنها لم تفعل شيئاً لتغيير المحاكاة، فربما ليست كذلك. ربما هي شجاعة لتلك الدرجة وحسب.

ابتسمت لها.

- "غداً ستكونين أفضل في هذا. سترين."
- "غداً؟"

أصبحت أهدأ الآن. لمست ظهرها، تحت كتفيها مباشرة.

سألتني:

- "ماذا كانت هلوستك الأولى؟"
- "لم تكن (ماذا) بقدر ما كانت (مَن)."

وأنا أقول ذلك، فكرت أنه كان يجدر بي إخبارها بالعقبة الأولى في سيناريو مخاوفي، الخوف من المرتفعات، رغم أنه ليس بالضبط ما تسأل عنه. حين أكون حولها لا أستطيع التحكم بما أقوله بالطريقة التي أفعلها حول الناس الآخرين. أقول أشياء غامضة لأن ذلك أقرب ما يمكنني فعله لمنع نفسي من قول أي شيء، وعقلي مشوش بشعور جسدها عبر قميصها.

- "الأمر ليس مهماً."
- "وهل تغلبت على ذلك الخوف الآن؟"
- "ليس بعد."

نحن عند باب العنبر. لم يسبق للمشي أن مر بهذه السرعة. وضعت يدي في جيبي كي لا أفعل شيئاً غبياً بهما مجدداً.

- "قد لا أتغلب عليه أبداً."

- "إذن هي لا تختفي؟"

- "أحياناً تختفي. وأحياناً تستبدلها مخاوف جديدة. لكن أن تصبح بلا خوف ليس هو الهدف. هذا مستحيل. تعلم كيفية السيطرة على خوفك، وكيف تكون حراً منه، هذا هو الهدف."

أومأت. لا أعرف لأي شيء جاءت إلى هنا، لكن لو كان علي التخمين، لقلت إنها اختارت الشجاعة لأجل حريتها. "نكران الذات" كانت لتخنق الشرارة بداخلها حتى تموت. "الشجاعة"، بكل عيوبها، أذكت الشرارة لتصبح شعلة.

قلت:

- "على أي حال. مخاوفك نادراً ما تكون كما تظهر في المحاكاة."

- "ماذا تعني؟"

- "حسناً، هل أنتِ خائفة حقاً من الغربان؟"

ابتسمت.

- "حين ترين واحداً، هل تركضين صارخة؟"

- "لا، أظن أنني لا أفعل."

تحركت أقرب مني. كنت أشعر بأمان أكبر حين كانت هناك مساحة أكبر بيننا. أقرب حتى، وأفكر في لمسها، ويجف حلقي. أنا تقريباً لا أفكر أبداً في الناس بتلك الطريقة، في الفتيات بتلك الطريقة.

قالت:

- "إذن مم أنا خائفة حقاً؟"

- "لا أدري. وحدكِ تعرفين."

- "لم أكن أعلم أن الشجاعة ستكون بهذه الصعوبة."

أنا سعيد لامتلاك شيء آخر أفكر فيه، غير كم سيكون سهلاً وضع يدي على انحناء ظهرها.

- "لم تكن دائماً هكذا، قيل لي. أن تكون شجاعاً، أعني."

- "ما الذي تغير؟"

- "القيادة. الشخص الذي يسيطر على التدريب يضع معيار سلوك الشجاعة. قبل ست سنوات غير ماكس والقادة الآخرون أساليب التدريب لجعلها أكثر تنافسية وأكثر وحشية."

قبل ست سنوات، كان جزء القتال من التدريب مختصراً ولم يتضمن مبارزة بقبضات عارية. كان المبتدئون يرتدون واقيات. التركيز كان على كونك قوياً ومقتدراً، وعلى تطوير الزمالة مع المبتدئين الآخرين. وحتى حين كنت مبتدئاً، كان الوضع أفضل من هذا – إمكانية غير محدودة للمبتدئين ليصبحوا أعضاء، وقتالات تتوقف حين يستسلم شخص ما.

- "قالوا إن ذلك لاختبار قوة الناس. وذلك غير أولويات الشجاعة ككل. أراهن أنك لا تستطيعين تخمين من هو تلميذ القادة الجديد."

بالطبع، خمنت ذلك فوراً.

- "إذن إذا كنت في المرتبة الأولى في دفعتك، فماذا كانت مرتبة إريك؟"

- "الثانية."

- "إذن كان خيارهم الثاني للقيادة. وأنت كنت الأول."

دقيقة الملاحظة. لا أعرف إن كنت الخيار الأول، لكنني بالتأكيد كنت خياراً أفضل من إريك.

- "ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟"

- "الطريقة التي كان يتصرف بها إريك في العشاء في الليلة الأولى. غيور، رغم أنه يملك ما يريد."

لم يسبق لي التفكير في إريك بتلك الطريقة. غيور؟ من ماذا؟ لم آخذ شيئاً منه أبداً، لم أشكل تهديداً حقيقياً له أبداً. هو من طارد عمار، وطاردني. لكن ربما هي محقة - ربما لم أر أبداً كم كان محبطاً لكونه ثانياً بعد منتقِل من "نكران الذات"، بعد كل عمله الشاق، أو أنني كنت مفضلاً لدى ماكس للقيادة حتى وهو موضوع هنا خصيصاً لأخذ دور القيادة.

مسحت وجهها.

- "هل أبدو وكأنني كنت أبكي؟"

السؤال يبدو مضحكاً تقريباً بالنسبة لي. دموعها تلاشت بسرعة كما جاءت، والآن وجهها صافٍ مجدداً، عيناها جافتان، وشعرها أملس. وكأن شيئاً لم يحدث - وكأنها لم تقضِ لتوها ثلاث دقائق يغمرها الرعب. إنها أقوى مما كنت عليه.

- "همم."

ملت أقرب، مازحاً بتفحصها، لكن الأمر لم يعد مزحة حينها، وأنا قريب وحسب، ونتشارك نفساً واحداً.

قلت:

- "لا يا تريس. تبدين..."

جربت تعبيراً شجاعاً.

- "صلبة كالفولاذ."

ابتسمت قليلاً. وكذلك أنا.

***

قال زيك بنعاس، وهو يسند رأسه لقبضته:

- "مهلاً. تريد تولي الأمر بدلاً مني؟ أنا عملياً أحتاج لتثبيت عيني بشريط لاصق لتبقيا مفتوحتين."

قلت:

- "آسف. أحتاج فقط لاستخدام كمبيوتر. أنت تعلم أنها التاسعة فقط، صحيح؟"

تثاءب.

- "أنا أتعب حين أشعر بملل يقتل عقلي. المناوبة أوشكت على الانتهاء، مع ذلك."

أحب غرفة التحكم في الليل. يوجد ثلاثة أشخاص فقط يراقبون التسجيلات، فالغرفة صامتة باستثناء همهمة الكمبيوترات. عبر النوافذ لا أرى سوى شظية من القمر؛ كل شيء آخر مظلم. من الصعب إيجاد السلام في مجمع "الشجاعة"، وهذا هو المكان الذي أجده فيه غالباً.

عاد زيك لشاشته. جلست على كمبيوتر يبعد عنه بضعة مقاعد، وأملت الشاشة بعيداً عن الغرفة. ثم سجلت الدخول، مستخدماً اسم الحساب الوهمي الذي أنشأته قبل عدة أشهر، حتى لا يتمكن أحد من تتبع هذا لي.

بمجرد تسجيل الدخول، فتحت برنامج النسخ المتطابق الذي يسمح لي باستخدام كمبيوتر ماكس عن بعد. يستغرق الأمر ثانية ليعمل، لكن حين يفعل، يبدو الأمر وكأنني أجلس في مكتب ماكس، أستخدم نفس الآلة التي يستخدمها.

عملت بسرعة، وبشكل منهجي. هو يسمي مجلداته بأرقام، لذا لا أعرف ما سيحتويه كل واحد. معظمها حميدة، قوائم لأعضاء الشجاعة أو جداول للفعاليات. فتحتها وأغلقتها في ثوانٍ.

تعمقت أكثر في الملفات، مجلداً تلو الآخر، ثم وجدت شيئاً غريباً. قائمة إمدادات، لكن الإمدادات لا تتضمن طعاماً أو قماشاً أو أي شيء آخر أتوقعه لحياة الشجاعة العادية - القائمة لأسلحة. حقن. وشيء معلم بـ "مصل D2".

لا أستطيع تخيل سوى شيء واحد يتطلب من الشجاعة امتلاك هذا العدد من الأسلحة: هجوم. لكن على من؟

تفقدت غرفة التحكم مجدداً، ونبضات قلبي تقرع في رأسي.

زيك يلعب لعبة كمبيوتر كتبها بنفسه. عاملة غرفة التحكم الثانية منهارة لجانب واحد، عيناها نصف مغلقتين. الثالث يحرك كوب الماء بكسل بقشّته، محدقاً خارج النوافذ. لا أحد ينتبه لي.

فتحت المزيد من الملفات. بعد بضعة جهود ضائعة، وجدت خريطة. معلمة في الغالب بحروف وأرقام، لذا في البداية لم أعرف ماذا تظهر. ثم فتحت خريطة للمدينة على قاعدة بيانات الشجاعة لمقارنتهما، وأسندت ظهري للكرسي حين أدركت ما الشوارع التي تركز عليها خريطة ماكس.

قطاع "نكران الذات".

الهجوم سيكون ضد "نكران الذات".

***

كان يجب أن يكون الأمر واضحاً، بالطبع. من غيرهم سيكلف ماكس وجانيين نفسيهما عناء مهاجمته؟ ضغينة ماكس وجانيين هي ضد "نكران الذات"، ولطالما كانت كذلك. كان يجب أن أدرك ذلك حين نشر "المعرفة" تلك القصة عن أبي، الزوج والأب الوحشي. الشيء الحقيقي الوحيد الذي كتبوه، على حد علمي.

نكز زيك ساقي بقدمه.

- "انتهت المناوبة. وقت النوم؟"

قلت:

- "لا. أنا بحاجة لمشروب."

انتعش بشكل ملحوظ. ليس كل ليلة أقرر فيها التخلي عن وجودي المعقم والمنعزل لأجل أمسية من انغماس الشجعان.

قال:

- "أنا رفيقك."

أغلقت البرنامج، وحسابي، وكل شيء. حاولت ترك المعلومات حول هجوم "نكران الذات" خلفي أيضاً، حتى أستطيع معرفة ما سأفعله حيالها، لكنها طاردتني طوال الطريق للمصعد، وعبر الردهة، ونزولاً في الممرات لقاع "الحفرة".

***

خرجت من المحاكاة بشعور ثقيل في قاع معدتي. فصلت نفسي عن الأسلاك ونهضت. هي لا تزال تتعافى من إحساس الغرق الوشيك، تنفض يديها وتأخذ أنفاساً عميقة. راقبتها للحظة، غير متأكد كيف أقول ما أحتاج لقوله.

قالت:

- "ماذا؟"

- "كيف فعلتِ ذلك؟"

- "فعلت ماذا؟"

- "كسر الزجاج."

- "لا أدري."

أومأت، وقدمت لها يدي. نهضت دون أي عناء، لكنها تجنبت عيني. تفقدت زوايا الغرفة بحثاً عن كاميرات. هناك واحدة، حيث ظننت أنها ستكون تماماً، مقابلنا مباشرة. أمسكت كوعها وقدتها خارج الغرفة، لمكان أعلم أننا لن نكون مراقبين فيه، في النقطة العمياء بين نقطتي مراقبة.

قالت بانزعاج:

- "ماذا؟"

قلت:

- "أنتِ جامحة."

لم أكن لطيفاً جداً معها اليوم. الليلة الماضية رأيتها هي وأصدقائها عند الهاوية، وزلة في الحكم - أو في الصحو من السكر - قادتني للميل قريباً جداً، لإخبارها أنها تبدو جيدة. أنا قلق أنني تماديت. والآن أنا قلق أكثر، لكن لأسباب مختلفة.

لقد كسرت الزجاج. إنها جامحة. إنها في خطر.

حدقت بي.

ثم تهاوت ضد الجدار، متبنية هالة شبه مقنعة من اللامبالاة.

- "ما معنى جامحة؟"

قلت:

- "لا تدّعي الغباء. شككت في الأمر المرة السابقة، لكن هذه المرة الأمر واضح. تلاعبتِ بالمحاكاة؛ أنتِ جامحة. سأحذف التسجيل، لكن ما لم ترغبي في أن ينتهي بك المطاف ميتة في قاع الهاوية، ستجدين طريقة لإخفاء ذلك أثناء المحاكاة! والآن، اعذريني."

عدت لغرفة المحاكاة، وسحبت الباب ليغلق خلفي. من السهل حذف التسجيل - مجرد بضع نقرات وينتهي الأمر، السجل نظيف. تفقدت ملفها مرتين، متأكداً أن الشيء الوحيد الموجود هناك هو البيانات من المحاكاة الأولى. سيتعين علي اختلاق طريقة لتفسير أين ذهبت بيانات هذه الجلسة. كذبة جيدة، واحدة قد يصدقها إريك وماكس فعلاً.

في عجالة، أخرجت سكين جيبي وحشرته بين الألواح التي تغطي اللوحة الأم للكمبيوتر، باعداً بينها. ثم ذهبت للممر، لنافورة الشرب، وملأت فمي بالماء.

حين عدت لغرفة المحاكاة، بصقت بعض الماء في الفجوة بين الألواح. أعدت سكيني لجيبي وانتظرت.

بعد دقيقة أو نحو ذلك، أظلمت الشاشة. مقر الشجاعة هو كهف يسرب الماء أساساً - أضرار المياه تحدث طوال الوقت.

***

كنت يائساً.

أرسلت رسالة عبر نفس الرجل المنبوذ الذي استخدمته كرسول آخر مرة أردت فيها التواصل مع أمي. رتبت لمقابلتها داخل العربة الأخيرة من قطار العاشرة والربع المنطلق من مقر الشجاعة. أفترض أنها ستعرف كيف تجدني.

جلست وظهري للجدار، وذراع ملفوفة حول ركبتي، وراقبت المدينة تمر. القطارات الليلية لا تتحرك بسرعة قطارات النهار بين المحطات. من الأسهل ملاحظة كيف تتغير المباني كلما اقترب القطار من مركز المدينة، كيف تنمو أطول لكن أضيق، كيف تقف أعمدة الزجاج بجانب هياكل حجرية أصغر وأقدم. كمدينة موضوعة طبقة فوق طبقة فوق أخرى.

ركض شخص بمحاذاة القطار حين وصل للجانب الشمالي من المدينة. وقفت، ممسكاً بأحد القضبان بمحاذاة الجدار، وتعثرت إيفلين لداخل العربة مرتدية حذاء "وئام"، وفستان "معرفة"، وسترة "شجاعة". شعرها مشدود للخلف، مما يجعل وجهها الصارم أصلاً أكثر قسوة.

قالت:

- "مرحباً."

- "أهلاً."

- "كل مرة أراك فيها، تكون قد كبرت. أخمن أنه لا داعي للقلق بشأن أكلك جيداً."

- "يمكن قول الشيء نفسه لكِ. لكن لأسباب مختلفة."

أعرف أنها لا تأكل جيداً. إنها منبوذة، و"نكران الذات" لم يقدموا مساعدات بقدر ما يفعلون عادة، مع ضغط "المعرفة" عليهم بالطريقة الحالية.

مددت يدي خلفي وأمسكت بحقيبة الظهر التي أحضرتها وبها معلبات من مخزن الشجاعة.

قلت حين قدمتها لها:

- "إنه مجرد حساء وخضروات بلا نكهة، لكنه أفضل من لا شيء."

قالت إيفلين بحذر:

- "من قال إنني أحتاج مساعدتك؟ أنا أبلي بلاءً حسناً، كما تعلم."

- "أجل، هذا ليس لكِ. إنه لكل أصدقائك النحيلين. لو كنت مكانك، لما رفضت طعاماً."

قالت وهي تأخذ الحقيبة:

- "لست أرفضه. أنا فقط لست معتادة على اهتمامك. الأمر يلين القلب قليلاً."

قلت ببرود:

- "أنا مألوف بهذا الشعور. كم مر من الوقت قبل أن تفقدي حياتي؟ سبع سنوات؟"

تنهدت إيفلين.

- "إذا طلبت مني المجيء لهنا فقط لتبدأ هذا الجدال مجدداً، فأخشى أنني لا أستطيع البقاء طويلاً."

- "لا. لا، ليس لهذا طلبت منك المجيء."

لم أرد التواصل معها على الإطلاق، لكنني علمت أنني لا أستطيع إخبار أي من الشجعان بما عرفته عن هجوم "نكران الذات" - لا أعرف مدى ولائهم للجماعة وسياساتها - وكان علي إخبار أحد ما. آخر مرة تحدثت فيها لإيفلين، بدت كأنها تعرف أشياء عن المدينة لا أعرفها. افترضت أنها قد تعرف كيف تساعدني في هذا، قبل فوات الأوان.

إنها مخاطرة، لكنني لست متأكداً أين أتجه غير ذلك.

قلت:

- "كنت أبقي عيني على ماكس. قلتِ إن (المعرفة) متورطون مع (الشجاعة)، وكنتِ محقة. إنهم يخططون لشيء معاً، ماكس وجانيين ومن يعلم من أيضاً."

أخبرتها بما رأيته على كمبيوتر ماكس، قوائم الإمدادات والخرائط. أخبرتها بما لاحظته حول موقف "المعرفة" تجاه "نكران الذات"، التقارير، وكيف يسممون حتى عقول الشجعان ضد جماعتنا السابقة.

حين انتهيت، لم تبد إيفلين متفاجئة، أو حتى واجمة. في الواقع، ليس لدي أي فكرة كيف أقرأ تعبيرها. صمتت لبضع ثوان، ثم قالت:

- "هل رأيت أي إشارة لمتى قد يحدث هذا؟"

- "لا."

- "ماذا عن الأعداد؟ ما حجم القوة التي تنوي الشجاعة والمعرفة استخدامها؟ من أين ينوون استدعاءها؟"

قلت بإحباط:

- "لا أدري. ولا أهتم حقاً، أيضاً. مهما كان عدد المجندين الذين سيحصلون عليهم، سيحصدون (نكران الذات) في ثوانٍ. ليس وكأنهم مدربون للدفاع عن أنفسهم - ليس وكأنهم سيفعلون حتى لو عرفوا كيف، أيضاً."

قطبت إيفلين جبينها وقالت:

- "كنت أعلم أن شيئاً ما يحدث. الأنوار مضاءة في مقر (المعرفة) طوال الوقت الآن. مما يعني أنهم لم يعودوا خائفين من الوقوع في مشاكل مع قادة المجلس، مما... يوحي بشيء حول تمردهم المتنامي."

قلت:

- "حسناً. كيف نحذرهم؟"

- "نحذر من؟"

قلت بحدة:

- "(نكران الذات)! كيف نحذر (نكران الذات) أنهم سيقتلون، كيف نحذر الشجعان أن قادتهم يتآمرون ضد المجلس، كيف..."

توقفت. إيفلين تقف ويداها مرتخيتان لجانبيها، ووجهها مسترخٍ وسلبي. *مدينتنا تتغير يا توبياس.* هذا ما قالته لي حين رأينا بعضنا لأول مرة مجدداً. *في وقت قريب، سيتعين على الجميع اختيار جانب، وأنا أعرف أي جانب تفضل أن تكون فيه.*

قلت ببطء، مصارعاً لاستيعاب الحقيقة:

- "كنتِ تعرفين بالفعل. كنت تعرفين أنهم يخططون لشيء كهذا، وتعرفين منذ فترة. أنت تنتظرين حدوثه. تعولين عليه."

قالت إيفلين:

- "لم تعد لدي أي مودة متبقية لجماعتي السابقة. لا أريدهم، أو أي جماعة، أن يستمروا في السيطرة على هذه المدينة والناس فيها. إذا أراد شخص ما القضاء على أعدائي نيابة عني، فسأدعهم يفعلون."

قلت:

- "لا أستطيع تصديقك. ليسوا كلهم ماركوس يا إيفلين. إنهم عزل."

قالت:

- "أنت تظن أنهم أبرياء جداً. أنت لا تعرفهم. أنا أعرفهم، لقد رأيتهم على حقيقتهم."

صوتها منخفض، ومبحوح.

- "كيف تظن أن والدك تمكن من الكذب عليك بشأني طوال تلك السنوات؟ أتظن أن قادة (نكران الذات) الآخرين لم يساعدوه، لم يرسخوا الكذبة؟ لقد عرفوا أنني لست حاملاً، وأنه لم يستدعِ أحداً طبيباً، وأنه لم تكن هناك جثة. لكنهم مع ذلك أخبروك أنني ميتة، أليس كذلك؟"

لم يخطر ببالي من قبل. لم تكن هناك جثة. لا جثة، لكن مع ذلك كل الرجال والنساء الجالسين في منزل أبي في ذلك الصباح المريع وفي الجنازة في المساء التالي لعبوا لعبة التظاهر لأجلي، ولأجل بقية مجتمع "نكران الذات"، قائلين حتى في صمتهم: *لا أحد سيتركنا أبداً. من سيرغب في ذلك؟*

لا يجب أن أكون متفاجئاً جداً لاكتشاف أن جماعة مليئة بالكذابين، لكن أظن أن هناك أجزاء مني لا تزال ساذجة، لا تزال كطفل.

ليس بعد الآن.

قالت إيفلين:

- "فكر في الأمر. هل أولئك الناس - نوع الناس الذين يخبرون طفلاً أن أمه ماتت فقط لحفظ ماء الوجه - هم من تريد مساعدتهم؟ أم هل تريد المساعدة في إزالتهم من السلطة؟"

ظننت أنني أعرف. أولئك "نكران الذات" الأبرياء، بأعمالهم الخدمية المستمرة وهز رؤوسهم المذعن، كانوا بحاجة لأن يتم إنقاذهم.

لكن أولئك الكذابين، الذين أجبروني على الحزن، الذين تركوني وحيداً مع الرجل الذي سبب لي الألم - هل يجب إنقاذهم؟

لا أستطيع النظر إليها، لا أستطيع إجابتها. انتظرت حتى يمر القطار بمنصة، ثم أقفز منه دون أن ألتفت إلى الخلف.

***

قالت شونا وهي تغوص في الكرسي المجاور لي وتضع صينيتها:

- "لا تفهمني خطأ، لكنك تبدو فظيعاً."

أشعر أن محادثة الأمس مع أمي كانت ضجيجاً مفاجئاً يصم الآذان، والآن كل صوت آخر يبدو مكتوماً. لطالما عرفت أن والدي قاسٍ. لكنني ظننت دائماً أن بقية "نكران الذات" أبرياء؛ وفي أعماقي، لطالما اعتبرت نفسي ضعيفاً لتركي لهم، نوعاً من الخائن لقيمي الخاصة.

الآن يبدو أنه مهما قررت، سأخون شخصاً ما. إذا حذرت "نكران الذات" بشأن خطط الهجوم التي وجدتها على كمبيوتر ماكس، فسأخون "الشجاعة". وإذا لم أحذرهم، فسأخون جماعتي السابقة مجدداً، وبطريقة أعظم بكثير مما فعلت سابقاً. ليس لدي خيار سوى أن أقرر، وفكرة اتخاذ القرار تشعرني بالغثيان.

مررت باليوم بالطريقة الوحيدة التي أعرفها: استيقظت وذهبت للعمل. علقت التصنيفات – التي كانت مصدراً لبعض الخلاف، حيث دافعتُ عن إعطاء وزن أكبر للتحسن، بينما دافع إريك عن الثبات في المستوى. ذهبت للأكل. أجبرت نفسي على أداء الحركات وكأن ذاكرة عضلاتي هي التي تسيرني وحدها.

قالت شونا مشيرة لطبقي الممتلئ بالطعام:

- "أستأكل شيئاً من هذا؟"

هززت كتفي وقلت:

- "ربما."

أعرف أنها على وشك السؤال عما بي، لذا طرحت موضوعاً جديداً.

- "كيف حال لين؟"

- "أنت أدرى مني. بحكم رؤية مخاوفها وكل ذلك."

قطعت قطعة من شريحة اللحم ومضغتها.

سألت بحذر وهي ترفع حاجبها نحوي:

- "كيف يبدو الأمر؟ رؤية كل مخاوفهم، أعني."

قلت:

- "لا أستطيع التحدث معك عن مخاوفها. أنتِ تعرفين ذلك."

- "هل هذه قاعدتك، أم قاعدة الشجاعة؟"

- "هل يهم؟"

تنهدت شونا.

- "أحياناً أشعر أنني لا أعرفها حتى، هذا كل ما في الأمر."

تناولنا بقية وجبتنا دون كلام. هذا أكثر ما يعجبني في شونا: هي لا تشعر بالحاجة لملء الفراغات الصامتة. حين انتهينا، غادرنا قاعة الطعام معاً، ونادانا **زيك** من عبر "الحفرة".

قال وهو يدوّر لفة شريط لاصق حول إصبعه:

- "مرحباً! هل تريدان الذهاب للكم شيء ما؟"

قلنا أنا وشونا بصوت واحد:

- "أجل."

مشينا نحو غرفة التدريب، وشونا تطلع زيك على مستجدات أسبوعها عند السياج – "قبل يومين بدأ الأحمق الذي كنت في دورية معه بالذعر، مقسماً أنه رأى شيئاً بالخارج... اتضح أنه كيس بلاستيكي" – وزيك يلف ذراعه حول كتفيها. مررت أصابعي على مفاصلي وحاولت ألا أكون عقبة في طريقهما.

حين اقتربنا من غرفة التدريب، خيل إليّ أنني أسمع أصواتاً بالداخل.

دفعت الباب بقدمي وأنا عابس. يقف بالداخل كل من لين، و**يوريا**، و**مارلين**، و... **تريس**. صدام العوالم هذا أربكني قليلاً.

قلت:

- "ظننت أنني سمعت شيئاً هنا."

كان يوريا يطلق النار على هدف بأحد مسدسات الكريات البلاستيكية التي يحتفظ بها الشجعان للمرح - أعلم يقيناً أنه لا يملكه، لذا لابد أن هذا المسدس يخص زيك - ومارلين تمضغ شيئاً ما. ابتسمت لي ولوحت حين دخلت.

قال زيك:

- "اتضح أنه أخي الأحمق. لا يُفترض بكم التواجد هنا بعد ساعات العمل. احذروا، وإلا سيخبر فور إريك، وحينها ستُسلخ جلودكم."

حشر يوريا المسدس تحت حزام بنطاله، عند أسفل ظهره، دون أن يفعل صمام الأمان. سينتهي به المطاف على الأرجح بندبة على مؤخرته لاحقاً حين ينطلق المسدس في بنطاله. لم أنبهه لذلك.

أمسكت الباب مفتوحاً لأخرجهم عبره. وبينما تمر بجانبي، قالت لين:

- "أنت لن تخبر إريك."

قلت:

- "لا، لن أفعل."

حين مرت تريس بجانبي مددت يدي، واستقرت تلقائياً في المسافة بين لوحي كتفيها. لا أعرف حتى إن كان ذلك متعمداً أم لا. ولا أهتم حقاً.

بدأ الآخرون في النزول عبر الممر، وقد نُسيت خطتنا الأصلية بقضاء الوقت في غرفة التدريب بمجرد أن بدأ يوريا وزيك بالمناقرة وتشاركت شونا ومارلين بقية فطيرة المافن.

قلت لتريس:

- "انتظري لحظة."

التفتت إليّ، وبدا عليها القلق، لذا حاولت الابتسام، لكن من الصعب أن أشعر بالرغبة في الابتسام الآن.

لاحظت التوتر في غرفة التدريب حين علقت التصنيفات في وقت سابق هذا المساء - لم أفكر أبداً، حين كنت أحصي النقاط للتصنيف، أنه ربما كان يجدر بي خفض درجتها لحمايتها. كان سيكون إهانة لمهارتها في المحاكاة أن أضعها في مركز أدنى في القائمة، لكن ربما كانت لتفضل الإهانة على الفجوة المتنامية بينها وبين زملائها المنتقلين.

رغم أنها شاحبة ومنهكة، وهناك جروح صغيرة حول منابت أظافرها، ونظرة مترددة في عينيها، إلا أنني أعلم أن الأمر ليس كذلك. هذه الفتاة لن ترغب أبداً في أن تُدَس بأمان في وسط القطيع، أبداً.

قلت:

- "أنتِ تنتمين إلى هنا، أتعلمين ذلك؟ تنتمين إلينا. سينتهي الأمر قريباً، لذا... فقط اصمدي، حسناً؟"

شعرت بحرارة مفاجئة في مؤخرة عنقي، فحككتها بيد واحدة، غير قادر على التقاء عيني بعينيها، رغم أنني أستطيع الشعور بهما عليّ بينما يطول الصمت.

ثم انزلقت أصابعها بين أصابعي، وحدقتُ بها، مذهولاً. ضغطت على يدها، بخفة، وأدركت عبر اضطرابي وإرهاقي أنه رغم أنني لمستها ست مرات تقريباً - وكانت كل مرة زلة في الحكم - إلا أن هذه هي المرة الأولى التي تبادلني فيها ذلك.

ثم التفتت وركضت لتلحق بأصدقائها.

ووقفت أنا في الممر، وحيداً، أبتسم كالأحمق.

***

حاولت النوم للجزء الأكبر من ساعة، أتقلب تحت الأغطية لأجد وضعية مريحة. لكن يبدو وكأن أحداً استبدل مرتبتي بكيس من الصخور. أو ربما عقلي مشغول جداً لدرجة تمنع النوم وحسب.

في النهاية استسلمت، وارتديت حذائي وسترتي ومشيت لـ "المحرقة"، كما أفعل كل مرة لا أستطيع فيها النوم. فكرت في تشغيل برنامج سيناريو المخاوف مجدداً، لكنني لم أفكر في تجديد مخزوني من مصل المحاكاة بعد ظهر اليوم، وسيكون الحصول على البعض الآن أمراً مزعجاً. بدلاً من ذلك مشيت لغرفة التحكم، حيث حياني غاس بنحنحة ولم يلاحظ الموظفان الآخران دخولي حتى.

لم أحاول تصفح ملفات ماكس مجدداً - أشعر أنني أعرف كل ما أحتاج معرفته، وهو أن شيئاً سيئاً قادم وليس لدي أدنى فكرة عما إذا كنت سأحاول إيقافه.

أحتاج لإخبار أحد، أحتاج لشخص يشاركني هذا، ليخبرني ماذا أفعل. لكن لا يوجد أحد أثق به في أمر كهذا. حتى أصدقائي هنا ولدوا ونشأوا في الشجاعة؛ كيف لي أن أعرف أنهم لا يثقون بقادتهم ثقة عمياء؟ لا يمكنني المعرفة.

لسبب ما، قفز وجه تريس لذهني، منفتحاً لكنه صارم وهي تمسك بيدي في الممر.

مررت عبر التسجيلات، ناظراً لشوارع المدينة ثم عائداً لمجمع "الشجاعة". معظم الممرات مظلمة جداً، لم أكن لأرى شيئاً حتى لو كان هناك شيء. في سماعاتي، لا أسمع سوى اندفاع الماء في الهاوية أو صفير الريح عبر الأزقة.

تنهدت، مسنداً رأسي ليدي، وراقبت الصور المتغيرة، واحدة تلو الأخرى، وتركتها تهدهدني نحو شيء يشبه النوم.

قال غاس من عبر الغرفة:

- "اذهب للنوم يا فور."

انتفضت مستيقظاً، وأومأت. إذا لم أكن أنظر للتسجيلات فعلياً فليس من الجيد لي التواجد في غرفة التحكم. سجلت الخروج من حسابي ومشيت عبر الممر للمصعد، رامشاً لأستفيق.

بينما كنت أمشي عبر الردهة، سمعت صرخة قادمة من الأسفل، من "الحفرة". لم تكن صرخة شجاعة مرحة، أو صرخة شخص خائف لكنه مستمتع، أو أي شيء سوى تلك النبرة المحددة، ذلك الإيقاع المحدد للرعب.

تناثرت صخور صغيرة خلفي وأنا أركض نزولاً لقاع "الحفرة"، أنفاسي سريعة وثقيلة، لكنها منتظمة.

ثلاثة أشخاص طوال القامة بملابس داكنة يقفون قرب السور بالأسفل. يتحلقون حول هدف رابع، أصغر حجماً، ورغم أنني لا أستطيع رؤية الكثير، إلا أنني أعرف العراك حين أراه. أو، كنت سأسميه عراكاً، لو لم يكن ثلاثة ضد واحد.

التف أحد المهاجمين، ورآني، فركض بسرعة في الاتجاه الآخر. حين اقتربت رأيت أحد المهاجمين المتبقيين يرفع الهدف عالياً، فوق الهاوية، فصرخت:

- "مهلاً!"

رأيت شعرها، أشقر، وبالكاد استطعت رؤية أي شيء آخر. اصطدمت بأحد المهاجمين - درو، أستطيع تمييزه من لون شعره البرتقالي المحمر - وصدمته بحاجز الهاوية. ضربته مرة، مرتين، ثلاث مرات في وجهه، فانهار على الأرض، ثم رحت أركله ولم أستطع التفكير، لم أستطع التفكير على الإطلاق.

- "فور."

صوتها هادئ، ومبحوح، وهو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يصل إلي في هذا المكان. إنها تتدلى من السور، معلقة فوق الهاوية كطعم في صنارة صيد. الآخر، المهاجم الأخير، قد هرب.

ركضت نحوها، وأمسكتها من تحت كتفيها، وسحبتها فوق حافة السور. ضممتها إليّ. فضغطتْ وجهها على كتفي، لافّة أصابعها في قميصي.

درو على الأرض، منهار. سمعته يئن وأنا أحملها بعيداً - ليس للمستشفى، حيث سيفكر الآخرون الذين طاردوها في البحث عنها، بل لشقتي، في ممرها المنعزل والبعيد. دفعت طريقي عبر باب الشقة ووضعتها على سريري. مررت أصابعي على أنفها وعظام وجنتيها لأتأكد من عدم وجود كسور، ثم تحسست نبضها، وانحنيت قريباً لأسمع تنفسها. كل شيء يبدو طبيعياً، ومستقراً. حتى الضربة في مؤخرة رأسها، رغم أنها متورمة ومكشوطة، لا تبدو خطيرة. ليست مصابة إصابة بالغة، لكن كان يمكن أن تكون كذلك.

اهتزت يداي حين ابتعدت عنها. هي ليست مصابة بشدة، لكن درو قد يكون كذلك. لا أعرف حتى كم مرة ضربته قبل أن تنطق اسمي أخيراً وتوقظني. بدأ بقية جسدي يرتجف أيضاً، فتأكدت من وجود وسادة تدعم رأسها، ثم غادرت الشقة عائداً للسور بجانب "الحفرة". في الطريق، حاولت إعادة الدقائق القليلة الماضية في عقلي، حاولت تذكر ما ضربته ومتى وبأي قوة، لكن الأمر كله ضاع في نوبة غضب تدير الرأس.

أتساءل إن كان هذا ما كان يشعر به هو، فكرتُ، متذكراً النظرة الوحشية والمحمومة في عيني ماركوس كل مرة يغضب فيها.

حين وصلت للسور، كان درو لا يزال هناك، مستلقياً في وضعية غريبة ومكومة على الأرض. سحبت ذراعه عبر كتفي، ونصف حملته ونصف سحلته إلى المستشفى.

***

حين عدت لشقتي، مشيت فوراً للحمام لأغسل الدماء عن يدي – بعض مفاصل يدي مشقوقة، ومجروحة من الارتطام بوجه درو. إذا كان درو هناك، فالمهاجم الآخر لابد أن يكون بيتر، لكن من كان الثالث؟ ليست مولي – الشكل كان أطول، وأضخم. في الواقع، هناك مبتدئ واحد فقط بذلك الحجم.

آل.

تفحصت انعكاسي، وكأنني سأرى قطعاً صغيرة من ماركوس تحدق بي من هناك. هناك جرح عند زاوية فمي – هل ضربني درو في مرحلة ما؟ لا يهم. هفوة ذاكرتي لا تهم. ما يهم هو أن تريس تتنفس.

أبقيت يدي تحت الماء البارد حتى أصبح صافياً، ثم جففتهما بالمنشفة وذهبت للمجمدة لإحضار كيس ثلج. بينما أحمله نحوها، أدركت أنها مستيقظة.

قالت:

– "يداك."

وهو شيء سخيف لقوله، غبي جداً، أن تقلق بشأن يدي وهي التي كانت تتدلى للتو فوق الهاوية من عنقها.

قلت بحدة:

– "يداي ليستا من شأنك."

انحنيت فوقها، ودسست كيس الثلج تحت رأسها، حيث شعرت بالنتوء سابقاً. رفعت يدها ولمست بأطراف أصابعها فمي بخفة.

لم أظن يوماً أنه يمكن الشعور بلمسة بهذه الطريقة، كصعقة من الطاقة. أصابعها ناعمة، وفضولية.

قلت:

- "تريس. أنا بخير."

- "لماذا كنت هناك؟"

- "كنت عائداً من غرفة التحكم. سمعت صرخة."

- "ماذا فعلت بهم؟"

- "أودعت درو في المستشفى قبل نصف ساعة. بيتر وآل هربا. ادعى درو أنهم كانوا يحاولون فقط إخافتك. على الأقل، أظن أن هذا ما كان يحاول قوله."

- "هل حالته سيئة؟"

قلت بنبرة كالبصق:

- "سيعيش. بأي حالة، لا أستطيع القول."

لا يجب أن أدعها ترى هذا الجانب مني، الجانب الذي يستمد متعة وحشية من ألم درو. لا يجب أن أمتلك هذا الجانب أصلاً.

مدت يدها لذراعي، وضغطت عليها.

قالت:

- "جيد."

نظرت إليها بالأسفل. هي تملك ذلك الجانب أيضاً، لابد أنها تملكه. رأيت كيف بدت حين ضربت مولي، وكأنها ستستمر سواء كانت خصمتها غائبة عن الوعي أم لا. ربما أنا وهي متشابهان.

تقلص وجهها، والتوى، وبدأت تبكي. في معظم الأوقات، حين يبكي أحد أمامي، أشعر بالضيق، وكأنني بحاجة للهرب من رفقتهم لأتنفس. لا أشعر بذلك معها. لا أقلق، معها، من أنها تتوقع الكثير مني، أو أنها تحتاج أي شيء مني على الإطلاق. هبطت للأرض لنكون على نفس المستوى، وراقبتها بحذر للحظة. ثم

وضعت يدي على خدها، حذراً ألا أضغط على أي من كدماتها التي لا تزال تتشكل. مررت إبهامي على عظمة وجنتها. جلدها دافئ.

لا أملك الكلمة الصحيحة لوصف كيف تبدو، لكن حتى الآن، ومع أجزاء من وجهها متورمة ومتغيرة اللون، هناك شيء أخاذ بشأنها، شيء لم أره من قبل.

في تلك اللحظة أصبحت قادراً على تقبل حتمية ما أشعر به، وإن لم يكن بفرح. أحتاج للتحدث لأحد. أحتاج للثقة بأحد. ولأي سبب كان، أنا أعلم، أعلم أنها هي.

سيتوجب عليّ البدء بإخبارها باسمي.

***

اقتربت من إريك في طابور الإفطار، ووقفت خلفه بصينيتي وهو يستخدم ملعقة طويلة المقبض لغرف البيض المخفوق في طبقه.

قلت:

- "لو أخبرتك أن أحد المبتدئين تعرض لهجوم الليلة الماضية من قبل قلة من المبتدئين الآخرين، هل ستهتم أصلاً؟"

دفع البيض لجانب واحد من طبقه، ورفع كتفاً واحداً.

قال إريك بينما ألتقط وعاءً من الحبوب لنفسي:

- "قد أهتم بأن مدربهم لا يبدو قادراً على السيطرة على مبتدئيه."

نظر لمفاصل يدي المشقوقة وتابع:

- "قد أهتم بأن هذا الهجوم الافتراضي سيكون الثاني تحت ناظري ذلك المدرب... بينما لا يبدو أن أبناء الشجاعة لديهم هذه المشكلة."

قلت:

- "التوترات بين المنتقلين أعلى بطبيعتها - هم لا يعرفون بعضهم، ولا هذه الجماعة، وخلفياتهم مختلفة كلياً. وأنت قائدهم، ألا يفترض بك أن تكون مسؤولاً عن إبقائهم (تحت السيطرة)؟"

وضع قطعة توست بجانب بيضه بملقط. ثم مال قريباً من أذني وهمس:

- "أنت تمشي على خيط رفيع يا توبياس. تجادلك معي أمام الآخرين. نتائج محاكاة (ضائعة). انحيازك الواضح للمبتدئين الأضعف في التصنيفات. حتى ماكس يوافقني الآن. إذا كان هناك هجوم، لا أظن أنه سيكون سعيداً جداً بك، وقد لا يعترض حين أقترح إزالتك من منصبك."

- "وحينها ستخسر مدرباً للمبتدئين قبل أسبوع من نهاية التدريب."

- "أستطيع إكماله بنفسي."

قلت وأنا أضيق عيني:

- "لا يسعني إلا تخيل كيف سيكون الأمر تحت ناظريك. لن نحتاج حتى لإجراء أي استبعادات. سيموتون جميعاً أو يهربون من تلقاء أنفسهم."

- "إذا لم تكن حذراً فلن تضطر لتخيل أي شيء."

وصل لنهاية خط الطعام والتفت إليّ.

- "البيئات التنافسية تخلق توتراً يا فور. من الطبيعي أن يتم تنفيس ذلك التوتر بطريقة ما."

ابتسم قليلاً، ماداً الجلد بين ثقوبه.

- "الهجوم سيظهر لنا بالتأكيد، في موقف من العالم الواقعي، من هم الأقوياء ومن هم الضعفاء، ألا تظن ذلك؟ لن نضطر للاعتماد على نتائج الاختبارات إطلاقاً، بتلك الطريقة. يمكننا اتخاذ قرار أكثر استنارة حول من لا ينتمي لهنا. هذا... لو حدث هجوم."

التلميح واضح: بصفتها الناجية من الهجوم، سيُنظر لتريس على أنها أضعف من المبتدئين الآخرين، ووقود للاستبعاد. لن يهرع إريك لنجدة الضحية، بل سيدعو لطردها من الشجاعة، كما فعل قبل أن يغادر إدوارد بمحض إرادته. لا أريد لتريس أن تُجبر على أن تصبح بلا جماعة.

قلت بخفة:

- "صحيح. حسناً، من الجيد أنه لم تحدث هجمات مؤخراً، إذن."

سكبت بعض الحليب فوق حبوبي ومشيت لطاولتي. لن يفعل إريك شيئاً لبيتر أو درو أو آل، ولا أستطيع أنا فعل شيء دون الخروج عن الصف وتحمل العواقب. لكن ربما - ربما لست مضطراً لفعل هذا وحدي. وضعت صينيتي بين زيك وشونا وقلت:

- "أحتاج مساعدتكما في شيء ما."

***

بعد انتهاء شرح سيناريو المخاوف وانصراف المبتدئين للغداء، سحبت بيتر جانباً لغرفة المراقبة المجاورة لغرفة المحاكاة الفارغة. تحتوي الغرفة على صفوف من الكراسي، جاهزة ليجلس عليها المبتدئون وهم ينتظرون خوض اختبارهم النهائي. كما تحتوي أيضاً على زيك وشونا.

قلت:

- "نحتاج للدردشة."

اندفع زيك نحو بيتر، وصدمه بالجدار الخرساني بقوة مفزعة. ارتطم رأس بيتر من الخلف، وجفل ألماً.

قال زيك:

- "أهلاً بك."

وتحركت شونا نحوهم، تدير سكيناً على كفها.

قال بيتر:

- "ما هذا؟"

لم يبد خائفاً ولو قليلاً، حتى حين أمسكت شونا النصل من مقبضه ولمست بطرفه خده، صانعة غمازة.

قال بسخرية:

- "تحاولون إخافتي؟"

قلت:

- "لا. نحاول إيضاح نقطة. لست الوحيد الذي يملك أصدقاء مستعدين لإلحاق الأذى."

قال بيتر، معطياً إياي نظرة بريئة بعينين واسعتين، نظرة كنت لأخطئ وأظنها براءة لو لم أكن أعرف حقيقته:

- "لا أظن أنه يُفترض بمدربي المبتدئين تهديد المبتدئين، أليس كذلك؟ سأضطر لسؤال إريك مع ذلك، فقط للتأكد."

قلت:

- "أنا لم أهددك. أنا لا ألمسك حتى. ووفقاً لتسجيلات هذه الغرفة المخزنة على كمبيوترات غرفة التحكم، نحن لسنا هنا الآن حتى."

ابتسم زيك ابتسامة عريضة لم يستطع كبتها. كانت تلك فكرته.

قالت شونا، بصوت يشبه الدمدمة:

- "أنا من يهددك. نوبة عنف واحدة أخرى وسألقنك درساً في العدالة."

أمسكت طرف السكين فوق عينه، وأنزلته ببطء، ضاغطة الطرف على جفنه. تجمد بيتر، بالكاد يتحرك حتى ليتنفس.

- "العين بالعين. والكدمة بالكدمة."

قال زيك:

- "قد لا يهتم إريك إذا لاحقت أقرانك، لكننا نهتم، وهناك الكثير من الشجعان مثلنا. أناس لا يعتقدون أنه يجب أن تمد يدك على زملائك في الجماعة. أناس يستمعون للشائعات، وينشرونها كالنار في الهشيم. لن يستغرقنا الأمر طويلاً لنخبرهم أي نوع من الديدان أنت، أو لنجعل حياتك صعبة جداً جداً. كما ترى، في الشجاعة، السمعة تميل للالتصاق بصاحبها."

قالت شونا:

- "سنبدأ بكل أرباب عملك المحتملين. المشرفون في غرفة التحكم - زيك يمكنه تولي أمرهم؛ القادة عند السياج - سأتولى أمرهم. وتوري تعرف الجميع في (المحرقة) - فور، أنت صديق لتوري، صحيح؟"

قلت:

- "أجل أنا كذلك."

تحركت أقرب لبيتر، وأملت رأسي.

- "قد تكون قادراً على التسبب بالألم أيها المبتدئ... لكننا نستطيع التسبب لك بتعاسة مدى الحياة."

أبعدت شونا السكين عن عين بيتر.

- "فكر في الأمر."

أفلت زيك قميص بيتر وسواه بيده، وهو لا يزال يبتسم. بطريقة ما، مزيج شراسة شونا ومرح زيك كان غريباً بما يكفي ليكون مهدداً. لوح زيك لبيتر، وغادرنا جميعاً معاً.

سألني زيك:

- "تريدنا أن نتحدث للناس على أية حال، صحيح؟"

قلت:

- "أوه أجل. بالتأكيد. ليس فقط عن بيتر. درو وآل أيضاً."
قال زيك بأمل، وهو يقوم بحركة سقوط بيده:
- "ربما إذا نجا من التدريب، سأوقعه بالخطأ وسيسقط مباشرة في الهاوية."

***

في الصباح التالي، هناك حشد متجمع عند الهاوية، الجميع هادئون وساكنون، رغم أن رائحة الإفطار تدعونا جميعاً للكافيتيريا. لست مضطراً للسؤال عما تجمعوا لأجله.

يحدث هذا كل عام تقريباً، كما قيل لي. موت. مثل موت عمار، مفاجئ ومريع ومبذر للحياة. جسد يُسحب من الهاوية كسمكة في صنارة. عادة ما يكون شخصاً صغيراً - حادث، بسبب مجازفة متهورة سارت بشكل خاطئ، أو ربما ليس حادثاً، عقل مجروح ازداد إصابة بظلام وضغط وألم الشجاعة.

لا أعرف كيف أشعر تجاه تلك الوفيات. مذنب، ربما، لعدم رؤيتي للألم بنفسي. حزين، لأن بعض الناس لا يستطيعون إيجاد طريقة أخرى للهرب.

سمعت اسم المتوفى يُنطق أمامي، وصدمتني كلتا العاطفتين بقوة.

آل. آل. آل.

مبتدئ - مسؤوليتي، وقد فشلت، لأنني كنت مهووساً جداً بالإمساك بماكس وجانيين، أو بإلقاء اللوم في كل شيء على إريك، أو بترددي حول تحذير "نكران الذات". لا - لا شيء من تلك الأمور بقدر هذا: أنني نأيت بنفسي عنهم لحمايتي الخاصة، حين كان يجب أن أسحبهم من الأماكن المظلمة هنا إلى الأماكن الأكثر نوراً. الضحك مع الأصدقاء على صخور الهاوية. أوشام وقت متأخر من الليل بعد لعبة "جرأة". بحر من العناق بعد إعلان التصنيفات. تلك هي

الأشياء التي كان يمكنني أن أريها إياه – حتى لو لم تكن لتساعده، كان يجب أن أحاول.

أعرف شيئاً واحداً: بعد انتهاء تدريب هذا العام، لن يحتاج إريك لمحاولة طردي بجدية من هذا المنصب. أنا قد رحلت بالفعل.

***

آل. آل. آل.

لماذا يصبح كل الموتى أبطالاً في الشجاعة؟ لماذا نحتاج منهم أن يكونوا كذلك؟ ربما لأنهم الوحيدون الذين يمكننا إيجادهم في جماعة من القادة الفاسدين، والأقران المتنافسين، والمدربين الساخرين. الموتى يمكن أن يكونوا أبطالنا لأنهم لا يستطيعون خذلاننا لاحقاً؛ هم فقط يتحسنون مع الوقت، كلما نسينا المزيد والمزيد عنهم.

كان آل غير واثق وحساساً، ثم غيوراً وعنيفاً، ثم رحل. رجال أرق من آل عاشوا ورجال أقسى من آل ماتوا ولا يوجد تفسير لأي من ذلك.

لكن تريس تريد تفسيراً، تتوق لواحد، أستطيع رؤية ذلك في وجهها، نوع من الجوع. أو الغضب. أو كلاهما. لا أستطيع تخيل أنه من السهل أن تحب شخصاً، وتكرهه، ثم تفقده قبل أن يتم حل أي من تلك المشاعر. تبعتها بعيداً عن الشجعان الذين يهتفون لأنني متغطرس بما يكفي لأعتقد أنني أستطيع جعلها تشعر بتحسن.

صحيح. بالتأكيد. أو ربما أتبعها لأنني تعبت من كوني منعزلاً جداً عن الجميع، ولم أعد واثقاً أنها الطريقة الأفضل للعيش.

قلت:

– "تريس."

قالت بمرارة:

- "ماذا تفعل هنا؟ ألا يفترض بك تقديم تعازيك؟"

- "ألا يفترض بك أنتِ؟"

تحركتُ نحوها.

- "لا يمكن تقديم الاحترام حين لا تملك أياً منه."

فوجئت، للحظة، بأنها قادرة على أن تكون باردة هكذا - تريس ليست لطيفة دائماً، لكنها نادراً ما تكون متعالية بشأن أي شيء. استغرقها الأمر ثانية لتهز رأسها.

- "لم أعنِ ذلك."

- "آه."

قالت وهي تحمر خجلاً:

- "هذا سخيف. يرمي نفسه عن حافة وإريك يسمي ذلك شجاعة؟ إريك، الذي حاول جعلك ترمي سكاكين على رأس آل؟"

تقلص وجهها وتابعت:

- "إنه ليس شجاعاً! كان مكتئباً وجباناً وكاد يقتلني! هل هذا هو نوع الأشياء التي نحترمها هنا؟"

قلت بأكبر قدر ممكن من اللطف - وهو ليس بالكثير:

- "ماذا تريدين منهم أن يفعلوا؟ يدينوه؟ آل ميت بالفعل. لا يستطيع سماع ذلك، وقد فات الأوان."

- "الأمر لا يتعلق بآل. الأمر يتعلق بكل من يشاهد! كل من يرى الآن أن رمي أنفسهم في الهاوية خيار قابل للتطبيق. أعني، لم لا تفعلها إذا كان الجميع سيسمونك بطلاً بعدها؟ لم لا تفعلها إذا كان الجميع سيتذكرون اسمك؟"

لكن بالطبع، الأمر يتعلق بآل، وهي تعرف ذلك.

تابعت وهي تصارع نفسها:

- "إنه... أنا لا أستطيع... هذا ما كان ليحدث أبداً في نكران الذات! لا شيء منه! أبداً. هذا المكان شوهه ودمره، ولا يهمني إن كان قول ذلك يجعلني (متزمتة)، لا يهمني، لا يهمني!"

جنون ارتيابي متأصل بعمق، فنظرت تلقائياً للكاميرا المدفونة في الجدار فوق نافورة الشرب، المموهة بالمصباح الأزرق المثبت هناك. الناس في غرفة التحكم يمكنهم رؤيتنا، وإذا كنا سيئي الحظ، فقد يختارون هذه اللحظة ليسمعونا أيضاً. أستطيع رؤية الأمر الآن، إريك يسمي تريس خائنة للجماعة، جسد تريس على الرصيف قرب سكك القطار...

قلت:

- "كوني حذرة يا تريس."

عبست في وجهي وقالت:

- "هل هذا كل ما يمكنك قوله؟ أن أكون حذرة؟ هذا كل شيء؟"

أفهم أن ردي لم يكن بالضبط ما تتوقعه، لكن بالنسبة لشخص ثار للتو ضد طيش الشجاعة، فهي تتصرف بالتأكيد كواحدة منهم.

قلت:

- "أنتِ سيئة مثل (النزاهة)، أتعلمين ذلك؟"

جماعة "النزاهة" دائماً ما يثرثرون، ولا يفكرون أبداً في العواقب. سحبتها بعيداً عن نافورة الشرب، ثم أصبحت قريباً من وجهها وأستطيع رؤية عينيها الميتتين تطفوان في ماء النهر الجوفي ولا أستطيع احتمال ذلك، ليس وهي قد تعرضت لهجوم للتو ومن يعلم ماذا كان سيحدث لو لم أسمع صراخها.

وضعت يدي على كتفيها وقلت:

- "لن أقول هذا مرة أخرى، فاستمعي جيداً. إنهم يراقبونك. أنتِ، على وجه الخصوص."

أتذكر عيون إريك عليها بعد رمي السكاكين. أسئلته حول بيانات محاكاتها المحذوفة. ادعيت حدوث ضرر بسبب الماء. ظن هو أنه من المثير للاهتمام أن ضرر الماء حدث بعد أقل من خمس دقائق من انتهاء محاكاة تريس. *مثير للاهتمام.*

قالت:

- "أفلتني."

فعلت، فوراً. لا أحب سماع صوتها بتلك الطريقة.

- "هل يراقبونك أنت أيضاً؟"

لطالما فعلوا، ولطالما سيفعلون.

قلت:

- "أستمر في محاولة مساعدتك، لكنك ترفضين أن تُساعَدي."

- "أوه، صحيح. مساعدتك. طعن أذني بسكين والسخرية مني والصراخ علي أكثر مما تصرخ على أي شخص آخر، يا لها من مساعدة بالتأكيد."

- "السخرية منك؟ تعنين حين رميت السكاكين؟ لم أكن أسخر منك!"

هززت رأسي وتابعت:

- "كنت أذكرك أنه إذا فشلتِ، شخص آخر سيضطر لأخذ مكانك."

بالنسبة لي، في ذلك الوقت، بدا الأمر واضحاً تقريباً. ظننت، بما أنها تبدو كمن يفهمني أفضل من معظم الناس، أنها قد تفهم ذلك أيضاً. لكن بالطبع لم تفعل. هي لا تقرأ الأفكار.

سألت:

- "لماذا؟"

- "لأنك... من نكران الذات. و... حين تتصرفين بنكران ذات تكونين في أقصى درجات شجاعتك. ولو كنت مكانك، لأحسنت التظاهر بأن ذلك الدافع لنكران الذات آخذ في الاختفاء، لأنه إذا اكتشف الناس الخطأ ذلك... حسناً، لن يكون الأمر جيداً لك."

- "لماذا؟ لماذا يهتمون بنواياي؟"

- "النوايا هي الشيء الوحيد الذي يهتمون به. يحاولون جعلك تظنين أنهم يهتمون بما تفعلينه، لكنهم لا يفعلون. لا يريدون منك التصرف بطريقة معينة، يريدون منك التفكير بطريقة معينة. لكي تكوني سهلة الفهم. لكي لا تشكلي تهديداً لهم."

وضعت يدي على الجدار قرب وجهها وملت عليه، مفكراً في الأوشام التي تشكل خطاً على ظهري. لم يكن الحصول على الأوشام هو ما جعلني خائناً للجماعة. بل ما عنته لي - هروب من التفكير الضيق لأي جماعة واحدة، التفكير الذي يقتطع كل الأجزاء المختلفة مني، مقلصاً إياي لنسخة واحدة فقط من نفسي.

قالت:

- "لا أفهم لماذا يهتمون بما أفكر، طالما أتصرف كما يريدون."

- "تتصرفين كما يريدون الآن، لكن ماذا يحدث حين يخبرك عقلك المبرمج على طريقة نكران الذات أن تفعلي شيئاً آخر، شيئاً لا يريدونه؟"

بقدر ما أحبه، زيك هو المثال المثالي. مولود في الشجاعة، ومربى في الشجاعة، واختار الشجاعة. أستطيع الاعتماد عليه لمقاربة كل شيء بنفس الطريقة. تدرب على ذلك منذ الولادة. بالنسبة له، لا توجد خيارات أخرى.

قالت:

- "قد لا أحتاج مساعدتك. هل فكرت في ذلك يوماً؟"

أردت الضحك على السؤال. بالطبع هي لا تحتاجني. متى كان الأمر يتعلق بذلك أصلاً؟

تابعت:

- "أنا لست ضعيفة، كما تعلم. أستطيع فعل هذا وحدي."

تحركتُ حتى أصبحت أقرب إليها قليلاً وقلت:

- "تظنين أن غريزتي الأولى هي حمايتك. لأنك صغيرة، أو فتاة، أو (متزمتة). لكنك مخطئة."

أقرب حتى. لمست ذقنها، وللحظة فكرت في إغلاق هذه الفجوة تماماً.

قلت، وهو اعتراف غريب، وخطير:

- "غريزتي الأولى هي دفعك حتى تنكسري، فقط لأرى كم علي أن أضغط بقوة."

لا أنوي إيذاءها، ولم أنوِ ذلك يوماً، وآمل أنها تعرف أن هذا ليس ما أعنيه.

- "لكنني أقاومها."

سألت:

- "لماذا تلك هي غريزتك الأولى؟"

- "الخوف لا يطفئك. إنه يوقظك. لقد رأيت ذلك. إنه أمر ساحر."

عيناها في كل محاكاة خوف، جليد وفولاذ وشعلة زرقاء. الفتاة القصيرة الضئيلة بأذرع مشدودة كأسلاك. تناقض يمشي على قدمين. انزلقت يدي فوق فكها، ولمست عنقها.

- "أحياناً أريد فقط رؤية ذلك مجدداً. أريد رؤيتك مستيقظة."

لمست يداها خصري، وسحبت نفسها نحوي، أو سحبتني نحوها، لا أستطيع التمييز. تحركت يداها فوق ظهري، وأردتها، بطريقة لم أشعر بها من

قبل، ليس مجرد نوع من الدافع الجسدي الطائش بل رغبة حقيقية ومحددة. ليس لـ "شخص ما"، بل لها فقط.

لمست ظهرها، وشعرها. هذا يكفي، حالياً.

سألت:

- "هل يجب أن أبكي؟"

استغرقني الأمر ثانية لأدرك أنها تتحدث عن آل مجدداً. جيد، لأنه لو كان هذا العناق قد جعلها ترغب في البكاء، لكان علي الاعتراف بعدم معرفتي أي شيء على الإطلاق عن الرومانسية. وهو ما قد يكون صحيحاً على أي حال.

تابعت:

- "هل هناك خطب ما بي؟"

- "تظنين أنني أعرف أي شيء عن الدموع؟"

دموعي تأتي دون استئذان وتختفي بعد بضع ثوانٍ.

قالت:

- "لو سامحته... هل تظن أنه كان ليكون حياً الآن؟"

- "لا أدري."

وضعت يدي على خدها، وأصابعي تمتد خلف أذنها. إنها صغيرة حقاً. لا أمانع ذلك.

قالت:

- "أشعر أنه خطئي."

وأنا أيضاً.

- "إنه ليس خطأك."

قربت جبهتي من جبهتها. أنفاسها دافئة على وجهي. كنت محقاً، هذا أفضل من الحفاظ على مسافتي، هذا أفضل بكثير.

- "لكن كان يجدر بي. كان يجدر بي مسامحته."

بصقت عبارة مبتذلة من عبارات "نكران الذات" دون تفكير:

- "ربما. ربما هناك المزيد مما كان يمكننا جميعاً فعله. لكن علينا فقط أن ندع الذنب يذكرنا بأن نبلي أفضل في المرة القادمة."

ابتعدت فوراً، وشعرت بذلك الدافع المألوف، لأن أكون لئيماً معها لتنسى ما قلته، لكي لا تسألني أي أسئلة.

- "من أي جماعة جئت يا فور؟"

أظن أنكِ تعرفين.

- "لا يهم. هذا هو المكان الذي أنا فيه الآن. وهو شيء يحسن بك تذكره لنفسك."

لا أريد أن أكون قريباً منها بعد الآن؛ وهو كل ما أريد فعله.

أريد تقبيلها؛ ليس هذا هو الوقت المناسب.

لمست شفتي جبينها، فلم يحرك أي منا ساكنًا. لا تراجع بعد الآن؛ ليس بالنسبة لي.

***

عبارةٌ قالتها ظلت تطنُّ في رأسي طوال اليوم: «هذا ما كان ليحدث أبدًا في جماعة نكران الذات».

في البداية، وجدتُ نفسي أفكر: إنها لا تعرف حقيقتهم على وجه الخصوص.

لكنني كنتُ مخطئًا، وهي المحقة؛ فما كان لـ آل أن يموت في نكران الذات، وما كان لِيتهجم عليها هناك أبدًا. ربما لا يتسمون بالصلاح المطلق كما كنتُ أعتقد -أو كما أردتُ أن أعتقد- لكنهم بالتأكيد ليسوا أشرارًا.

عندما أغمض عيني، أرى خارطة قطاع نكران الذات التي وجدتها على حاسوب ماكس مطبوعةً على جفوني. إذا حذرتُهم أو لم أفعل، فأنا خائنٌ في كلتا الحالتين، لجهةٍ ما أو لأخرى. فإذا كان الوفاء مستحيلًا، فإلامَ أسعى إذن؟

استغرق الأمر مني بعض الوقت لأرسم خطةً لكيفية القيام بذلك. لو كانت فتاة عادية من الشجاعة وكنتُ فتى عاديًا منها، لدعوتها في موعد غرامي، وتبادلنا القبلات عند الهاوية، ولربما تظاهرتُ بالزهو أمامها بمعرفتي بمقر الجماعة. لكن هذا كله يبدو تافهًا وبسيطًا للغاية بعد كل ما قلناه لبعضنا، وبعد أن نفذتُ إلى أكثر أجزاء عقلها عتمةً.

ربما هذه هي المشكلة؛ فالأمر يسير في اتجاه واحد الآن. أنا أعرفها، أعرف مخاوفها وما تحب وما تكره، أما هي فلا تعرف عني سوى القليل الذي أخبرتها به، وهو قليلٌ مبهمٌ لا يُذكر، لأنني أعاني من مشكلة في الإفصاح عن التفاصيل.

بعد ذلك، أدركتُ ما عليَّ فعله، ولم يَبقَ سوى التنفيذ، وهنا تكمن الصعوبة.

شغلتُ الحاسوب في غرفة مشهد المخاوف وضبطته ليتبع برنامجي الخاص. أخذتُ محقنين من مصل المحاكاة من المخزن، ووضعتهما في الصندوق الأسود الصغير الذي خصصته لهذا الغرض. ثم انطلقتُ نحو مهجع المنتقلين، متسائلًا كيف سأختلي بها لوقتٍ كافٍ لأطلب منها اللحاق بي.

لكنني رأيتها مع ويل وكريستينا يقفون بجانب السياج. كان يجدر بي مناداتها وسؤالها، لكنني لم أستطع.

هل أنا مجنون لأفكر في السماح لها بدخول رأسي؟ أن ترى ماركوس، وتعرف اسمي، وتكتشف كل ما كافحتُ طويلًا لإبقائه طي الكتمان؟

عدتُ أدراجي نحو مسالك "الحفرة" ثانيةً، ومعدتي تتقلب اضطرابًا.

وصلتُ إلى الردهة، وبدأت أضواء المدينة تنطفئ من حولنا. سمعتُ وقع أقدامها على الدرج؛ لقد لَحقت بي.

أدرتُ الصندوق الأسود بين يديَّ.

قلتُ متظاهرًا باللامبالاة، وهو أمرٌ مثيرٌ للسخرية في هذا الموقف:

- "بما أنكِ هنا، فمن الأفضل أن تدخلي معي."

- "إلى مشهد مخاوفكَ أنتَ؟"

- "أجل."

- "أيمكنني فعل ذلك؟"

- "المصل يربطكِ بالبرنامج، لكن البرنامج هو من يحدد مشهد مَن الذي ستخوضينه. وحاليًا، هو مضبوطٌ ليدخلنا في مشهدي أنا."

- "ستسمح لي برؤية ذلك؟"

لم أستطع النظر في عينيها مباشرة.

- "لماذا ظننتِ أنني ذاهبٌ إلى هناك إذن؟"

ازداد الألم في معدتي سوءًا.

- "هناك بعض الأشياء التي أريد أن أريكِ إياها."

فتحتُ الصندوق وأخرجتُ المحقن الأول. مالت برأسها، فحقنتها بالمصل كما نفعل دائمًا في محاكاة الخوف. لكن، بدلًا من حقن نفسي بالمحقن الآخر، قدمتُ لها الصندوق. كان من المفترض أن تكون هذه طريقتي لمساواة الأمور بيننا.

قالت:

- "لم أفعل هذا من قبل."

لمستُ الموضع قائلًا:

- "هنا تمامًا."

ارتجفت يدها قليلًا وهي تغرز الإبرة. ذلك الألم العميق كان مألوفًا لي، لكنه لم يعد يزعجني؛ فقد جربتُه أكثر من اللازم. راقبتُ وجهها. لا تراجع الآن، لا تراجع. حان الوقت لنعرف من أي طينةٍ جُبلنا نحن الاثنين.

أمسكتُ يدها، أو ربما هي من أمسكت يدي، ودلفنا معًا إلى غرفة مشهد المخاوف.

- "حاولي أن تكتشفي سبب تسميتي بـ «فور»."

أُغلق الباب خلفنا، وغرقت الغرفة في سواد دامس. اقتربت مني وسألت:

- "ما هو اسمك الحقيقي؟"

- "حاولي اكتشاف ذلك أيضًا."

بدأت المحاكاة.

انفتحت الغرفة على سماء زرقاء شاسعة، ووجدنا أنفسنا فوق سطح المبنى، تحيط بنا المدينة التي تتلألأ تحت أشعة الشمس. كانت اللحظة جميلة لولا تلك الرياح التي هبت فجأة، عاتيةً وقوية. لففتُ ذراعي حولها لأنني أعلم أنها أكثر ثباتًا مني في هذا المكان.

كنتُ أعاني من ضيق في التنفس، وهو أمرٌ معتادٌ بالنسبة لي هنا؛ فاندفاع الهواء يخنقني، والارتفاع يجعلني أرغب في الانكماش على نفسي والاختباء.

قالت:

- "علينا أن نقفز، أليس كذلك؟"

تذكرتُ حينها أنني لا أملك رفاهية الاختباء؛ عليَّ مواجهة هذا الآن.

أومأتُ برأسي.

- "عند العد لثلاثة، تمامًا؟"

أومأتُ ثانيةً. كل ما عليَّ فعله هو اتباعها، هذا كل ما في الأمر.

عدّتْ حتى الثلاثة وجرت، وسحبتني خلفها كأنها شراعٌ وأنا مرساةٌ تجذبنا معًا نحو القاع. سقطنا، وكنتُ أقاوم هذا الإحساس بكل ذرة في كياني، والرعب يصرخ في كل عصب من أعصابي، ثم وجدتُ نفسي على الأرض متشبثًا بصدري.

ساعدتني على النهوض. شعرتُ بالغباء وأنا أتذكر كيف تسلقت تلك العجلة الدوارة دون أدنى تردد.

سألت:

- "ما التالي؟"

أردتُ أن أخبرها أن الأمر ليس لعبة، وأن مخاوفي ليست رحلات مثيرة تخوضها للتسلية. لكنها على الأرجح لم تقصد ذلك.

- "إنه..."

انبثقت الجدران من العدم، وارتطمت بظهرها وظهري وبجانبينا، لتدفعنا نحو بعضنا، لنصبح أكثر قربًا مما كنا عليه في أي وقت مضى.

قلتُ وصعوبة التنفس تزداد سوءًا بوجودها معي ومشاركتها لي في هذا الحيز الضيق:

- "الحصار."

أننتُ قليلًا وأنا أنحني فوقها. أكره هذا المكان. أكرهه بشدة.

قالت:

- "مهلًا، لا بأس. خذ..."

سحبت ذراعي لتلفها حولها. كنتُ دائمًا أراها ضئيلة البنية، خالية من أي زيادة، لكن خصرها كان ناعمًا.

قالت:

- "هذه هي المرة الأولى التي يسعدني فيها أنني ضئيلة الحجم."

- "هممم."

كانت تتحدث عن كيفية الخروج؛ استراتيجية مواجهة مشهد المخاوف. أما أنا، فكنتُ أحاول التركيز على التنفس فقط. ثم جذبتنا للأسفل لنصغر حجم الصندوق، والتفتت بحيث صار ظهرها ملاصقًا لصدري، وأصبحتُ أنا أحتويها بالكامل.

قلتُ:

- "هذا أسوأ."

فبين توتري من الصندوق وتوتري من ملامستها، لم أعد قادرًا على التفكير بوضوح.

- "هذا بالتأكيد..."

- "اششش. لفَّ ذراعيك حولي."

لففتُ ذراعيَّ حول خصرها، ودفنتُ وجهي في كتفها. كانت تفوح منها رائحة صابون الشجاعة، ورائحة حلوة تشبه التفاح.

بدأتُ أنسى أين أنا.

عادت تتحدث عن مشهد المخاوف، وكنتُ أصغي إليها، لكنني كنتُ أركز أيضًا على ملمسها.

أنهت حديثها قائلة:

- "لذا، حاول أن تنسى أننا هنا."

وضعتُ فمي عند أذنها مباشرةً، عن عمد هذه المرة، لأحافظ على تشتت ذهني، وأيضًا لأنني شعرتُ أنني لستُ الوحيد المشتت هنا.

قلتُ:

- "حقًا؟ بهذه السهولة؟"

- "تعلم، معظم الفتيان سيستمتعون بكونهم محاصرين في مكان ضيق مع فتاة."

- "ليس المصابون برهاب الأماكن المغلقة يا تريس!"

- "حسنًا، حسنًا."

أرشدت يدي إلى صدرها، أسفل تجويف ترقوتها مباشرةً. كل ما كنتُ أفكر فيه هو ما أريده، وهو أمرٌ لا علاقة له بالخروج من هذا الصندوق بتاتًا.

قالت:

- "اشعر بنبضات قلبي. أتستشعرها؟"

- "أجل."

- "اشعر بمدى ثباتها."

ابتسمتُ في كتفها قائلًا:

- "إنها متسارعة."

- "أجل، حسنًا، هذا لا علاقة له بالصندوق."

بالطبع لا علاقة له به.

- "كلما شعرتَ بي أتنفس، تنفس معي. ركز على ذلك."

تنفسنا معًا، مرةً، ثم مرتين.

- "لماذا لا تخبرني من أين يأتي هذا الخوف؟ ربما يساعدنا الحديث عنه بطريقة ما."

شعرتُ أن هذا الخوف كان يجب أن يتبدد بالفعل، لكن ما تفعله كان يبقيني في حالة مستقرة من القلق العالي، لا يزيل خوفي تمامًا. حاولتُ التركيز على منشأ هذا الصندوق.

قلتُ لاهثًا:

- "آه... حسنًا. إنه من... طفولتي الرائعة. عقابات الطفولة. تلك الخزانة الصغيرة في الطابق العلوي."

الحبس في الظلام لأفكر فيما فعلتُه. كان أهون من العقابات الأخرى، لكنني أحيانًا كنتُ أبقى هناك لفترة طويلة جدًا، أتوق لهواء نقي.

قالت:

- "كانت والدتي تضع معاطفنا الشتوية في خزانتنا."

كان شيئًا سخيفًا أن يقال بعد ما أخبرتها به، لكنني أدركتُ أنها لا تعرف ما الذي عليها قوله.

قلتُ وأنا أشهق:

- "لا أريد التحدث عن ذلك أكثر من هذا."

هي لا تعرف ما تقول لأنه لا أحد يمكنه معرفة ما يقال في موقف كهذا؛ فألم طفولتي مثيرٌ للشفقة لدرجة لا يستطيع أحد التعامل معها. تسارع نبض قلبي مجددًا.

- "حسنًا. إذن... سأتحدث أنا. اسألني عن شيء."

رفعتُ رأسي. لقد نجح الأمر سابقًا، التركيز عليها. قلبها المتسارع، جسدها الملاصق لجسدي. هيكلان قويان مغلفان بالعضلات، متشابكان معًا؛ منتقلان من جماعة نكران الذات يحاولان تجاوز مرحلة التودد المتردد.

- "لماذا يتسارع نبضكِ يا تريس؟"

- "حسنًا، أنا... أنا بالكاد أعرفك."

تخيلتُ وجهها وهي تقتضب.

- "أنا بالكاد أعرفك وأنا محشورة معك في صندوق يا فور، فبماذا تفكر؟"

قلتُ:

- "لو كنا في مشهد مخاوفكِ أنتِ... هل سأكون فيه؟"

- "أنا لا أخاف منك."

- "بالطبع لا. لم أقصد ذلك."

لم يكن قصدي "هل تخافين مني؟" بل "هل أنا مهمٌّ بما يكفي لأظهر في مشهد مخاوفكِ بأي حال؟"

على الأرجح لا. هي محقة، هي لا تكاد تعرفني. لكن مع ذلك: نبضُ قلبها يتسارع.

ضحكتُ، فتحطمت الجدران كأن ضحكتي قد زلزلتها وهدمتها، وانفتح الهواء من حولنا. استنشقتُ نَفَسًا عميقًا، وابتعدنا عن بعضنا. نظرت إليَّ بشك. قلتُ لها:

- "ربما كنتِ ستصلحين لجماعة النزاهة، لأنكِ كاذبة فاشلة."

- "أعتقد أن اختبار الأهلية قد استبعد هذا الاحتمال تمامًا."

- "اختبار الأهلية لا يخبركِ بشيء."

- "ماذا تحاول أن تقول؟ هل اختبارك ليس هو السبب في انتهائك هنا في الجسورين؟"

هززتُ كتفيَّ:

- "ليس بالضبط، لا. أنا..."

لمحتُ شيئًا بطرف عيني، فالتفتُّ لمواجهته. امرأة ذات ملامح عادية، من النوع الذي يسهل نسيانه، تقف وحيدة في الطرف الآخر من الغرفة. وبيننا وبينها طاولة عليها مسدس.

قالت تريس:

- "عليك قتلها."

- "في كل مرة."

- "إنها ليست حقيقية."

- "تبدو حقيقية. الإحساس بها حقيقي."

- "لو كانت حقيقية، لقتلتكَ بالفعل."

- "لا بأس. سأفعل ذلك فحسب."

انطلقتُ نحو الطاولة.

- "هذا الخوف ليس سيئًا للغاية. لا ينطوي على الكثير من الذعر."

لكن الذعر والرعب ليسا النوعين الوحيدين من الخوف. فهناك أنواعٌ أعمق، وأكثر فظاعة. هناك التوجس، والرهبة الثقيلة... الثقيلة جدًا.

حشوتُ المسدس بالرصاص دون تفكير، وصوبته أمامي، ونظرتُ في وجهها. كانت ملامحها خالية من أي تعبير، وكأنها تعرف ما سأفعله وتتقبله.

لم تكن ترتدي زي أي جماعة، لكن حالها يشي بأنها من نكران الذات؛ تقف هناك منتظرة أن ألحق بها الأذى، تمامًا كما يفعلون. وتلك هي النهاية التي سيؤولون إليها حتمًا، إن سارت الأمور كما يشتهي ماكس وجانيين وإيفلين.

أغمض إحدى عينيّ لأحكم التصويب نحو هدفي، ثم أطلق النار.

تسقط أرضًا، فيقفز إلى ذهني مشهد درو وأنا أنهال عليه باللكمات حتى كاد يفقد وعيه.

تطبق يد تريس على ذراعي.

قالت:

- "هيا.. فلنواصل التقدم."

نتجاوز الطاولة، فتسري في جسدي قشعريرة خوف. لعل انتظار هذه العقبة الأخيرة هو بحد ذاته خوف يضاهيها.

أقول:

- "ها قد بدأنا."

يزحف نحو دائرة الضوء التي نقف فيها خيالٌ حالك، يذرع المكان جيئة وذهابًا، فلا يكاد يظهر منه سوى طرف حذائه. ثم يتقدم نحونا؛ إنه ماركوس،

بعينيه الغائرتين كسواد الهاوية، وثيابه الرمادية، وشعره القصير جدًا الذي يبرز تضاريس جمجمته.

تهمس:

- "ماركوس."

أراقبه، مترقبًا سقوط الضربة الأولى.

أقول:

- "هنا تكتشفين اسمي الحقيقي."

قالت:

- "هل هو..."

إنها تعرف الآن. ستعرف ذلك إلى الأبد؛ ولن أستطيع أن أمحو هذا من ذاكرتها حتى لو أردت.

تابعت قائلة:

- " توبياس."

لقد مر زمن طويل منذ نطق أحدهم اسمي بهذه النبرة؛ وكأنه اكتشاف مذهل، لا وعيد وتهديد.

يحرر ماركوس حزامًا كان يلفه حول قبضته.

يقول:

- "هذا لمصلحتك."

فأشعر برغبة عارمة في الصراخ.

وفجأة تتكاثر نسخه، ليحاصرنا من كل الجهات، بينما تزحف الأحزمة بصوت خافت على البلاط الأبيض. أنكمش على نفسي، وأحني ظهري، منتظرًا... منتظرًا. يرتفع الحزام في الهواء، فأنتفض رعبًا قبل أن يهوي، لكن الضربة لا تأتي.

تقف تريس أمامي كالحصن، ذراعها مرفوعة، وجسدها مشدود من أخمص قدميها إلى رأسها. تضغط على أسنانها حين يلتف الحزام حول ذراعها، لكنها تنتزعه بقوة، ثم توجه ضربة خاطفة. كانت حركتها مفعمة بقوة أذهلتني، خاصة حين هوى الحزام بفرقعة مدوية على جلد ماركوس.

يندفع نحو تريس، فأقفز لأحميها بجسدي. أنا مستعد هذه المرة، مستعد للمقاومة ورد الصاع.

لكن تلك اللحظة لا تأتي. تسطع الأضواء، ويتلاشى مشهد المخاوف وينتهي.

تقول بينما لا تزال عيناي معلقتين بالمكان الذي كان يقف فيه ماركوس:

- "أهذا كل شيء؟"

تابعت:

- "أكانت تلك أسوأ مخاوفك؟ لمَ لديك أربعة فقط...؟ أوه."

ترمقني بنظرة فهم.

- "لهذا ينادونك بـ..."

كنت أخشى إن عرفت بشأن ماركوس، أن تنظر إليّ بعين الشفقة، وأن تجعلني أشعر بالضعف، والتضاؤل، والخواء.

لكنها رأت ماركوس ونظرت إليه بغضب عارم، دون ذرة خوف.

لم تجعلني أشعر بالضعف، بل بالقوة. قوة تكفي لأقاتل.

أجذبها نحوي من مرفقها، وأطبع قبلة على وجنتها، ببطء، تاركًا حرارة بشرتها تتسرب إلى روحي. أضمها إليّ بقوة، ملقيًا ثقلي عليها طلبًا للسكينة.

تتنهد قائلة:

- "مهلًا.. لقد تجاوزنا الأمر."

أخلل أصابعي بين خصلات شعرها.

أقول:

- "أنتِ من جعلتني أتجاوزه."

***

اصطحبتُها إلى تلك الصخور التي اعتدتُ الذهاب إليها أحيانًا مع زيك وشونا في وقت متأخر من الليل. جلسنا، تريس وأنا، فوق صخرة مسطحة معلقة فوق الماء، ورذاذ الموج يبلل حذائي، لكن الجو لم يكن ببارِدٍ لدرجة تزعجني. ومثلها مثل سائر المبتدئين، كانت غارقة في التفكير في اختبار الأهلية، بينما كنتُ أعاني لأفتح معها حديثًا حول الأمر. ظننتُ أنني حين أبوح بسر واحد، ستتدفق البقية تباعًا، لكنني أدركتُ أن الصراحة عادةٌ تُبنى مع الوقت، وليست مفتاحًا تضغطِ عليه متى شئت.

قلتُ لها:

- "هذه أمور لا أخبرها لأحد، أتعرفين؟ ولا حتى لأصدقائي."

رنا بصري إلى المياه المظلمة العكرة وما تحمله من مخلفات، وقطع ملابس بالية، وزجاجات طافية تشبه قوارب صغيرة تمخر عباب رحلة مجهولة، ثم تابعتُ:

- "كانت نتيجتي كما هو متوقع؛ نكران الذات."

قالت وهي تقتضب حاجبيها:

- "أوه، لكنك اخترتَ الشجاعة رغم ذلك؟"

- "كان خيار الضرورة."

- "لماذا كان عليك الرحيل؟"

أشحتُ بنظري بعيدًا، غير واثق من قدرتي على النطق بأسبابي؛ فاعترافي بها يجعل مني خائنًا للجماعة، ويشعرني بأنني جبان.

قالت:

- "كان عليك الابتعاد عن والدك. أهذا هو السبب في رفضك لتكون قائدًا في جماعة الشجاعة؟ لأنك لو أصبحت كذلك، فقد تضطر لرؤيته مجددًا؟"

هززتُ كتفيَّ قائلًا:

- "هذا سبب، والسبب الآخر هو شعوري الدائم بأنني لا أنتمي حقًا إلى الشجاعة؛ ليس بالشكل الذي هم عليه الآن على الأقل."

لم يكن هذا هو الصدق الكامل، لستُ متأكدًا إن كانت هذه اللحظة المناسبة لأخبرها بما أعرفه عن ماكس وجانيين والهجوم الوشيك. بأنانية مفرطة، أردتُ أن أستأثر بهذه اللحظة لنفسي، ولو لفترة قصيرة.

قالت:

- "لكنك... أنت مذهل."

رفعتُ حاجبيَّ دهشةً، فبدت محرجة وتابعت:

- "أعني بمقاييس الشجاعة. أربعة مخاوف فقط أمرٌ لم يُسمع به من قبل. كيف يمكن ألا تنتمي إلى هنا؟"

هززتُ كتفيَّ ثانيةً. كلما مر الوقت، شعرتُ بغرابة أن مشهد مخاوفي ليس محتشدًا بالمخاوف مثل الآخرين. هناك الكثير من الأشياء التي تجعلني متوترًا أو قلقًا أو غير مرتاح... لكنني حين أواجهها أستطيع التصرف، ولا أصاب بالشلل أبدًا. أما مخاوفي الأربعة، فستصيبني بالشلل إن لم أكن حذرًا، وهذا هو الفرق الوحيد.

قلتُ وأنا أتطلع إلى "الحفرة" وهي ترتفع عاليًا فوقنا، ومن مكاني هذا لا أرى سوى شريحة ضئيلة من سماء الليل:

- "لديَّ نظرية تقول إن نكران الذات والشجاعة ليسا ببعيدين عن بعضهما. لقد تدربتِ طوال حياتكِ على نسيان نفسكِ، لذا حين تقعين في خطر،

يصبح ذلك غريزةً فطريةً فيكِ. كان بإمكاني الانتماء إلى جماعة نكران الذات بالسهولة ذاتها."

- "أجل، حسنًا. لقد تركتُ نكران الذات لأنني لم أكن مؤثِرة لذاتي بما يكفي، مهما حاولتُ جاهدة."

قلتُ مبتسمًا:

- "هذا ليس صحيحًا تمامًا. تلك الفتاة التي سمحت لشخص ما برمي السكاكين عليها لتفتدي صديقها، والتي ضربت والدي بحزام لتحميني... أليست تلك الفتاة المؤثِرة لذاتها هي أنتِ؟"

في هذا الضوء، بدت وكأنها قادمة من عالم آخر، وعيناها بدتا شاحبتين لدرجة أنهما كادتا تشعان في الظلام.

سألتني كأنها قرأت أفكاري:

- "كنتَ تراقبني بدقة، أليس كذلك؟"

لكنها لم تكن تتحدث عن تفرسي في وجهها الآن.

قلتُ بمكر:

- "أحب مراقبة الناس."

- "ربما كنتَ ستصلح لتكون من جماعة النزاهة يا فور، لأنك كاذب بارع في فشله."

وضعتُ يدي بجانب يدها وانحنيتُ مقتربًا.

- "حسنًا."

أنفها الطويل الدقيق لم يعد متورمًا من أثر الاعتداء، ولا فمها كذلك. لديها فم جميل.

- "راقبتُكِ لأنني معجب بكِ. و... لا تناديني بـ «فور»، حسنًا؟ إنه أمرٌ... لطيف، أن أسمع اسمي مجددًا."

بدت مرتبكة للحظة.

- "لكنك أكبر مني... يا توبياس."

وقعُ اسمي وهي تنطقه كان رائعًا، وكأنه شيءٌ لا يدعو للخجل.

- "أجل، فجوة السنتين العظيمة تلك لا يمكن تجاوزها حقًا، أليس كذلك؟"

قالت بعناد:

- "أنا لا أحاول التقليل من شأني، لكنني لا أفهم الأمر فحسب. أنا أصغر سنًا، ولستُ جميلة، وأنا..."

ضحكتُ وقبّلتُ صدغها.

قالت وصوتها يتهدج قليلًا:

- "لا تتظاهر، أنت تعلم أنني لستُ كذلك. أنا لستُ بشعة، لكنني بالتأكيد لستُ جميلة."

كلمة «جميلة» وكل ما تمثله بدت لي عديمة الفائدة تمامًا في هذه اللحظة، لدرجة أنني لم أعد أطيق سماعها.

قلتُ محاولًا استجماع شجاعتي وأنا أنقل قبلتي إلى وجنتها:

- "حسنًا، لستِ جميلة. وماذا في ذلك؟"

ثم تراجعتُ قليلًا وتابعتُ:

- "يعجبني شكلكِ. أنتِ ذكية لدرجة قاتلة، وشجاعة. ورغم أنكِ عرفتِ حقيقة ماركوس... إلا أنكِ لا تنظرين إليَّ تلك النظرة، كأنني... جروٌ مهان، أو شيء من هذا القبيل."

قالت بلهجة عملية:

- "حسنًا، لأنك لستَ كذلك."

كان حدسي في محله؛ هي تستحق الثقة. بأسراري، وبخزيي، وبالاسم الذي هجرته. بالحقائق الجميلة والمريرة على حد سواء. أنا واثق من ذلك.

لامست شفتاي شفتيها، تلاقت أعيننا فابتسمتُ وقبلتها ثانيةً، وهذه المرة كنتُ أكثر ثقة.

لم يكن ذلك كافيًا، جذبتها إليَّ أكثر، وقبلتها بقوة أكبر. استجابت لي بحيوية، وأحاطتني بذراعيها واتكأت عليَّ، ومع ذلك لم يكن كافيًا، وكيف له أن يكون؟

❋❋❋

رافقتُها في طريق عودتها إلى مهجع المنتقلين، وحذائي لا يزال رطبًا من رذاذ النهر. ابتسمت لي وهي تتسلل عبر الباب. انطلقتُ نحو شقتي، ولم يمض وقت طويل حتى استحال شعور الراحة والنشوة إلى قلق مرة أخرى. ففي مكان ما بين رؤية ذلك الحزام يلتف حول ذراعها في مشهد مخاوفي، وإخباري إياها بأن نكران الذات والشجاعة وجهان لعملة واحدة، اتخذتُ قراري.

عند المنعطف التالي، لم أتجه نحو شقتي، بل نحو درج يؤدي إلى الخارج، بجوار مسكن ماكس مباشرة. أبطأتُ من سرعة خطواتي وأنا أمر بباب غرفته، خشية أن يكون وقع أقدامي صاخبًا بما يكفي لإيقاظه. كان خوفًا غير عقلاني.

طفق قلبي يخفق بقوة حين وصلتُ إلى نهاية الدرج. كان القطار يمر للتو، وجانبه الفضي يعكس ضوء القمر. مشيتُ تحت السكك الحديدية وانطلقتُ نحو قطاع نكران الذات.

❋❋❋

جاءت تريس من "نكران الذات"، وجزء من قوتها الفطرية مستمد منهم، ويظهر ذلك جليًا كلما دُعيت للدفاع عن الضعفاء. ولا أطيق التفكير في أولئك الرجال والنساء الذين يشبهونها وهم يسقطون أمام أسلحة تحالف الشجاعة والمعرفة. ربما كذبوا عليَّ، وربما خذلتُهم حين اخترتُ الشجاعة، وربما أخذل

الشجاعة الآن، لكن ليس عليَّ أن أخذل نفسي. وأنا، مهما كانت الجماعة التي أنتمي إليها، أعرف ما هو التصرف الصحيح.

يبدو قطاع نكران الذات نظيفًا للغاية؛ لا أثر لقطعة قمامة واحدة في الشوارع أو الأرصفة أو الساحات الخضراء. المباني الرمادية المتطابقة متآكلة في بعض أجزائها، لأن أولئك القوم المنكرين لذواتهم يرفضون ترميمها طالما أن قطاع "المحرومين من الجماعة" يحتاج إلى المواد بشكل أكبر، لكنها مع ذلك مرتبة وغير لافتة للنظر. يمكن لهذه الشوارع أن تكون متاهة بسهولة، لكنني لم أغب طويلًا لأنسى الطريق إلى منزل ماركوس.

من الغريب كيف استحال في ذهني "منزله" بسرعة بدلًا من أن يكون "منزلنا".

ربما ليس عليَّ إخباره هو؛ يمكنني إخبار قائد آخر من قادة نكران الذات، لكنه الأكثر نفوذًا بينهم، ولا يزال هناك جزء منه يمثل والدي، الجزء الذي حاول حمايتي لأنني "متباين". أحاول أن أتذكر دفق القوة الذي شعرتُ به في مشهد مخاوفي، حين أظهرت لي تريس أنه مجرد رجل عادي وليس وحشًا، وأنني أستطيع مواجهته. لكنها ليست معي الآن، وأشعر بالوهن، كأنني خُلقتُ من ورق.

مشيتُ في الممر المؤدي إلى المنزل، وكانت ساقاي متصلبتين وكأنهما بلا مفاصل. لم أطرق الباب، فأنا لا أريد إيقاظ أحد آخر. مددتُ يدي تحت المسحة بحثًا عن المفتاح الاحتياطي وفتحتُ الباب الأمامي.

الوقت متأخر، لكن ضوء المطبخ لا يزال مضاءً. وبمجرد دخولي من الباب، كان واقفًا هناك في مواجهتي. خلفه، كانت طاولة المطبخ مغطاة بالأوراق. لم يكن يرتدي حذاءه - كان الحذاء على سجادة غرفة المعيشة وأربطته مفكوكة - وكانت عيناه غائرتين في الظلال تمامًا كما أراهما في كوابيسي عنه.

قال وهو يتفرس فيَّ من رأسي حتى قدمي:

- "ماذا تفعل هنا؟"

تساءلتُ عما كان ينظر إليه، حتى تذكرتُ أنني أرتدي ملابس الشجاعة السوداء، وحذاءً ثقيلًا وسترة، وعلى عنقي آثار وشم. اقترب قليلًا، ولاحظتُ أنني في طوله الآن، وأقوى مما كنتُ عليه في أي وقت مضى.

لن يتمكن من التغلب عليَّ أبدًا بعد الآن.

قال:

- "لم يعد مرحبًا بك في هذا البيت."

قلتُ وأنا أعتدل في وقفتي، ليس لأنه يكره القامة المنحنية، بل اعتزازًا بنفسي:

- "لا يهمني."

ارتفع حاجبا كأنني فاجأته، وربما فعلتُ حقًا.

تابعتُ قائلًا:

- "جئتُ لأحذرك. لقد اكتشفتُ شيئًا؛ خطط هجوم. ماكس وجانيين يخططان للهجوم على جماعة نكران الذات. لا أعرف متى، ولا كيف."

راقبني لثانية، بطريقة شعرتُ فيها وكأنه يزن كلماتي، ثم تحولت تعابير وجهه إلى سخرية.

قال:

- "ماكس وجانيين سيهاجمان؟ هما الاثنان فقط، مسلحين ببعض محاقن المحاكاة؟"

ثم ضاقت عيناه وتابع:

- "هل أرسلك ماكس إلى هنا؟ هل أصبحت تابعًا ذليلًا له من جماعة الشجاعة؟ ماذا يريد؟ هل يريد إخافتي؟"

حين فكرتُ في تحذير جماعة نكران الذات، كنتُ واثقًا أن أصعب جزء سيكون عبور هذا الباب. لم يخطر ببالي أبدًا أنه لن يصدقني.

قلتُ له:

- "لا تكن أحمق."

لم أكن لأجرؤ على قول ذلك له أبدًا حين كنتُ أعيش في هذا البيت، لكن عامين من تبني أنماط حديث الشجاعة جعلت الكلمات تخرج من فمي بعفوية.

- "إذا كنتَ تشك في ماكس، فلديك سبب لذلك، وأنا أقول لك إنه سبب وجيه. أنت محق في شكوكك. أنتم في خطر - جميعكم."

قال بصوت منخفض:

- "تجرؤ على المجيء إلى بيتي بعد أن خنتَ جماعتك، وبعد أن خنتَ عائلتك... ثم تهينني؟"

هز رأسه متابعًا:

- "أرفض أن يتم ترهيبي لأفعل ما يريده ماكس وجانيين، وبالتأكيد ليس على يد ابني."

قلتُ له:

- "أتعرف؟ انسَ الأمر. كان يجدر بي الذهاب لشخص آخر."

التفتُ نحو الباب، فقال:

- "لا تولِني ظهرك وترحل."

قبضت يده على ذراعي بقوة. حدقتُ في يده، وشعرتُ للحظة بدوار، كأنني خارج جسدي، أنأى بنفسي عن اللحظة لأتمكن من النجاة منها.

يمكنك محاربته، هكذا فكرتُ وأنا أتذكر تريس وهي ترفع الحزام في مشهد مخاوفي لتضربه.

حررتُ ذراعي من قبضة يده، كنتُ أقوى من أن يمسك بي. لكنني لم أستطع سوى استجماع قوتي للرحيل، ولم يجرؤ هو على الصياح خلفي خشية أن يسمعه الجيران. كانت يداي ترتجفان قليلًا، فوضعتهما في جيبي. لم أسمع صوت إغلاق الباب الأمامي خلفي، لذا علمتُ أنه يراقب رحيلي.

لم تكن تلك العودة المظفرة التي تخيلتها.

***

شعرتُ بالذنب وأنا أعبر مدخل "البرج"، كأن أعين الشجاعة تلاحقني في كل مكان، تحاكمني على ما فعلتُ للتو. لقد وقفتُ ضد قادة الشجاعة، ومن أجل ماذا؟ من أجل رجل أكرهه ولم يصدقني حتى؟ لم أشعر أن الأمر كان يستحق؛ يستحق أن أُسمى خائنًا للجماعة.

نظرتُ عبر الأرضية الزجاجية إلى الهوة السحيقة تحتي، كان الماء ساكنًا ومظلمًا، وبعيدًا جدًا بحيث لا يعكس أي ضوء للقمر. قبل ساعات قليلة، كنتُ واقفًا هنا تمامًا، على وشك أن أكشف لفتاة بالكاد أعرفها كل الأسرار التي كافحتُ كثيرًا لحمايتها.

كانت هي أهلًا لثقتي، حتى وإن لم يكن ماركوس كذلك. هي، ووالدتها، وبقية أفراد الجماعة التي تؤمن بها، لا يزالون يستحقون الحماية. وهذا ما سأفعله.

-تمت-

فــور

فيرونيكا روث

قبل عامين من اتخاذ بياتريس بريور لقرارها, أقدم ابن السادسة عشرة, نجل قائد جماعة "نكران الذات", على الخطوة ذاتها. كان انتقال توبياس إلى جماعة "الشجاعة" بمثابة فرصة لبداية جديدة؛ فهنا, لن يُنادى بالاسم الذي منحه إياه والداه, وهنا, لن يسمح للخوف بأن يحوله مجدداً إلى طفل رعديد.

بعد أن لُقِّب حديثاً بـ "فور" (أربعة), يكتشف خلال مرحلة التلقين أنه سيحقق نجاحاً باهراً في "الشجاعة". غير أن التلقين ليس سوى البداية؛ إذ يتعين على "فور" أن يثبت جدارته في التسلسل الهرمي للجماعة. ستؤثر قراراته على المبتدئين المستقبليين, كما ستكشف عن أسرار قد تهدد مستقبله الشخصي, بل ومستقبل نظام الجماعات بأسره.

وبعد مرور عامين, يقف "فور" على أهبة الاستعداد لاتخاذ إجراء حاسم, لكن المسار لا يزال غامضاً. إلا أن أول مبتدئة تقفز إلى الشبكة قد تغير كل ذلك؛ فمعها, قد يتضح السبيل لإصلاح عالمهم, ومعها, قد يصبح من الممكن أن يعود "توبياس" كما كان مرة أخرى.



ترجمات
مكتبة الوادي
t.me/wadistreambooks

ترجمة / قناة wadistreambooks

@t.me/wadistreambooks